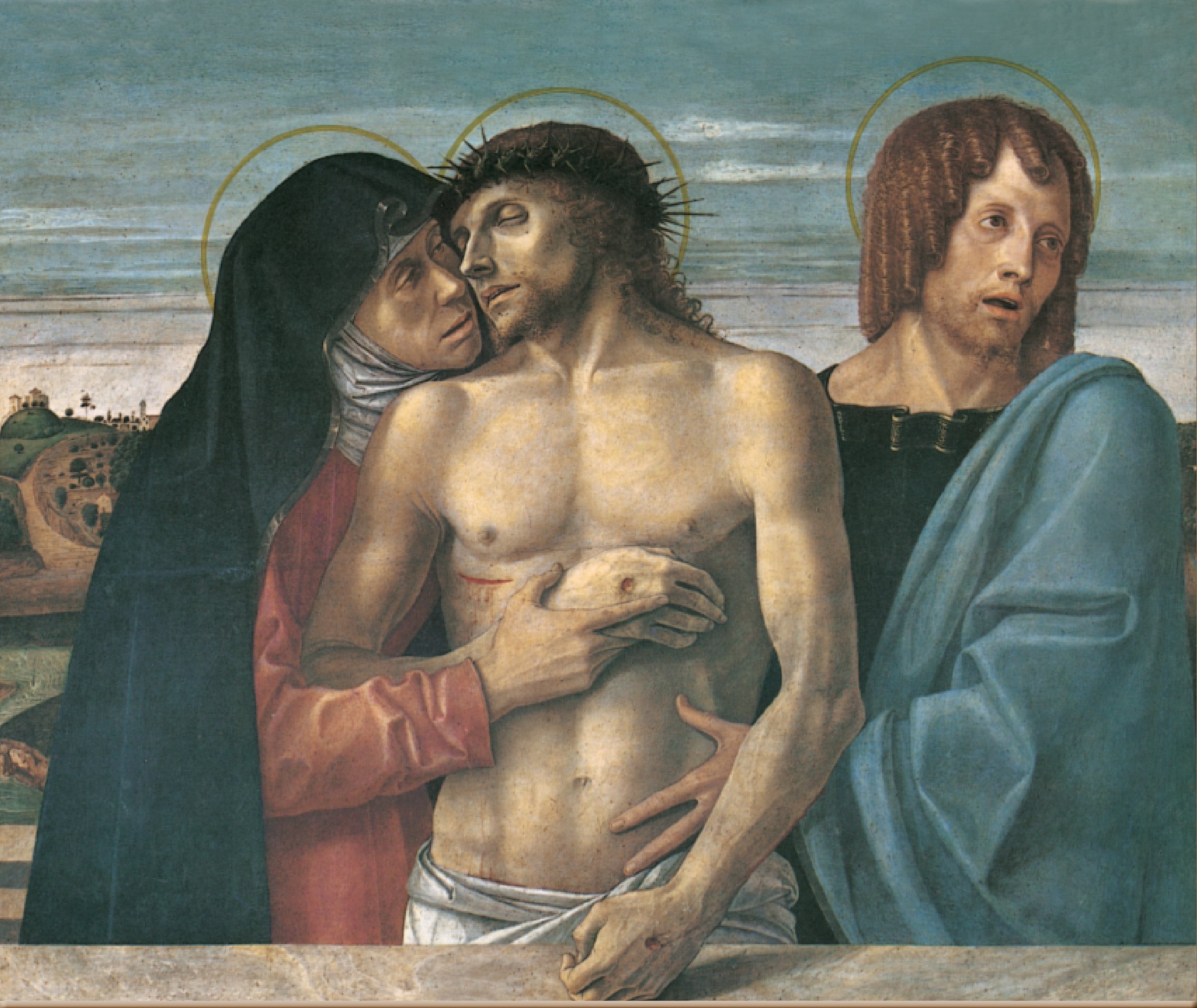

مع المسيح في آلامه وموته وقيامته

الأصول الرسولية لكتاب الأب متى المسكين

دكتور جورج حبيب بباوي

مع المسيح
في آلامه وموته وقيامته

الأصول الرسولية لكتاب الأب متى المسكين

دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠١٢

اسم الكتاب : مع المسيح في الآمه وموته وقيامته
الناشر : د. جورج حبيب بباوي
المؤلف : د. جورج حبيب بباوي
رقم الإيداع : ٢٠١٣/٣٣٩٠
المطبعة : جي سي سنتر
١٤ ش محمود حافظ ميدان سفير ٢٦٣٣٨١٣٧

المُحتَويَات

صفحة

اعتراف بالفضل ٥

الفصل الأول
القديس باسليوس الكبير وحروف الجر : ٧

الفصل الثاني
مع المسيح في موته وقيامته ٣٥

الفصل الثالث
«في الرب يسوع المسيح»
المجال الوحيد الحقيقي لحياة جديدة ٥١

الفصل الرابع
«مع المسيح»
التعابير الفريدة في العهد الجديد ٥٩

الفصل الخامس
إتحادنا بالمسيح، وفي المسيح الرب
حسب التسليم الرسولي ٨٥

الفصل السادس
حقائق إتحادنا بالمسيح ٩٧

الفصل السابع
الأفعال اليونانية والقبطية الخاصة
بالسكنى والحلول في العهد الجديد ١٠٧

الفصل الثامن
الهيكل والبناء الذي من الله ١٣٣

اعترافٌ بالفضل

عندما صدر كتاب الأب القمص متى المسكين "مع المسيح في آلامه وموته وقيامته" كنت لا أزال طالباً في القسم النهاري بالكلية الإكليريكية بالقاهرة. وقد صدر هذا الكتاب بعد تجريد الأب متى المسكين من الكهنوت، وهو تجريد خاص بالكنيسة، ثم جُرِّد من الرهبنة، وهي ملكية خاصة بالراهب. وإن كان يجوز تجريد شخص ما من الكهنوت، إلاَّ أن إنساناً ما لا يملك إن يجرّد مَن ترك العالم، بقرار إرادي خاص، من رهبنته. ولا يمكن لأي قوةٍ أو قدرة إنسانية أن تمتد لمحبة المسيح التي سكنت قلبه.

ولا يملك أن يجرّد الراهب من رهبنته إلاَّ الله وحده...

كان الكتاب هو أول باكورة لفهم موت الرب المحيي. وطالما تعجبت من تقوى كنيستنا الأرثوذكسية المصرية، وهي، في اختيارٍ دقيق، تصف الصليب بأنه: الصليب المكرم، وتصف موت الرب يسوع بأنه: الموت المحيي... ومهما بلغت روعة إيقاع موسيقى وألحان الأسبوع العظيم، فإنها تقصر عن روعة وجمال كلمات تسبحة السواعي:

«لك القوة والمجد والبركة والعزة ... عمانوئيل إلهنا ومخلصنا...».

فالقوة لمن عُلِّقَ على الصليب،

والمجد لَمن صُلِبَ بين لصين،

والبركة لمن حمل لعنة الناموس لكي يبيد هذه اللعنة ويعيدها إلى الموت،

والعزة، أي عزة الإله الفادي والرب.

وتمر السنوات، ويبقى كتاب الأب متى المسكين، وما أضاف إليه: "لاهوت القديس بولس"، و"شرح سر المعمودية"، ثم "الرسالة إلى العبرانيين"، وباقي

رسائل القديس بولس... ويعود موت الرب المحيي وصليبه وقبره، وقيامته تشرق بقوة، فقد تجلى الرب في داخل قلب اشتاق إلى ما هو أعظم وأجمل...

وتمر سنوات الدراسة في مصر وفي إنجلترا... وتهب عواصف هوجاء أثارها رجال مباحث أمن الدولة من الإكليروس، تأبى إلاَّ أن يصبح "مع المسيح في آلامه وموته وقيامته" كتاباً فقط، في الوقت الذي يجب فيه أن يتحول إلى حقيقة تُعاش في اللحم والدم...

وهكذا بعد هذه السنوات، أُقدِّم هذه التقدمة لأول إنسان أنار فكري عن الصليب شجرة الحياة، وعن الموت المحيي... وهذه السطور ما هي إلاَّ قبسٌ من رحلة طويلة بدأت في عام ١٩٥٩، وما تزال ممتدة حتى الآن.

چورچ بباوي

الفصل الأول

القديس باسيليوس الكبير، وحروف الجر

عندما كتب القديس باسيليوس مقالته "عن الروح القدس" كانت رؤيته الرسولية الآبائية هي مقدمة هذا الكتاب. بالطبع لم يقرأ القديس باسيليوس ما كُتب هنا في عام ٢٠١٢، ولكنه قرأ محاولات العقل الذي يلهث وراء الألفاظ، جاهداً أن يجعل من أقدس ما لدينا، صراع على تفسير لفظ.

هكذا يكتب عن أصل اهتمام الهراطقة بالألفاظ:

> «إن تطرف هؤلاء الناس يظهر في التدقيق حول الألفاظ والكلمات... إن الشر الذي يبتغونه ليس هيناً، فهو ينطوي على قصد مظلم وماكر موجَّه ضد الإيمان الصحيح، وهم يحاولون أن يبرهنوا على أن ذكر الآب والابن والروح القدس يحتم وجود اختلاف نظراً لتتابع الأسماء، ووجود الاختلاف (في الأسماء) يعني أن الآب والابن والروح ليسوا من طبيعة واحدة... وكبرهان على هذه الفكرة يقتبس (مؤسس هذه المدرسة) من كلمات الرسول «واحد الله الآب الذي منه كل الأشياء ورب واحد يسوع المسيح الذي به كل الأشياء» (١كور ٨: ٦) ومن ثم يقول: إن تعبير «الذي منه» مختلف عن «الذي به»، وهكذا تختلف طبيعة الآب والابن... ولذلك ينسبون لله الآب عبارة «الذي منه» كميزة خاصة به، أمَّا عبارة «الذي به»، فهي خاصة بكل أقنوم... لكي يصلوا في

> النهاية إلى الاستنتاج الذي أشرت إليه من قبل وهو أن اختلاف حروف الجر يعني اختلافٌ في الطبيعة»[١].

وقد وصل هراء أتيوس *Aetius* – الذي حارب الإيمان بحجة استخدام حروف الجر – حداً يصفه القديس باسيليوس بأنه ثرثرة تدعم رأيهم المخرف، فيقول:

> «وهم يعنون بتعبير «الذي منه» الخالق. وبتعبير «الذي به» الوسيط والتابع أو الآلة. وبتعبير «الذي فيه» الزمان والمكان. وغاية كل هذا أن يصبح الابن هو خالق العالم ليس أكثر من آلة، أما الروح القدس فهو لم يعط شيئاً للكائنات التي خلقت وإنما المساعدة هي التي يمكن للكائنات أن تنالها من الزمان والمكان»[٢].

ويعلق القديس باسيليوس:

> «إن ما قاد أصحابنا إلى هذا الانخداع هو دراستهم للمؤلفين الوثنيين الذين ينسبون عبارة «الذي منه» وعبارة «الذي به» إلى الأشياء المختلفة في الطبيعة. ويعتقد هؤلاء المؤلفون أن لفظ «منه» تدل على الأصل بينما لفظ «به» تشير إلى الآلة أو الوسيط التابع»[٣].

الاختلاف يبدأ برفض الإيمان والبحث عن أدلة لتأكيد الرفض

عندما رفض أريوس وتلاميذه من بعده الإيمان بالثالوث، كان من الضروري البحث عن أدلة، ولكن الأدلة يجب أن تأتي من الأسفار المقدسة نفسها لكي يؤكد الهراطقة – من استخدام كلمات ونصوص الكتاب المقدس – صحة تعليمهم.

فالبداية هي الرفض، والحجة يجب أن تأتي في اتساق تام مع الفكرة، لكن الكتاب المقدس لم يقدم لنا بياناً عن استخدام حروف الجر؛ لأن الكتاب المقدس يقدِّم:

- جوهر واحد لله.

١- الروح القدس للقديس باسيليوس، ترجمة د. جورج حبيب بباوي، ١٩٨١، ص ٥٨ – ٥٩.

٢- المرجع السابق، ص ٥٩.

٣- المرجع السابق، ص ٦٠.

– ثلاثة أقانيم في الجوهر الواحد.

وبالتالي لا يمكن أن يقدم الكتاب المقدس حروفَ جرٍ مختلفة لشرح علاقة الأقانيم؛ لأن الأقانيم هم واحد في الجوهر وفي القوة وفي العمل الواحد.

ويدخل القديس باسيليوس في حوار في الفصول ٤، ٥، ٦ حول استخدام حروف الجر في الكتاب المقدس مؤكداً أن كلمات الكتاب لا تحتوي التميز الفلسفي الوثني السابق على الوحي مؤكداً:

«نعم نحن نعترف باستعمال حروف الجر (في - بـ... الخ)، وهي معروفة في مواضع كثيرة في كلمة الحق أي الأسفار المقدسة، ولكننا ننكر بشكل مطلق أن نستعبد الروح لتفاهات الوثنية، بل نستخدم حروف الجر استخداماً غير مقيَّدٍ حسب التعبير المطلوب وكلما دعت الحاجة»[٤].

ما هو سبب رفض الحجة الوثنية اللغوية؟

أولاً: حسب كلمات القديس باسيليوس، وضع الهراطقة قاعدة «تعتمد على الفلسفة الوثنية» (ف ٤: ٦ ص ٦٢ – ٦٣). والفلسفة خاصة بالعالم المادي الذي لا يوجد فيه أي مخلوق يمكن أن يكون رمزاً أو مثالاً للطبيعة الإلهية غير المادية وغير المركبة، بل البسيطة. وبعد أن يقدم تنوع استخدام حروف الجر في الأسفار في الفصل الخامس باعتبار أن ما يخص الله "تختلف التعبيرات عنه"، وأيضاً "كثيراً ما يحل تعبير محل تعبير آخر"، وأحياناً "يحل حرف جر محل حرف جر آخر" (ف ٥: ١٢ ص ٦٩)، يؤكد أن مشكلة الهراطقة تظهر في أنهم يحاولون «قياس الحياة التي تعلو على كل الأزمنة بمقاييس زمنية» (ف ٧: ١٤ ص ٧١)، ولكن لا توجد مسافة تفصل الآب عن الابن (ص ٧٢)، وما ينطبق على الخليقة الخاضعة للزمان «لا ينطبق على الله الكائن قبل كل الدهور» (ص ٧٢). لكن ليس هذا هو الحل لمشكلة فكر لا يعرف الفرق بين الله وما هو مخلوق، بل المشكلة أعمق من ذلك بكثير، وهي أن استعلان الحياة الواحدة للثالوث الواحد قد غيَّر معاني الكلمات

٤- المرجع السابق، ف ٤: ٦، ص ٦٢.

ونقلها من معناها المادي إلى معناها اللاهوتي.

ومثال لذلك يقدم القديس باسيليوس استخدام كلمة "حضن الآب" في إنجيل يوحنا (١: ١٤)، واستخدام كلمة "يمين"، ويقول إن «حضن الآب هو العرش اللائق للابن» (ص ٧٣)، و "اليمين" تعني المساواة في الكرامة والمُلك، كما أن الوقوف والجلوس يعبران عن الثبات والقدرة على العمل...» (ص ٧٤).

تحول معنى الكلمات المادية

تحول معنى الكلمات هذا يعود إلى عدة أسباب، هي:

١- يعود إلى حقيقة أزلية، وهي عدم انفصال الأقانيم (ف ٧: ١٦ ص ٧٧)؛ لأن الابن دائماً مع الآب، ولا أثر للانفصال بسبب الأقانيم؛ لأن الجوهر واحد (ف ٧: ١٦ ص ٧٧).

٢- وعندما يشرح معنى استخدام حرف الجر "به"، فالشرح يعود لا إلى ما تجود به اللغة، بل إلى **العلاقة الجديدة**، وهي حسب تعبير القديس باسيليوس:

- «إذا قلنا "به"، فلأن عون نفوسنا إنما يأتي "منه"، ولكل عون يعطى لقب خاص نستعمله لكي نؤكد به النعمة» (ص ٨٠).

- فالعلاقة هي التي تشرح وتحدد المعاني، ولذلك قبل الكلمات، لا بُد من فهم النعمة أولاً، وهي التي جعلت كلمة "عريس" تُستخدم لاختيار النفس الإنسانية وجعلها نقية بلا لوم ولا غضن، بل عذراء نقية بلا عيب (أف ٥: ١٩)» (ص ٨٠).

- فالألفاظ لا يجب أن تجعلنا نستهين بتدبير الابن، ونعتبره خدمة حقيرة إجبارية نابعة من مكانته الوضيعة كعبد، ولكنها خدمة طوعية نابعة من الصلاح والرحمة» (ص ٨١).

- ولذلك عندما يقيم الرب يسوع الذين سقطوا من قمة الحياة إلى الخطية، يقيمهم من سقطتهم؛ ولذلك يُدعى

القيامة (يوحنا ١١ : ٢٥) وهو يعمل هذا كله بلمسة من قوته بإرادته الصالحة» (ص ٨٢).

٣- والعمل الإلهي الذي قام به الابن لا يفصل الابن عن الآب، وهو ما يؤكده القديس باسيليوس:

«ولئلا نؤخذ بعظمة الأعمال ونتصور أن الرب منفصل عن الآب» (ص ٨٣)، فوحدة الجوهر تعني أن العمل الذي يقوم به الابن هو عمل نابع من إرادة واحدة لحياة واحدة وجوهر واحد لأن إرادة الآب متساوية مع إرادة الابن» (ص ٨٥).

كيف نفهم بعض أعمال الرب يسوع على أساس وحدة الجوهر

يسأل القديس باسيليوس:

«ما معنى أن الرب يسوع أطاع (فيلبي ٢ : ٨)، أو أسلم ذاته لأجلنا (رو ٨: ٣٢)؟ المعنى هو أن العمل الذي أتمه الابن لأجل البشر كان من الآب، ولكن عليك أن تفهم جيداً هذه الكلمات: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس» (غل ٣: ١٣). «وبينما نحن خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو ٥: ٨). هكذا نفهم أن هذه الكلمات هي عن العمل الواحد الذي من الآب بالابن» (ص ٨٥ - ٨٦).

ولماذا هذا الاصرار؟ والجواب هو أن المبدأ اللاهوتي الرسولي الذي غاب عن وعي جيل معاصر لنا هو أن الابن جاء، كما يقول القديس باسيليوس:

«هكذا نفهم أن هذه الكلمات هي عن العمل الواحد الذي من الآب بالابن»

ثم يضيف

«ولكي نفهم كلمات الرب جيداً ونتأمل كيف يعلمنا عن أبيه» (ص ٨٦).

ويقسِّم القديس باسيليوس تعبيرات الابن على هذا النحو، وهو تقسيم يؤكد

العمل الواحد للآب والابن، فيقول:

١- «هو يحرص على استخدام تعبيرات تؤكد سلطانه الخاص مثل «أنا أريد فأطهر» (متى ٨: ٣). و«أما أنا فأقول لكم» (متى ٥ : ٢).

٢- «وتعبيرات أخرى تساعدنا على أن نعرف سيدنا وصانعنا.

٣- «أمَّا التعبيرات الأخرى (أطاع، أُسلِم لأجل خطايانا) التي أشرنا إليها في السطور السابقة، فهي لكي نتعلم عن أبونا وخالقنا» (ص ٨٦).

الموضة الجديدة والكلمات القديمة

يقول القديس باسيليوس:

«إن الناضجين من الناس هم الذين يسمح لهم نضجهم بالتمسك برصانة القديم وثبات الممارسة (التي تعبر عنها الكلمات القديمة) على الخيالات الجديدة، فهؤلاء هم الذين يحفظون التسليم الذي تسلموه من الآباء نقياً دون تبديل». (ف ٧ : ١٦ ص ٧٦).

فلقد جاء الهراطقة - حسب عبارة القديس باسيليوس:

«بكلمات جديدة، فإن لغتهم تظهر الموضة والفلسفة الجديدة السائدة في عصرنا، أما نحن فإننا نقول ما قاله الآباء، وهو أن المجد الذي يعطى للآب هو أيضاً خاص بالابن» (ف ٧ : ١٦ : ٧٧).

موضة فصل المواهب عن أقنوم الروح القدس

بدأت هذه الموضة بالتمييز بين كلمة "روح" و كلمة "الروح". الكلمة الأولى قُصِد بها الكلام عن المواهب، والثانية عن الأقنوم[٥]. ولعلنا نلاحظ أن هذا التمييز

٥- راجع في هذا الموضوع بالتفصيل كتابنا عن "مواهب الروح القدس"، دراسة في الكتاب المقدس والآباء والطقس. منشور على موقع www.coptology.com

هو تمييز لغوي، وهو ذات أسلوب هراطقة القرن الرابع والقرن الخامس، مع فارق هو أن الذين قاموا بهذا التمييز لم يكن لديهم ذات سوء النية القابع في ضمائر وقلوب الهراطقة، بل كان لديهم الجهل التام بأن اللاهوت وعمل الله لا يخضع لقواعد الإعراب.

المبادئ الثابتة عن الروح القدس والتسليم غير المكتوب

في الفصل التاسع يقدم القديس باسيليوس: «المبادئ العامة التي تخص الروح، وتلك التي جمعناها من الكتب المقدسة، والتي تسلمناها من **تسليم الآباء غير المكتوب**» (٧: ٢٢ ص ٨٧). فما هو هذا والتسليم، كيف يمكن التعرف عليه؟

١- كلمة "الروح" خاصة بما هو غير محصور في مكان (يو ٤: ٢٤)، وهي كلمة تؤكد الطبيعة العاقلة وغير محدودة القوة والعظمة (٨٧).

٢- كل الذين يحتاجون إلى التقديس يلتفتون إليه، ويسعى إليه كل الذين يعيشون الفضيلة (ص ٨٨).

٣- «الكل يشرب من إلهام الروح»، أمَّا ما هو جدير حقاً بأن نلتفت إليه، فهو أن الكل «به يتقدم نحو غاية خلقه» (ص ٨٨)؛ لأن الروح «يكمِّل كل الأشياء.. فهو ينبوع الحياة.. ينبوع التقديس.. يملأ كل الأشياء بقدرته.. ويعطى للمستحقين فقط، ولا يعطى بمكيال، بل يوزِّع هو قوته على قدر الإيمان» (رو ١٢: ٦) (ص ٨٨).

٤- اتحاد الروح بالنفس يحدث عندما تختفي الأهواء.. والروح القدس مثل الشمس يساعد العين النقية، فترى عينيك في الروح القدس نفسه صورة غير المنظور، أي الله (ص ٨٨ - ٨٩).

٥- يشرق على الذين يتطهرون من كل وصمة، ويجعلهم روحيين بشركته معه ويكون ذلك مثل سقوط أشعة الشمس على الأجسام.. فتصبح بدورها لامعةً.. هكذا النفوس التي يسكن فيها الروح القدس وتستنير به، تصبح بدورها روحانية وتشع منها نعمة للآخرين وتنال هذه النفوس من الروح:

أ – معرفة المستقبل.
ب – فهم الأسرار.
جـ – إدراك الخفايا.
د – توزيع العطايا الصالحة.
هـ – المواطنة السماوية ومكاناً في خورس تسبيح الملائكة.
و – بقاءً دائماً في الله والتشبُّه به، وأسمى من كل هذا أن نصير آلهة» (ص ٨٩).

ثم يختم القديس باسيليوس كلامه، فيقول:

«هذه هي بعض المبادئ عن الروح القدس وهي جزء من الكل» (ص ٨٩).

ما هو الهدف الحقيقي من الهجوم على إلوهية الروح القدس؟

يقول القديس باسيليوس:

«إن الخصومة ليست معه كما يدعي الهراطقة، ولكن «الهدف الحقيقي هو أعظم منّا جميعاً... وهو التعليم الصحيح» (١تي ١: ١٠)... إنهم يريدون هدم التسليم الرسولي ومحوه ليصبح في مستوى الأرض» (١٠: ٢٥ ص ٩١).

فما هو هذا الذي يقوِّض الإيمان تماماً ويمحو التسليم الرسولي؟ هو إنكار إلوهية الروح، ولذلك يسأل باسيليوس العظيم السؤال الحاسم:

«كيف نصبح مسيحيين؟... وبأي طريقة نخلص» (١٠: ٢٦: ٩٢).

والجواب كما أجاب هو عليه:

أ- «بوضوح نولد من جديد بالنعمة التي تعطى في معموديتنا».

ب- «أنا الذي كنت عدواً له بالخطية وصرت بالمعمودية ابناً لله» (١٠: ٢٦: ٩٣).

ج- «لا يستطيع أحد أن يدعو الآب أباً إلاَّ بروح التبني أي

الروح القدس» (١١: ٢٧ ص ٩٥).

د- عطية التبني هي كما يقول القديس باسيليوس: «الثالوث هو الذي فدى حياتنا من الهلاك، أعطانا قوة التجديد الكامنة في السر، والذي يعطي لنفوسنا الخلاص العظيم» (١٢: ٢٨: ٩٧).

فهل يمكن بعد هذا أن يسير أحد حسب "الموضة" ليقول إننا في المعمودية ننال مواهب فقط. هذه الكلمات الجديدة لا يزيد عمرها عن ٣٠ سنة وربما ٣٥ سنة، لم نسمعها إلاَّ رداً على كتاب "العنصرة" للأب متى المسكين. وقبل ذلك كنا نسمع فقط عن الروح القدس، وكان استدعاء الروح القدس «الملك السمائي المعزي روح الحق» في صلاة الساعة الثالثة مصدر تعزية؛ لأننا نطلب أن نعود نحن إلى الحلول الذي فينا، هكذا كنا نفهم: «تفضّل وحل فينا وطهِّرنا من كل دنس»؛ لأن التطهير هو عمل روح القداسة، حتى ثارت الزوابع وعبثاً استحال الحوار، وبدأت مطاردة كل من يقول إنه ينال الروح القدس، مكتفياً بذلك دون الإشارة إلى المواهب أو الأقنوم، تماماً كما نقول في صلواتنا: «روحك القدوس الذي أرسلته على تلاميذك القديسين..." ذات الروح القدس حتى تظل الكنيسة فعلاً كنيسة رسولية لا تنقص عن الكنيسة في رسوليتها شيئاً... لكن كان صوت الغرائز أعلى من صوت الصلوات ومن صوت الأسفار.

والنقاط الأربع السابقة ليست عن مواهب؛ لأن السحابة في العهد القديم التي ظللت بني إسرائيل هي «ظل لنعمة الروح القدس الذي يطفئ لهيب الشهوات بواسطة إماتة الأعضاء» (كولو ٣: ٥) (ف ١٤: ٣١ ص ١٠٤)؛ لأن إطفاء الشهوات هو عمل الأقنوم لا عمل مواهب، فليس للمواهب إرادة، بل لأننا في المعمودية ننال «عطية الروح القدس التي تعطى في العهد الجديد» (ص ١٠٤).

ونعود للسؤال: كيف نصير مسيحيين؟ وجواب القديس باسيليوس في الفصل ١٥ هو كما يلي من واقع كلماته هو دون أي إضافة:

١- «إن تدبير إلهنا ومخلصنا الخاص بالإنسان هو استرجاع

الإنسان من السقوط والعودة إلى شركة مباشرة مع الله» (ص ١٠٦).

٢- «لكن ذلك مؤكد؛ لأن الرب تجسّد وصلب ومات وقام وأعطانا أن نتكمل بالمسيح في موته وبالدفن في المعمودية والموت والقيامة» (ص ١٠٦ - ١٠٧).

٣- «وغاية المعمودية مزدوجة:

أولاً: القضاء على جسد الخطية لكي لا يثمر للموت (رو ٦: ٥ - ٧: ٥).

ثانياً: الحياة بالروح التي تثمر القداسة (رو ٦: ٢٢)» (ص ١٠٧ - ١٠٨).

٤- وكأسقف ومعلم كنسي يؤكد أن هذا «يحدث عندما تتقبل المياه الجسد... بينما يسكب الروح القوة المحيية ويجدد نفوسنا من موت الخطية ويعيدنا إلى الحياة الأولى. وهذا يحدث في الميلاد الجديد من الماء والروح.. كذلك الحياة تُبعث فينا من جديد بواسطة الروح» (ص ١٠٨).

٥- «ومن هذا يتضح لنا أن النعمة ليست من المياه، فهي بذاتها لا تستطيع أن تعطي شيئاً وإنما حضور الروح القدس..» (ص ١٠٨).

الموضوع إذن جدُ خطير... ما نحن بصدده هو إمَّا الحياة الجديدة أي تجديد الكيان، أو البقاء في الخطية والموت، ولذلك في عبارة فريدة حقاً يقول القديس باسيليوس:

«الإنجيل هو الصورة المسبقة التي تصف الحياة الأبدية» (ص ١٠٨).

ثم يعود إلى موضوع الروح القدس. وهذه هي كلمات المعلم الكنسي:

«بالروح القدس استعدنا سكنانا في الفردوس،
وصعودنا إلى السموات،
وعودتنا إلى مكانة البنوة وحريتنا لأننا ندعو إلهنا الآب.
وشركتنا في نعمة المسيح،
أبناء النور،
ميراثنا في المجد الأبدي،
وباختصار شديد حصولنا على ملء البركة الروحية (رو ١٥: ١٩) في هذه الحياة والحياة الآتية، وكل العطايا الصالحة التي أعدت لنا أو التي نراها حسب المواعيد..» (ص ١٠٨ - ١٠٩).
«رؤية وجه الآب بالروح القدس» (ص ١١٤).

التقديس بالروح القدس

شغل هذا الموضوع عدة فقرات طويلة من الكتاب، وقد قدم القديس باسيليوس التعليم الكنسي غير المكتوب على الوجه الآتي:

- «قداسة الخليقة ليست كامنة في كيان المخلوقات، بل تُوهب من الخارج من الله» (ف ١٩: ٤٨ ص ١٢٩).
- وبناء على ذلك لا يستمد الروح القدس قداسته من آخر؛ لأن الروح القدس هو أقنوم حي متميز بطبيعه التقديس الفائقة» (ف ١٨: ٤٦ ص ١٢٥).

ما هو المقصود بالتقديس؟

لا أظن أن الذين اخترعوا "الحلول المواهبي" لديهم جواباً على ما يؤكده القديس باسيليوس في الفصل السادس عشر، فهو يؤكد أولاً وحدة عمل الثالوث القدوس، ثم ينتقل إلى التعليم الكنسي ليقول:

«يمكن أن نتعلم من المخلوقات التي خُلقت في البدء ما هي

شركة الروح القدس في الآب والابن».

والشرح الذي يقدمه القديس باسيليوس هنا خاص بالقوات السمائية، ونظراً لأهمية هذا الشرح، نفصِّل - من أجل الإيضاح - ما جاء بالفقرة ٣٨ من الفصل السادس عشر ص ١١١ وما بعدها:

«القوات النقية العاقلة التي تفوق الخليقة المرئية (الظاهرة) هي مقدسة وتظل كذلك لأنها تنال نعمة التقديس بواسطة الروح القدس، مع أن الصمت يحيط بالطريقة التي خُلقت بها القوات السمائية.. الخليقة غير المنظورة تمجد الخالق الذي خلقت به».

فما هو التقديس؟

الجواب:

«السبب الرئيسي في وجود هذه المخلوقات هو الآب، والسبب الخالق هو الابن، **والسبب المكمِّل هو الروح القدس**» (ص ١١٢).

و "الكمال" الذي حدده القديس باسيليوس هو لغة الليتورجيات الأرثوذكسية، وهو كما سنرى يعني "الوصول إلى أو تحقيق غاية الخلق"، ولذلك يقول:

«توجد الأرواح الخادمة بإرادة الآب وتنال كيانها بواسطة حضور الروح القدس» (ص ٨٢).

ولكن ما معنى نوال الكيان؟

«وتكميل الملائكة هو تقديسهم واستمرارهم في التقديس، وهو هنا ثبات الكائنات الحية السماوية في غاية خلقها».

الروح الذي يثبِّت.

«وما هو التثبيت سوى التكميل بالتقديس. والتكميل يعني الثبات وعدم التغيُّر والتمسك بالصلاح، فلا تقديس بدون الروح القدس وقوات السموات ليست مقدسة

بطبيعتها، فلو كانت مقدسة بطبيعتها فلا يصبح بينها وبين الروح القدس فرق» (ص ١١٢).

وأيضاً

«تقديسهم يأتي إليهم من خارج طبيعتهم».

ولاحظ الكلمات التالية التي تكمل هذه الفقرة:

«ويبث فيهم كمالهم بشركة الروح القدس. وهم يحافظون على رتبتهم بفضل خدمتهم بأناة» (ص ١١٢).

إذن كمال الوجود = الثبات في غاية الخلق.
والثبات = التقديس، أي البقاء في الرتبة.

ولذلك يقول القديس باسيليوس بعد هذا الشرح:

«لو افترضت أنك أزلت الروح القدس فما هي النتيجة لفقدان الروح القدس؟ تنحل قوات الملائكة وتهلك الكراسي ورؤساء الملائكة، وكل شيء يسقط في الفوضى (الانحلال أو الابتعاد عن هدف الخلق) وتصبح حياتهم بلا شريعة (ناموس) ولا طقس (ترتيب الخدمة) يميِّز خدمتهم» (ص ١١٢).

هل أدرك القارئ أننا إزاء موضوع خطير جداً؟

طبعاً سيقول أصحاب مذهب الحلول المواهبي أن هذا خاص بالقوات السمائية فقط؛ لأن محبة الجدل والشجار تدفعهم إلى هذا التهور، ولكن ماذا يقول القديس باسيليوس في نفس الفقرة:

«كيف يمكن أن يقول الملائكة "المجد لله في الأعالي. إلاَّ بقوة الروح القدس» (لوقا ٢ : ١٤).

وعن البشر يقول

«وما من أحد تكلم بالروح القدس ويقول ملعون يسوع» (أناثيما) (١كور ١٢ : ٣).

ثم تأتي المقارنة بين الشياطين والملائكة:

«القوات غير المنظورة هي حرة والقوات الساقطة في حالة اختيار بين الفضيلة والرذيلة ولذلك تظل بحاجة إلى معونة الروح القدس لكي تثبت في التقديس، **ولأنها لا تنال هذه المعونة تفقد حريتها**» (ف ١٦ : ٣٨ - ص ١١٣).

وعلى ذلك يكون فقدان الحرية = فقدان النعمة، والنعمة هي كمال أو الوصول إلى غاية الخلق، أي الثبات في رتبة وطقس ترتيب الوجود المخلوق في حرية اختيار. ولاحظ بقية الكلام:

«أنا أتمسك بما أقول، وحتى جبرائيل الذي سبق وتكلم عن المستقبل لم يقل شيئاً إلاَّ ما سبق وعرفه عن الروح القدس. ولأن النبوة هي من المواهب التي يوزعها الروح والذي أُمر أن يأتي إلى الرجل المحبوب جداً، دانيال (١٠ : ١١). من أين حصل على الحكمة لكي يبلغه (جبرائيل) أسرار الرؤى إن لم يكن قد نال الحكمة من الروح القدس؟!».

وقبل أن يقفز أصحاب مذهب الحلول المواهبي على كلمات القديس باسيليوس لكي يؤكدوا تعليمهم الذي يؤدي إلى انهيار الخليقة، أي الابتعاد عن غاية خلقها وبقاء الخليقة في الفوضى التي أشار إليها القديس باسيليوس، علينا أن نتابع شرح المعلم الكنسي:

« إن الإعلان عن الأسرار هو بنوع خاص عمل الروح القدس» (١كور ٢ : ١٠).

والتعليم هنا لا يفصل بين الأقنوم والمواهب، والسبب الأكبر هو غاية الخلق؛ لأن فقدان عطية الروح القدس يعني، بحسب شرح باسيليوس العظيم:

«إن العطية هي اسم الروح القدس، أي اسم الأقنوم. نعم فقدان هذه العطية هو الظلام الروحي، وكما في الليل إذا غاب النور من البيت تصبح العيون غير قادرة على الرؤيا

بسبب الظلام فلا يمكن تمييز الأشياء الثمينة، فيداس الذهب مثل الحديد، كذلك في عالم الحياة العقلية لا يمكن أن تستمر هذه الحياة العقلية الفائقة وفق قانونها بدون الروح القدس. إن ثبات العالم الروحي بالروح القدس هو مثل ثبات الجيش وقيامه وفق نظامه العسكري لا يمكن أن يتحقق ذلك إذا غاب قائده، أو مثل انسجام الخورس الذي يتداعى إذا أهمل مديره القيادة وضبط الأنغام. وكيف يقول الساروفيم قدوس، قدوس، قدوس إذا لم يعلمهم الروح القدس الوقفات اللازمة التي تنسجم مع الحياة الروحية والتي تسمح لهم بأن يرفعوا أصواتهم بالتمجيد؟» (ص ١١٣ - ١١٤).

وطبقاً لهذا الشرح، يبدو وكأن القديس باسيليوس يعيش معنا تلك الحقبة المعاصرة والتي امتدت طوال ٣٠ سنة وأكثر، وكأنه سمع اعتراضات أصحاب مذهب الحلول المواهبي، فبعد أن شرح ثبات القوات السماوية في التقديس يكمل شرحه في نفس الفصل فقرة ٣٩ (ص ١١٤ وما بعده)، فيقول:

«وإذا تحدثنا عن التدابير الخاصة بالإنسان التي تمت بواسطة إلهنا العظيم ومخلصنا يسوع المسيح (تيطس ٢: ١٣) فمن يمكنه أن ينكر أنها تمت بنعمة الروح القدس؟!».

ثم يضع قائمة التدبير، وهي الموضوعات الأولية التي سبقت أو الموضوعات الأولى التي سبقت عهد المسيح:

- «بركات البطاركة،
- المعونة التي حصلت بنزول الشريعة،
- الرموز والنبوات،
- قوة الأبطال،
- معجزات الأبرار» (ص ١١٥).

وبعد هذا:

«أو ما تم في تدبير مجيء ربنا بالجسد الكل ثم بالروح» (ص ١١٥).

ثم

«في المقام الأول، صار الروح المسحة وصار حاضراً بلا افتراق في جسد الرب... ومن ثم كان الرب يتمم كل أعماله بالروح» (ص ١١٥).

بل ولاحظ شركة الروح القدس في تجارب الرب في البرية:

«وكان معه حتى عندما جربه الشيطان، فقد كُتب: «أُصعد يسوع بالروح في البرية» (متى ٧: ٢٢). لأنه مكتوب: «إذا كنت بروح اللّه أخرج الشياطين» (متى ١٢: ٢٨). ولم يفترق عنه عندما قام من الأموات» (ص ١١٥).

فهل توقف عمل الروح القدس بعد صعود الرب يسوع؟ بكل تأكيد لا، ولذلك يقول القديس باسيليوس:

«لأنه لما أراد أن يجدد الإنسان ويرد إليه النعمة التي كان قد حصل عليها من نفخة اللّه التي فقدها الإنسان، قال وهو ينفخ في وجه التلاميذ «اقبلوا الروح القدس...» (يوحنا ٢٠: ٢٢ - ٢٣)» (ص ١١٥).

وموهبة، أي عطية الروح القدس كما يقول باسيليوس العظيم هنا في شرح (يوحنا ٢٠: ٢٢) هو رد النعمة الأولى التي فقدها الإنسان الأول آدم، وهو ذات تسليم الأسكندرية الذي دوَّنه بكل دقة القديس كيرلس السكندري في شرح (يوحنا ٢٠: ٢٢)، والذي سُلِّمَ بشكل غير منقطع في كتابات الآباء؛ لأن عطية الروح القدس، روح الحياة أو نسمة الحياة هو تسليم كنسي معروف منذ زمن العلامة ترتليان، فهو يشرح نفخة الروح القدس بعد قيامة الرب في (يو ٢٠: ٢٠ - ٢٢) على أنها إعادة ”روح الله الذي أُعطي قديماً عندما نفخ الله نسمة الحياة“ (مقالة عن المعمودية، فقرة ٥).

هذه العطية التي وُهبت للإنسان الأول حسب (تك ٢: ٧)، أكَّدها العلامة أوريجينوس في (المبادئ ١: ٣ - ٧، ضد كلسوس ٤: ٣٧)، وشرحها بوفرة

القديس كيرلس السكندري في (شرح إنجيل يوحنا ٥: ٢ مجلد ١، ص ٦٩٣ – ٦٩٤ – العظات اللامعة أو الأنيقة على سفر التكوين ١: ٢ مجلد ٦٩: ٢٠)، وكذلك العلامة ديديموس الضرير في (كتاب الثالوث ٢: ١٢)، كما سبق أن دوَّنه القديس مقاريوس الكبير في العظات الروحية في أكثر من عظة.

وبعد ذلك قدم القديس باسيليوس "ترتيب الكنيسة الذي من الروح القدس" (ص ١١٥)، فقد قيل إنه أقام في الكنيسة "الرسل – الأنبياء – المعلمين – هبة المعجزات – قوات الشفاء – والمعونة – حسن الإدارة، التكلم بألسنة" (١ كور ١٢: ٢٨)" (ص ١١٥ – ١٣٦).

وحتى لا يقع القارئ في فخ الحلول المواهبي، عليه أن يقرأ بدقة باقي شرح التدبير في السطور التالية التي تكمل الشرح السابق:

> «وكل من يفكر حسناً سوف يكتشف أنه في ظهور ربنا المرتقب من السماء لن يكون حضور الروح القدس في يوم الدينونة - كما يظن البعض بلا فائدة، بل سوف يحضر الروح القدس أيضاً يوم ظهوره ليدين المسكونة بالعدل» (ف ١٦: ٤٠ ص ١١٦).

ولكن لماذا يحضر الروح القدس في يوم الدينونة؟ يجيب القديس باسيليوس:

> «مَن الذي يجهل الخيرات التي أعدها الله لمن يستحقها، من لا يعرف أن إكليل البر هو نعمة الروح التي تفاض بغزارة وتعطى بالكمال في ذلك اليوم الذي يوزِّع فيه المجد الروحي لكل من ناضل نضالاً نبيلاً شجاعاً؟!» (ص ١١٦).

لقد أخذنا في الزمان الحاضر "عربون الروح القدس"، وهو حلول أقنوم الروح القدس فينا، أي حلول الله نفسه، ولكن في يوم الدينونة سننال الحلول الكامل، لأن «الأمجاد التي تعطى للقديسين وفيرة...» لأن الروح حاضر بنوع ما في الذين خُتِموا مرةً (الميرون) وهو يعمل على خلاصهم» (ص ١١٧).

الحلول الكامن في النفس الإنسانية

كأنك كنت تعيش معنا يا باسيليوس العظيم؛ لأن من هو الروحاني حقاً؟ ليس من يلبس اللون الأسود، أو من يرتدي زياً خاصاً، بل الروحاني هنا هو من نال الروح القدس، وهو من يحقق غاية خلقه على صورة الله... وعندما يغيب هذا عن الإدراك؛ تهيمن على العقول غباوة تعليم يفصلنا عن الثالوث، وهكذا يقول باسيليوس:

> «الروح القدس هو الذي يكمل الكائنات العاقلة ويعطيها القدرة على الوصول إلى غاية اكتمالها... فمن هذه الزاوية بالذات يمكن أن نشبِّه عمل الروح القدس بقوة الإبصار في العين السليمة لأن عمله في تنقية النفس يشبه قوة الإبصار... لكي تستنير عيونهم بروح الحكمة (أف ١: ١٧)» (٢٦: ٦١ ص ١٥٣).

فماذا يحدث للنفس التي أخذت روح الله؟ يجيب القديس باسيليوس قائلاً:

> «إن الذي يتعلم الفن يظل الفن فيه، هكذا نعمة الروح القدس تظل في الذي يقبلها حاضرة دائماً، ولكن لا تعمل في النفس بشكل دائم... لأن الفن يظل كامناً في الفنان ويعمل فقط عندما يسمح الفنان لقوة الفن أن توجهه. هكذا الروح القدس، حاضراً دائماً في الذين يستحقون عمله، ولكنه يعمل حسب الاحتياج في النبوة أو الشفاء... ويمكن أن نضيف تشبيهاً آخر، فكما أن الصحة والحرارة كافية في الجسد مع القوى الجسدانية الأخرى وتعمل عند الاحتياج، هكذا بشكل دائم يكون الروح القدس في النفس، لكنه لا يسكن بفاعلية في الذين بسبب عدم ثبات إرادتهم، يجحدون النعمة التي نالوها، والمثال الواضح على ذلك نراه في شاول الملك (١صموئيل ١٦: ١٤)» (ص ١٥٤).

وهنا، لعل القارئ يكون قد أدرك لماذا كتبت هذا الفصل الذي ليس هو دفاع عن الأب متى المسكين، بل دفاع عن الذي تبقَّى، وخوفٌ من ضياع المصير الأبدي، لاسيما وأن جحد سكنى الروح القدس فينا صار تعليماً يقال من على بعض المنابر.

وعلينا أن ندرك ونحس روحياً بسكنى الروح القدس الكامن فينا، وهو ما يشبهه القديس باسيليوس هكذا:

> «الروح القدس يسكن في النفس مثل الإدراك الذي يكون فكرة في القلب، وأحياناً يتحول الإدراك إلى كلمة ينطقها اللسان. وهكذا يكون عمل الروح عندما يشهد لأرواحنا (رو ٨: ١٦)، أو **عندما يصرخ في قلوبنا**: «أبَّا أيها الآب» (غل ٤: ٤)، أو عندما **يتكلم نيابةً عنا** كما قيل: «لستم أنتم المتكلمين ولكن روح أبيكم هو الذي يتكلم فيكم» (متى ١٠: ٢٠)» (ص ١٥٤).

لعل القارئ يكون قد أدرك أن الروح القدس يحل، وعندما يسكن ولو بشكل كامن، يظل في النفس إلى أن يظهر هذا الحلول بالعمل أو بالموهبة. فهو يصرخ: "أبَّا أيها الآب" (غل ٤: ٤). وهو الأقنوم الذي يتكلم، حسب عبارة الرب نفسه (متى ١٠: ٢٠)، ولذلك السبب نفسه يقول القديس باسيليوس:

> «ونحن نعتقد بأن الروح بالنسبة لتوزيع المواهب هو مثل الكل الحاضر في الأجزاء، لأننا جميعاً أعضاء بعضنا البعض ولكن كل واحد حسب موهبته - حسب النعمة التي تُوهب» (رو ١٢: ٥ -٦)» (ص ١٥٤).

الروح هو مقر ومكان القديسين

يقول القديس باسيليوس:

> «ما سوف أقوله الآن يبدو غريباً، ولكنه مع ذلك فهو حق.

فالروح يوصف عادة بأنه "مقر" الذين تقدَّسوا، وسوف نرى هذا التشبيه لا يحط من كرامة الروح القدس، بل بالحري يمجده فالكلمات... تكتسب معنىً روحياً... الله يوصف بأنه «كن مخلصاً ومكاناً معيناً» (مزمور ٧١: ٢س). وعن الروح قيل «هوذا موضع لي وصخرة لأقف عليها» (خروج ٣٣: ٢١س)... وعن مكان العبادة قيل: «احترس من أن تصعد محرقاتك في كل موضع... ولكن في المكان الذي يختاره الرب إلهك (تثنية ١٢: ١٣ - ١٤). وما هي هذه العبادة الحقيقية سوى الذبائح الروحية أي ذبيحة التسبيح (مزمور ٥٠: ١٤ س)، وفي أي موضع تقدمها؟! في الروح القدس؟ وممن تعلمنا ذلك؟ من كلمات الرب نفسه «الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق» (يوحنا ٤: ٢٧)... حقاً **إن الروح هو مكان القديسين، وكل قديس هو حقاً مكان الروح القدس**، لأنه يقدم ذاته ذبيحة وهيكلاً لسكنى الله، ولذلك قيل عن القديسين «إنهم هيكل الله» (١كور ٦: ١٩)» (ف ٢٦: ٦٢ ص ١٥٥).

سكنى الروح فينا ليست استيعاباً للروح القدس

في عبارة فريدة لا غموض فيها يشرح القديس باسيليوس العلاقة بين الروح القدس والمخلوقات، فيقول مؤكداً:

«إن صلة الروح بالمخلوقات قيل عنها إنه فيهم بطرق مختلفة» (ص ١٥٦).

أمَّا عن صلة الروح بالذين يسكن فيهم من ناحية، وبالآب والابن من ناحية أخرى، فالمعلم الكنسي يوضحها قائلاً:

«الإيمان الصحيح يعلمنا أن نقول إن نعمة الروح القدس الفياضة في الذين يسكن فيهم الروح القدس والتي تصل

إليهم، يمكن أن نقول إنها في الذين يقدرون أن يقبلوه. أما كيانه الأزلي قبل الدهور وقيامه مع الابن في ذات الجوهر فهو ما لا نستطيع أن نتأمله بدون الألفاظ التي تعبِّر عن شركته الأزلية» (ص ١٥٦).

الأقنوم والمواهب

يُعد الفصل الرابع والعشرون من كتاب القديس باسيليوس عن الروح القدس، من أهم المرجعيات التي لابد من دراستها بعناية، حيث يدافع القديس باسيليوس عن شركة الروح القدس في المجد الذي يقدِّم الثالوث فيقول:

«لأن الروح القدس في كل شيء مشترك في جوهر اللاهوت: في الاعتراف بالإيمان - في معمودية الفداء - في صنع المعجزات - في سكناه في القديسين - وفي النعمة التي تفاض على الذين أكملوا الطاعة» (ف ٢٤ : ٥٥ - ص ١٤٥).

فهل يمكن فصل الأقنوم عن المواهب؟

يرد القديس باسيليوس قائلاً:

«لا توجد موهبة واحدة يمكن أن تعطى للخليقة بدون الروح القدس بل لا يمكن أن ينطق أحد بكلمة واحدة دفاعاً عن المسيح إذ لم يحصل على معونة الروح القدس حسبما تعلمنا من أناجيل ربنا ومخلصنا (متى ١٩: ٢٠)» (ف ٢٦ : ٥٥ ص ١٤٥).

فهل يمكن فصل الكلام الخاص بالشهادة عن مصدره، أي الأقنوم؟

وهل كان القديس باسيليوس يعلم بتزييف الإيمان في زماننا غير السعيد الذي يُهاجم فيه الإيمان من على منابر كنائس؟ يقول القديس باسيليوس:

«الروح يعرف أسرار الله» (١كور ٢ : ١ - ١١).. هو يقيم الأموات ويحيي مع الله الآب الذي يخلق ويُحيي الكل (١تيموثاوس ٥ :

١٣).. يحيي ويقيم الأجساد كما أقام المسيح نفسه (رو ٨: ١١). يعطي حياةً أبدية «الروح يعطي الحياة الأبدية» لأنه قيل «الروح حياة لكم بسبب البر» (رو ٨: ١٠)».

وعند هذه الكلمات الأخيرة لم يتوقف، بل قال وهو يتعجب من بجاحة الهراطقة:

«كيف يمكن أن تفصل الروح عن قوته الإلهية المحيية وتنسبه إلى الخليقة المحتاجة الحياة؟!» (ص ١٤٦).

ولاحظ قوة ومتانة التعبير الخاص بالعطية:

«حقاً إن الروح هو عطية اللّه ولكنه عطية الحياة لأن شريعة روح الحياة هي التي جعلتنا أحراراً» (رو ٨: ٢)» (ص ١٤٧).

عطية القوة

«والروح القدس هو أيضاً «عطية القوة» لأنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم» (أع ١: ٨)... ألم يعطِنا اللّه الآب نحن البشر ابنه الوحيد عطية (رو ٨: ٢٣)... وطبقاً لذلك يصبح الذين يتخذون من محبة اللّه العظيمة وشفقته فرصةً للتجديف أشد نكراناً من اليهود، لأن هؤلاء يقاومون الروح الذي أعطانا الحرية أن ندعو اللّه الآب أبانا «أرسل اللّه روح ابنه إلى قلوبنا صارخاً أيا أيها الآب» (غلا ٤: ٤)» (ص ١٤٧).

ويختم هذه الفقرة بعبارة جديرة بأن تُنقش على قلوبنا عن العطية:

«بسبب هذه العطية يصبح صوت الروح القدس هو نفسه صوت الذين نالوه» (ص ١٤٧).

فكيف لنا إذن أن نسمع صوت المواهب؟ ومتى كانت المواهب تستطيع أن تتكلم؟!!!!

لمحات من تراثنا الليتورجي

تقديس الكنائس

الكنيسة هي مكان استعلان كهنوت الرب يسوع نفسه، ولذلك تقول الصلاة بعد القراءات:

- «لنكن مستوجبين لخدمة هذا العهد الجديد، لنستطيع باستحقاق أن نرفع اسمك القدوس ونقف لخدمة كهنوت سرائرك الإلهية..».
- «اقبل منا هذا التقديس **وكمِّله بنعمتك** لنمتلئ بمواهبك السمائية..».
- «أنت الطبيب.. **أنت النعمة والارتقاء والرجاء والحياة والقيامة**» (صلوات تكريس الكنائس الجديدة - نسخة البابا كيرلس الخامس، ص ٣٤٨ - ٣٥٠ - ٣٥١)[٦].

ثم لاحظ أن الكنيسة هي ملجأ وملاذ المتواضعين (ص ٣٦٦). لماذا؟ «وليمتلئوا بروح قدسك ويتركوا منهم الحزن وعدم الإيمان» (٣٦٦) فهل أصبحت طلبة الامتلاء من الروح القدس هرطقة؟!

وعن مبنى الكنيسة تقول الصلاة:

«قدسه واملأه من روح قدسك، اجعل فيه خاتم خلاصك، وفعل قوتك ϯⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲁ غير المرئية، املأه من مجد لاهوتك ليكون بيت بركة وتسبيح..» (ص ٣٧٦).

وبعد ذلك يُستدعى الروح القدس بنفس كلمات استدعاء الروح القدس في القداس الكيرلسي: «أرسل لنا من علوك المقدس ومن مسكنك المستعد (الابن المتجسِّد) ومن غير المحصور في حضنك البارقليط روح القدس ذو الأقنوم».

ومع احترامنا الفائق للأستاذ العظيم د. وهيب عطا الله، فقد وردت روح قدسك

٦- اعتمدنا على نسخة البابا كيرلس الخامس الموجودة في المتحف البريطاني ونشرها المستشرق الإنجليزي جورج Horner في سنة ١٩٠٢.

بدون أداة التعريف "روح القدس" في الترجمة العربية، ولكن في القبطية وردت بأداة التعريف ⲡⲓ ⲡ̅ⲛ̅ⲁ̅ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ وبينما وردت أقنوم بدون أداة التعريف ⲟⲩϩⲩⲡⲟⲥⲧⲁⲥⲓⲥ إلاَّ أن الكائن في حضن الآب لا يمكن أن يكون روح قدس وأقنوم غير معرَّف، وتأكيداً لذلك تقول الصلاة عن الأقنوم:

«القوي،

المحيي،

الناطق في الناموس والأنبياء،

الكائن بكل مكان،

المالئ الكل،

موضع الفاعل (وهي نفس الكلمة أي مكان التي وردت عند القديس باسيليوس، وهنا مكان القوة الفاعلة)

بسلطانه... **المساوي معك**، المنبثق منك، المشارك كرسي مُلك مجدك وابنك الوحيد» (ص ٢٧٨ - ٢٨٠).

تقديس المذبح

«المذبح يظلله الشاروبيم من أجل اللاهوت الغير المرئي» (ص ٤٢٤).

- «يا من أرسل على رسله القديسين روح قدسه المعزي المنبثق من الآب أنت الآن أيضاً أرسله على عبيدك وعلى هذا الموضع لكي تباركه... مذبح سمائياً» (٤٢٦ - ٤٢٧).

واستدعاء الأقنوم المنبثق من الآب ليس بالتأكيد استدعاءً لموهبة.

وهل توجد طلبة أدق وأعظم من هذه:

«يا ربنا يسوع المسيح الواحد مع البارقليط روح الحق، روح الآب الذي صعد إلى أعلى السموات بمجدٍ، وأرسل البارقليط القدوس، الآن أيضاً نطلب من أجل الروح القدس ليحل على هذا المذبح المقدس» (ص ٤٣٤).

وفي طلبة الشماس عن المذبح:

«يا محب البشر كمِّل تقديس هذا المذبح من قبل زيت النعمة (الميرون) وسر الروح القدس.. ونقف نحن أمام كرسي ملكوتك..» (ص ٤٤٤ - ٤٤٥).

وفي صلاة التقديس:

«بمحبتك للبشر أرسل روحك القدوس وكمِّل هذا المذبح» (ص ٤٥٠).

ويرشم المذبح بالميرون، ويذكر اسم القديس أو الشهيد الذي يقدس المذبح لاسمه.. باسم الآب والابن والروح القدس.. وهنا يصبح ذكر صيغة التعميد، وهي الصيغة التي توحِّد كل أعضاء الجسد الكنيسة، والدهن بالميرون، وذكر القديسين والشهداء هو أيضاً ليست فقط شركتنا في ذات عطية الروح القدس لهم، بل اتحادنا بهم بالروح القدس؛ لأنهم «مكان حلول الروح القدس» كما ذكر القديس باسيليوس، وتؤكد هذه الصلاة أيضاً ذات المعنى «اجعله محلاً لروحك القدوس لنكون فيه» (ص ٤٦١).

التسليم الرسولي لسر الإفخارستيا

نحن "هيكل الله" لسبب واحد، وهو حلول الروح القدس فينا، ونحن أيضاً «ذبائح حية مقبولة وهي خدمتنا (عبادتنا) الروحية» (رو ١٢: ١). فإذا كان القديس باسيليوس قد ذكر أننا ننطق بالروح القدس، وأن ترتيب الكنيسة هو من الروح القدس، وأن الروح القدس هو الذي يكمِّل ويثبِّت كل الأشياء، فكيف يؤكد التسليم الكنسي هذا وكيف تعلن صلواتنا هذه الحقيقة؟

بدايةً نقول: إذا غاب من الوعي المعاصر عند البعض أن الرب يسوع مع الروح القدس هما معاً اللذان يخدمان السر، وأن الكاهن يحلُّ محل المسيح، يكون قد غاب من الوعي أن الخدمة الكهنوتية هي خدمة الرب نفسه، بالرغم من أن الكاهن الذي يقف عند المذبح يقول في صلاة الاستعداد:

«أيها الرب العارف قلب كل أحد. القدوس المستريح في قديسيه (لأن القديسين هم مكان الروح القدس، كما ذكر القديس باسيليوس) أنت تعلم أني غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب لهذه **الخدمة المقدسة التي لك**».

وهو هنا لا يقف عند هذه العبارة التي وإن كانت تبعث الوعي بالتواضع، إلاَّ أن الجانب اللاهوتي الصارخ لم يُرتَّب من أجل التواضع، بل من أجل ما هو أكبر وأعظم من السلوك الإنساني، وقصد ما أسسه الرب يسوع بالروح القدس، ولذلك يقول الكاهن: «امنحني أن أجد نعمة ورحمة، وأرسل لي قوة من العلاء». هذه القوة ليست صدىً لوعد الرب يسوع، بل هي تحقيقٌ لما أعلنه الرب نفسه بعد القيامة وقبل الصعود: «ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم» (أع ١: ٨). هي قوة الشهادة. وحسب التسليم الكنسي، فقد حلَّ الروح القدس في يوم الخمسين عندما كان الآباء الرسل في اجتماع إفخارستي، وغنيٌّ عن البيان أن هذا التسليم يختفي وراء كلمات صلوات الساعة الثالثة في "الأجبية"، وهي تسليم الكنيسة الجامعة القبطية واليونانية وغيرها.

ولذلك يقول الكاهن:

«كن معنا. اشترك في العمل معنا ... أنت يا سيدنا اجعلنا مستوجبين بقوة روحك القدوس أن نكمل هذه الخدمة... نقدِّم لك صعيدة البركة»[٧]... لأن هذه الذبيحة "طاهرة" (مقدسة) حسب موهبة روحك القدوس ⲕⲁⲧⲁ ϯϫⲱⲣⲉⲁ».

ولأن ما سُلِّمَ من الرب هو خاصٌّ بالرب، وهو وسيط العهد الجديد والكاهن الحقيقي الذي تستمد منه الكنيسة الخدمة الكهنوتية؛ تنتهي الصلاة: «بالمسيح يسوع ربنا»، ولكن الصلوات لا تنتهي عند ذكر الوسيط والكاهن الرب يسوع فقط، بل تنتهي صلواتنا بذكصولوجية ثالوثية تقول:

«هذا الذي من قبله (بواسطته) المجد والكرامة والعز والسجود تليق بك (الآب) معه (الابن) مع الروح القدس المحيي المساوي لك الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين».

وإن كنا لم نعد نسمع ختام هذه الصلوات؛ لأنها كُتِبَت كتسليم سري، ولكن من الواضح أن عدم سماع مثل هذه الصلوات يؤدي إلى عدم الوعي بالثالوث في

٧- البركة هي اسم الإفخارستيا المتواتر عند القديس كيرلس الكبير في شرح إنجيل يوحنا.

الحياة الكنسية.

ونفس صلاة الاستعداد في القداس الغريغوري تطلب:

«أرسل عليَّ نعمة روحك القدوس واجعلني مستحقاً أن أقف على مذبحك المقدس بغير وقوع في دينونة».

وقد لفت نظري تعبير **"أقف على المذبح"**، وهو تعبيرٌ ورد في صلاة أخرى: «أرسل لنا عطية روحك القدوس لكي **تأتي على مذبحك المقدس**»، ولم أجد في الأصل القبطي ما يجعلني أُغيِّر ترجمة النص إلى "أقف عند مذبحك"، بل إن البحث في الأصول الليتورجية أكَّد المعنى ذاته؛ لأننا نحن «ذبائح حية روحية» (رو ١٢: ١)، وهذا ما تؤكده صلوات المعمودية، فنحن نقدَّم على المذبح في صلوات المعمودية، حيث يقول الكاهن: «وعبيدك الذين قدَّموا أبنائهم على مذبحك المقدس..»، ثم يكمل الكاهن أوشية القرابين كما وردت في رفع بخور باكر. ونحن لا نوضع قرباناً على المذبح إلاَّ لسبب واحد، وهو أننا ذُبِحنا وصُلِبنا مع المسيح.

ويرتفع الوعي الروحي في القداس الكيرلسي؛ إذ يطلب الكاهن:

«اعطني يا رب روحك القدوس، النار غير المادية (غير الهيولية) التي لا يُفَكَّر فيها (تعلو على الفكر) ...
ويجعل في فمي الكلمات المُطهِّرة[٨]».

هذه الكلمات - كما ذكر القديس باسيليوس - ينطقها الروح القدس، ولذلك تقول هذه الصلاة:

«**لكي أُكمِّل** هذا القربان الذي هو سر جميع الأسرار بصحبة وشركة مسيحيك».

٨- أي الكلمات الخاصة بالتقديس، فقد حفظت الكنيسة القبطية في صلواتها المعنى العبراني القديم جداً لكلمة "قدوشاه" أي الطاهر والنقي لأنه مخصص لله ومن الله ويقدَّم لله.

ماذا بعد؟

كانت وصية القمص مينا المتوحد منذ عام ١٩٥٧ أن أبدأ بدراسة الليتورجية؛ لكي أفهم التسليم، ومن ثمَّ أعود بكل ما أعرفه إلى الليتورجية لكي تزداد معرفتي بالليتورجية... طريق طويل...

وهكذا عندما جاء ذلك الجدل الشيطاني ليدمر الحياة الأرثوذكسية على يد "مدرسة الفصل": فصل الثالوث عن الإنسان - فصل اللاهوت عن الثالوث - فصل الأقنوم عن المواهب... سؤالٌ فرض نفسه - طرحه الأب متى المسكين في تسجيل صوتي وهو يبكي - : هل فقدت الكنيسة الروح القدس؟ والجواب المخيف: نعم، وبذلك تكون قد فقدت الله نفسه. وأُضيف: بل وصارت عارية، وجاء التعري من داخلها، فقد خلعت ملابس الخلود والمجد لكي ترتدي ملابس فلسفة اللغة وصراعات الألفاظ، وتدخل بحر الكلمات لا بحر التقديس لكي تسقط في أكبر هوة تنتج عن هذه المدرسة، وهي تلك الهوة التي تنتهي بفصل الإنسان عن الثالوث. وعندما نُبعد كل شيء يبقى السؤال الخطير... ماذا بقي من المسيح لدينا لكي ننال به قوة الحياة.

الفصل الثاني

"مع المسيح في موته وقيامته"

يبدو غريباً على عالم الفكر أن نناقش كتاباً صدر منذ نصف قرن، وأن تُنشر هذه الدراسة بعد أن رحل المؤلف الأب القمص متى المسكين عن عالمنا الواقع تحت وطأة الموت، والذي يحرك فيه الموت، لا الحياة، الكراهية وإثارة المخاوف، ونشر أكبر قدر من الأكاذيب حتى لو كان ذلك على حساب الإيمان، والهجوم الذي لم يتخلَ فقط ليس عن آداب المسيح، بل حتى عن آداب المجتمع المصري الذي ينتهر كل سلوك شرير بكلمة واحدة، هي: "عيب".

وحقاً سلك الأب متى المسكين سلوك آباء البرية، فلم يدافع عن نفسه، بل وقال عبارةً قوية: «أنا أحني رأسي لسكين الجزار». وقد جاء صمته دفاعاً عن الحياة الرهبانية التي ترى في خطايا البشر جميعاً "الضعف" القابع في حياة كل إنسان[٩] لكن صمت الأب متى المسكين، رغم أنه كان طوق النجاة للدير ولكل الآباء والأخوة الذين دخلوا الحياة النسكية، قد دفع آلة الظلم للتطاول على الإيمان نفسه، ولم يعد الموضوع هو كتاب أو عدة كتب، بل أصبح الإيمان نفسه معرضاً لأكبر حركة تزييف في تاريخ كنيسة مجيدة شريفة عفيفة غنية شاهدة وأم الشهداء. هذا التزييف تجلى في عدة صور:

الأولى: مقالات تُكتب باسم "بدع حديثة"، في حين أن هذه المقالات هي في حد ذاتها البدع التي جاء بها تلاميذ ماكنتوش وسبرجن، وقد تناولت هذه المقالات أسس الإيمان بغرض طرح البديل الذي لا أساس له في التاريخ القبطي نفسه.

٩- عندما اتُّهم أحد الخدام بالزنى، قال الأب متى المسكين: عندما قال الرب يسوع: «مَن نظر لامرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه»، وأَضاف الأب متى المسكين: «هكذا حكم الرب على كل رجال الدنيا بالزنى، فكيف نحصر الاتهام في شخص واحد».

ثانياً: اعتبار مرحلة النهضة القبطية التي بدأت في أول الأربعينات هي المرجعية الوحيدة التي "تجُب" كل ما قبلها، وتحكم على بواكير النهضة الآبائية التي بدأت في أول السبعينات، وكان محركها الأول هو القمص متى المسكين.

ثالثاً: اعتبار ما وصل إليه الأنبا شنودة الثالث من تعليم ومعه زمرة لا تزيد على عدد أصابع اليد الواحدة من أساقفة، المرجعية الأولى والأخيرة، والويل لمن يعارض.

وإلى جوار كل ما تقدم، تأتي أحداثٌ جسام دامية: كنيسة الخانكة – العذراء قصيرية الريحان تحفة الفن القبطي – وسفك دماء بريئة في الزاوية الحمراء – اعتداء على ممتلكات، ومسلسل من رعب وخوف تراجع فيه نظام الحكم عن تنفيذ القانون ومطاردة المجرمين، وحلَّت المجالس العرفية بإشراف وزارة الداخلية محل القضاء لكي يتراجع دور القانون والمحاكم وتصبح مشاكل وجرائم المجتمع المصرى في يد رجال الدين من الطرفين، وجاءت هذه الممارسة على حساب تراجع دور الحركة الوطنية، بل وتراجع الحراك السياسي إلى مربع الدين... قد أبرز هذا الدور الزعامة السياسية للأنبا شنودة، وهو دور رسمه الرئيس السادات في دهاء لكي يتمكن من إسكات المعارضة القبطية وحشر الأقباط في الكنائس لكي يتمكن من التعامل معهم عن طريق الكنيسة... وحاول نفس الشيء مع المسلمين... ولكنه دفع حياته ثمناً لهذه الخطية السياسية الكبرى.

وهكذا جاءت ثمرة الزعامة السياسية الكنسية بكل سلبيات أي زعامة سياسية:

١- الالتفاف حول الزعيم وإسكات كل صوت لمن يعارض، وعليه أن يواجه الاتهام بأنه بروتستانتي وخائن وهرطوقي، والقاموس يمكن أن يمد من يشاء بأوصافٍ أخرى.

٢- ضاع الإفراز أو التمييز، وحل محل الإفراز "التشيُّع": أنا مع فلان ضد فلان، والاسم فقط يكفي، دون أن يكون هناك داع لفحص الأفكار.

٣- وهكذا غطت سحابة الصراع السياسي الموضوع الأول والأخير الذي

وُجدت الكنيسة لأجله، ألا وهو الإيمان. وأصبح كلام الزعيم هو "الإيمان"، بل أصبح هو نفسه "الكنيسة"، وهكذا تم اختزال تاريخ كنيسة رسولية عريقة في شخصٍ واحد.

أنوار في آفاق معتمة

بالطبع لم تستطع قوى الظلام أن تغطي كل شيء. كانت أول بارقة هي كتابي "الأصول الآبائية الأرثوذكسية لكتابات الأب متى المسكين"، وجاءت ردة الفعل تؤكد أن الوعي الكنسي حي لم يمُت، وأن الضغوط النفسية والسياسية اليومية لم تقتل الاهتمام بالإيمان. ثم رحل الأب متى المسكين عنّا بعد رحلة شاقة جداً لكي يعود وجهاً مشرقاً في احتفال لوزارة الثقافة بذكرى الأب متى المسكين. وكان أهم ظاهرة في هذا الاحتفال هو العدد الكبير من الشباب الذي وُلِد في الستينيات والسبعينيات، والذين جاءوا من مختلف محافظات مصر، وكانوا يمثلون الوعي والنضوج وحب البحث الذي غاب عن جيلٍ سبقهم عاش على ثقافة كتب الإرساليات وما صدر في الأربعينيات، ويجب أنً نضيف، أنهم كانوا أكثر شجاعة ورجولة... فالكنيسة هي جسد المسيح الحي الذي غلب الموت.. ولا موت في المسيح.. لذا جاء هؤلاء الأحياء لكي يذكروننا بالشهادة الحية.

ختام الأمر كله

يقول سفر الجامعة: «اسمع ختام الأمر كله» (جامعة ١٢: ١٣). فما هو ختام الأمر كله، بل ما هي المقدمات، وما هي النتائج أو الختام؟

يمكننا أن نقرأ النتائج أو الختام في مقدمة رئيسية، ألا وهي ما تعرض له الرب يسوع المسيح نفسه – على يدِ زمرةٍ من معتلي المنابر – من محاولات تشويه تخدم الاستبداد والخضوع لسلطان مزعوم ومدعوم من الشيطان نفسه لا من المسيح الذي خدم وغسل أرجل يهوذا مُسلمه ومات عن الخطاة، فما الذي تعرض إليه المسيح له المجد على أيدي هؤلاء؟

أولاً: أصبح الرب يسوع ضحية غضب الآب، وثمن إرضاء العدل الإلهي،

لا الرب والمخلص والابن الوحيد الحبيب للآب. هو من يجب أن يموت تحت العذاب، وأن يُضرب ويُجلد لكي بجلداته ننال رضي وغفران الآب.

ثانياً: لم يصبح تجسّده هو أساس الاتحاد بالثالوث، ولا هو ينبوع الخلاص، بل أُبعِد تجسّد ابن الله، فأصبح التجسّد مقدمة للصلب لكي يختفي من الوعي الكنسي أن التجسّد هو اتحاد اللاهوت بالناسوت، أي اتحاد الله بالإنسانية، وأن هذا الاتحاد هو القوة الفاعلة في السرائر لاسيما "سر الأسرار" أي العشاء السري.

ثالثاً: تحوَّلت القيامة إلى حَدثٍ مُكمِّل للصلب؛ لأن الصلب في وعي الذين أعادوا لاهوت العصر الوسيط الأوربي هو إرضاء كرامة الله التي أهانها الخاطئ، وهكذا لايمكن أن تُرفع العقوبة إلاَّ بالاعتراف على الأب الكاهن، فهو هنا صاحب السلطان الإلهي في الغفران، وليس الله الآب. بل لم يعد الأب الكاهن هو الأب الروحي الذي تتجلى فيه المحبة الإلهية – هذا ظاهر عند البعض – ولكنه صار هو مصدر السلطان الإلهي، وبذلك نُقِلت المغفرة من علاقة الشركة في حياة الثالوث إلى وساطة السلطة الكهنوتية التي صارت سلطةً موازيةً لسلطان المسيح الكاهن الأعظم، وضاعت بذلك خدمة المسيح الكهنوتية الأبدية، أي خدمة محب البشر الذي أسس العهد الأبدي بدمه (عب ١٣: ٢٠)؛ لكي تصبح القيامة هي خدمة الحياة.

رابعاً: وعندما جدد تلاميذ الآباء دور الروح القدس في حياة الكنيسة، وهو الدور الإلهي نفسه الذي حركه الأب متى المسكين أولاً بكتاب العنصرة، وثانياً بعدة مقالات ودراسات عن الروح القدس... حوَّل الشيطان الأنظار إلى جدل لغوي ومقولات عقلية مؤداها أننا لا ننال الأقنوم بل المواهب فقط. وعندما تم حصر عمل أقنوم الروح القدس في المواهب فقط – رغم أن أصحاب هذا الهجوم على روح الله لم يكن في حياتهم ما يُوحي بأنهم نالوا أهم عطايا الروح القدس، وهي عطية حياة الروح القدس نفسه أي المحبة (رو ٥: ٥) – بات الخطر الحقيقي واضحاً، وقد تجلى في الآتي:

- فصل عمل الروح القدس عن عمل الابن الوحيد.
- ضياع الحياة الأبدية التي تُوهب من المسيح يسوع ربنا بالروح القدس.

– تحولت قيامة الجسد إلى ما يشبه قيامة بقدرة إلهية غامضة، وليست بسبب سكنى الروح القدس فينا؛ لأن روح يسوع الذي أقام يسوع من الأموات هو الذي سوف يقيم أجسادنا المائتة (رو ٨: ٩ وما بعده).

– وأصبح الحديث عن الروح القدس "الرب المحيي" محرماً تحريماً شبه كاملٍ، رغم وجوده في صلوات الساعة الثالثة واستدعاؤه في القداسات لتحول الخبزً والخمر إلى جسد الرب ودمه، وهو تحول يقوم به نفس الروح الذي "كوّن"جسد الابن الكلمة في أحشاء القديسة مريم، فهو الذي يعطي لنا الابن المتجسِّد.

فما الذي ضاع في هذا الصراع غير المقدس؟

١– ضاعت نعمة السرائر لاسيما الإفخارستيا؛ لأن بطريرك كنيسة كيرلس السكندري الـــ (١١٧) بعث من جديد عبارة نسطور التي يقول فيها إننا نتناول الناسوت فقط.

٢– ضاعت علاقتنا بالمسيح يسوع؛ لأنه أصبح مجرد فدية وثمناً يُدفع عن الخطايا، ولم يعد هو الحياة الجديدة التي يسكبها الآب فينا.

٣– وعندما مات الرب يسوع على عود الصليب لكي يرضي العدل الإلهي؛ تحول موت المسيح إلى حقيقة قانونية تنتمي إلى تاريخ قديم مضى لا إلى حياة تُعاش فينا، أي أننا لم نعد نقول مع رسول الرب وشاهده: «مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠).

هكذا تسير قافلة الهدم لكي تهدم بشكل منظم كل شيء.

الأصول الرسولية

كان آخر لقاء لي مع الأب متى المسكين في عام ١٩٨٨ في الكيلو ٧٠ قرب الإسكندرية. وقد دام الحديث طوال ثلاث ساعات، بدأ بكتاب "الخلقة الجديدة" الذي يجب مقارنته في دراسة خاصة بكتاب خدمة المعمودية المقدسة الخاص بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية أم الشهداء.

وكانت ملامح الهدم قد بدأت تؤتي ثمارها واضحةً قبل تاريخ هذا اللقاء بمدة طويلة. وقد تبدت هذه الملامح في أن علاقة المؤمن بالمسيح باتت قضية عقلية تبدأ بفكرة وتنتهي عند فكرة، أي أنها تبدأ بالإنسان الذي يفكر في هذه العلاقة ثم تنتهي بما يصل إليه الفكر من نتائج كلها محصورة في "السلوك الفاضل الجيد" فقط. وبكل يقين "السلوك الفاضل الجيد" هو ثمرة وليس هو الأساس؛ لأن ما لا يجب أن يغيب عن وعينا، بل نضعه نُصب أعيننا، هو تجديد الكيان – حسب شهادة كتاب خدمة المعمودية في كنائس الأرثوذكس – ومن تجديد الكيان نفسه تظهر الثمار الصالحة. السلوك الجيد الفاضل والمقدس في كل شيء لا يجدد الإنسان، بل المسيح يسوع هو الذي يجدده. وهكذا بات من الواضح أننا إزاء تزييف علاقة كيانية بدأت أولاً بخلق الإنسان على أو حسب صورة الله (تك ١: ٢٦)، وهو موضوع غائب من الأدبيات القبطية المعاصرة، ثم نقل المسيح كيان الإنسان آدم الأول إلى ذاته حسب تعبير معلمنا العظيم أثناسيوس: «لكي ينقل أصلنا إلى ذاته حتى لا نبقى بعد من التراب ونعود إلى التراب» (ضد الأريوسيين ٣: ٣٤ – الرسالة إلى أدلفوس فقرة ٤)؛ لكي يتم سر تجديد الإنسان "في المسيح".

كانت هذه هي رسالة الأب متى المسكين ومن أجلها "ذُبِحَ" علناً في مجازر الزور والكذب.

وعندما رفع البعض شعار "بالروح والدم نفديك يا صليب"، ظهرت ثمار تعليم العصر الوسيط؛ إذ لم يعُد الصليب هو تحرير الإنسان وفداؤه، بل أصبح الصليب – كما صاغ لاهوت العصر الوسيط – هو رد الكرامة التي أُهينت بواسطة آدم، وهو ما يجعل رد الكرامة عملاً مطلوباً من تلاميذ العصر الوسيط الذي نقل الصليب من فداء الإنسانية إلى فداء الله من الغضب والانتقام، فتحول الصليب إلى أداة في يد القيادات السياسية لتوقيع العقاب على المخالفين.

وعندما قال الأب متى المسكين في العديد من المناسبات، بل وفي مواضيع كثيرة إن الصليب هو تحرير الإنسان، ودعوة للصلب مع المسيح، قال أحدهم معلقاً: إن الأب متى يدعو إلى الانتحار، في حين أن الصليب يقاوم العنف بالغفران،

والظلم بالمحبة. ولكن عندما يتحول الصليب إلى شعارٍ سياسي في مظاهرات لا ننكر شرعيتها الدستورية للمطالبة بالعدل وتطبيق القانون، ويهتف المتظاهرون "بالروح بالدم نفديك يا صليب"، عندئذٍ يحق لنا أن نتساءل: عن أي صليبٍ يهتفون؟ هل يصلح أن يكون هو الصليب الذي دعى إليه المسيح نفسه كشرط للتلمذة: «احمل صليبك واتبعني»، وهل يمكن أن يكون هو صليب الجلجثة الذي صُلب عليه الرب محواً لكل الشرور؟ كيف يُفتدى مَن هو الفداء والفدية؟ مَن يسمع هذا ويصمت؟... إذا صمت راهب الإسقيط باعتبار أن الصمت جزء لا يمكن فصله عن الحياة النسكية، فكيف يصمت مَن هو من غير الرهبان؟... لابد من الشهادة...

وعندما يصبح "الخلق الجديد" هو محاولة خلق الإنسان لنفسه بسلوكيات أخلاقية ليست شريرة، فإن هذا في نهاية المطاف لا يختلف على الإطلاق عن سقوط آدم، أي تحول الكيان بالمعرفة وليس بالشركة في حياة الله... وهكذا تبين لنا أن قرار الحرمان الصادر في مواجهتي قد كشف الغطاء عن رائحة موت حقيقي ظهرت بقوة في القول بأننا لا نشترك في الحياة الإلهية، وذلك من خلال اللعب على الفرق بين كلمة شركاء وكلمة شركة، وظن اللاعبون أن كلمة "شركاء" في (٢بط ١: ٣) هي أضعف بكثير من كلمة "شركة"... وهي ذات اللعبة التي لعبها آخرون مع كلمة "تأليه" و "إلوهة"، وهكذا قال الأنبا شنودة الثالث إنها دعوة إلى "الشرك"، وهي الجريمة التي يحاربها الإسلام. وهكذا حاول – كصحفي – أن يقحم الإسلام في الحوار. عند هذا الحد ضحك أحد الأساقفة العظام وتساءل: هل يؤمن هذا الإنسان حقاً بالتجسّد؟ ولأن الله هو الذي اشترك في حياتنا الإنسانية، يكون هو المشرك الأول. طبعاً الله ليس مشركاً، وإنما لأن لكلمة مشرك وقع خاص في مصر يجعل فرائص البعض ترتجف...

هذا يفرض علينا أن نوضح حقيقة علاقتنا بالمسيح، فما هي حقيقة هذه العلاقة حسب التعليم الرسولي نفسه؟

نحن كيانات مخلوقة كما قال واحد منهم، هذا صحيح، ولأننا كيانات مخلوقة

فعلاً، فنحن في أمس الحاجة إلى الخلود؛ لأن القيامة بلا خلود هي ضياع. والقيامة هي تجديد لكيان الإنسان لكي يكون الكيان مثل كيان المسيح الذي سوف يغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده (في ٣: ٢١). والقيامة بلا تجديد هي عودة إلى فردوس مصر الفرعونية وغيرها من الأدبيات التي لا ترى في القيامة إلاَّ مزيداً من الأكل والشرب والزواج... الخ.

وهكذا تطرق الحديث مع الأب متى المسكين في ١٩٨٨ إلى النقطة الفاصلة عندما سأل: ما هي علاقتنا بالمسيح يسوع؟ وقد كان ذلك محور حديث طويل معه لم أتمكن من حصولي على تسجيل له، ولكن بقي عندي ما كتبته بنفسي في وجود الأب متى المسكين، وهو كله في جوهره هو ما نشره الأب متى المسكين نفسه في أكثر من كتاب لاسيما مقالات أعياد الظهور الإلهي، ومجلدين عن الروح القدس.. فلا مجال لإضافة الجديد بالمرة. ولكن يبقى ما طلبه الأب متى المسكين، وهو مراجعة تامة لكل ما كتب ونشر عن علاقة المؤمن بالمسيح، وقال إنه فرغ من الكتابة، وأن هذا الموضوع خاص بالجيل الذي يأتي بعدي... وربما يجب أن نضيف بعد نشر هذه الدراسة، أن الموضوع خاص بالأجيال التي ستأتي بعدنا، والتي سوف تجد مفترق الطرق مزوَّداً بعلامات واضحة لا يمكن أن يخطئ أحد في فهمها، وهي:

- إن طريق السلوك حسب تغيير الأخلاق، هو هرطقة بيلاجيوس.
- إن طريق العصر الوسيط هو، الذي ينكر كل علاقة كيانية بين المؤمن والمسيح لأن كل شيء قد انتهى بموت الرب على الصليب ولا مجال للشركة مع الثالوث.
- طريق الأرثوذكسية، وهو الشركة المستيكية في حياة الثالوث، حيث الحياة الأبدية والخلود في ملكوت الله، وحلول الثالوث فينا ونوال قيامة المسيح نفسه.

الخلود في حياة الدهر الآتي

عندما تعلن الكنيسة الأرثوذكسية في اجتماعها الإفخارستي: «وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي. آمين»، فإنها تؤكد أن هذا الرجاء هو ما تذوَّقته عبر العصور، فلا معنى بالمرة للشركة في حياة الابن الوحيد وصلبه وقيامته بدون أن يكون لهذه الشركة قصد أو غاية واضحة، وهي حياة دائمة لا انقطاع فيها ولا فساد أو أيٍ من عوامل تهديد الحياة الذي تعاني معه الحياة الأرضية.

والخلود، أو الحياة الأبدية - حسب تعبير الرب يسوع المسيح نفسه - هو موضوع غاب من الخطاب المعاصر؛ ربما لأن ضغوط الحياة تمنعنا من أن ننظر إلى ما هو أبعد وأعلى من المسكن والزواج والأسعار والمرض... الخ وهي مشاغل يومية ضرورية. ولكن تحت جلد هذا الانشغال يظهر السبب الحقيقي، وهو أننا لم نسمع أو نقرأ إلاَّ شذرات في كتابات الأب متى المسكين عن الأبدية كحياةٍ حاضرةٍ معلَنَة الآن في حياتنا بشكل جزئي لأن كمال استعلانها هو في قيامة الجسد، ولكن نحن الآن في الأبدية، ولذلك نقول إننا «ننتظر قيامة الأموات» وكمال الحياة في الدهر الآتي.

على أن المشكلة ليست هي في "الآن"، وما "سيأتي"، ولكن المشكلة هي أن حياة أبدية بلا شركة حقيقية مع الله هي حياة مغلقة على الذات. ولو تصورنا - بدون العواطف الثائرة، بل وأحياناً العنيفة - أننا سوف نعيش إلى الأبد بمواهب الروح القدس فقط - وهي حصرياً وحسب أسفار العهد الجديد هي: إخراج الأرواح النجسة - الشفاء - التعليم - النبوة - التكلم بالألسنة - ترجمة الألسنة - فإننا بذلك نغلق على أنفسنا مجد الحياة الأبدية؛ لأن هذه المواهب كلها هي مواهب التدبير الخاصة بالحياة الحاضرة وبشهادة الكنيسة في العالم، ولن تدوم في الدهر الآتي، ولكن ما يبقى لنا هو عطية التبني، وعطية الخلود، وعطية الملكوت. فإذا اكتفينا بالمواهب فقط؛ عُدنا إلى تدبير الحياة الكنسية السابق على يوم القيامة، أي تدبير الكنيسة في الدهر الحالي، لا في "دهر الدهور". وهكذا تتكشف أمامنا بشاعة ما يسمى بالحلول المواهبي، وما يؤكد ما قلناه هو أن سمات الحياة الأبدية هي:

- معرفة الله الثالوث (يوحنا١٧: ١-٣).
- التبني وصراخ الروح القدس في معاينة الله الآب «أبًّا أيها الآب» (غلا٤: ٤).
- أن نصبح مثل يسوع المسيح نفسه (١يوحنا٣: ٢ - ٣).
- السكنى في الله الثالوث بسبب سكنى الثالوث فينا (يوحنا١٤: ٢٣)، وهو ما رآه الإنجيلي في أورشليم السماوية التي لا هيكل فيها لأن الله نفسه سيكون هو الهيكل (رؤيا٢١: ١-٢).

هذه المقارنة تكشف لنا - كما قلنا - عن بشاعة "الحلول المواهبي"، ذلك الحلول الذي يجردنا من شركة كاملة في حياة الله؛ لأن المواهب الخاصة بالدهر الحاضر سوف لا تجد لها مكاناً في حياة الكمال، فلا مجال لطرد الأرواح النجسة، ولا يوجد مرض ومرضى، والله مُستعلن فلا حاجة للنبوة لأن التاريخ لم يعد هو الماضي والحاضر والمستقبل، بل أصبح التاريخ هو الشركة في حياة الله، فقد تغيَّر الزمان وتتابُع الأحداث إلى ما هو أبدي وهو شركة المحبة ونمو الإنسانية «الآن نحن أبناء الله و لم يُستعلن ماذا سنكون ولكن عندما يُستعلن (المسيح) سنكون مثله (المسيح)» (١يوحنا ٣: ٢).

الشركة ليست من الخارج لأنه لا يوجد خارج وداخل بسبب الاتحاد الأقنومي

لا يستطيع أي مسيحي عاقل أن يصف علاقته بالله على أنها علاقة خارجية لأسباب متنوعة، وإن كانت كلها تسير معاً في نسق واحد:

أولاً: خلقُ الإنسان على صورة الله ومثاله، هي الصورة التي من أجلها جاء المسيح يسوع وتجسّد واعتمد ومات على الصليب وقُبِر وقام. والصورة في سفر التكوين (١: ٢٦) هي الصورة الجديدة التي جُددت في يسوع المسيح؛ لأننا سنكون في المسيح مشابهين صورة ابنه، أي ابن الآب (رو ٨: ٢٩). هذا التحول الكبير من صورة الترابي إلى صورة السمائي (١كور ١٥: ٤٦) سببه ومصدره هو ذاك الذي جاء إلينا وفي كيانه أو أقنومه الإلهي «صورة الله غير المنظور» (كو

١: ١٥)؛ لكي يعيد تجديد الإنسان. وحسب نص كلمات الرسول، فإن الترابي القديم يجب أن يُخلع مع أعماله لكي نلبس الجديد الذي يتجدد للمعرفة (وليس بواسطة المعرفة) حسب صورة خالقه، عندما تُخلع الانتماءات الطبقية والعرقية والثقافية، والتي حددها الرسول نفسه، حيث ليس أممي (يوناني) ويهودي ختان وغرلة، بربري (غير متحضر) وسكيثي، عبدٌ يباع في الأسواق، وحر، بل المسيح هو صورة الله غير المنظور الذي يجدد الكل وهو في الكل الرب الواهب الحياة الجديدة (راجع كولوسي ٣: ١ - ١١).

ثانياً: حقق الاتحاد الأقنومي - وهو تعبير القديس كيرلس السكندري، وهو يعني تأقنم الطبيعة الإنسانية في تجسّد الابن الكلمة بحيث أنها صارت الإنسان الكامل الذي بلا خطية، والغالب الموت، والحي بالاتحاد؛ لأنه مر بخبرات الولادة والنمو الإنساني حسب قوانين الجسد، وصام وغلب الشيطان، ومُسِح في الأردن، ومات لكي يبيد الموت ويرفع[١٠] الدينونة (كولو ٢: ١٤)، ويرد حياة عدم الموت، أي القيامة ويجعل شركتنا في الولادة بالمعمودية وفي المسحة في الميرون، وفي الموت والقيامة في المعمودية والميرون والإفخارستيا... هذه شركة حقيقية ليست من الخارج ولا من الداخل لأن الشركة تعبير قوي يؤكد:

١- الحصول على ما نشترك فيه.

٢- تقديم الهبة أو العطية.

وهذا هو ما يعنيه الفعل "يشترك" والاسم "شركة" كما ورد في العهد الجديد نفسه؛ لأن الفعل κοινωνεω كما ورد في (رو ١٥: ٢٧) حيث يقول رسول المسيح: «لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا في روحياتهم...»، فهي علاقة حقيقية كيانية. أليست الشركة بمعنى الحصول على شيء، واضحة من عبارة الرسول: «ولكن ليشارك الذي يتعلم الكلمة، المعلم من جميع الخيرات» (غلا ٦: ٦)؟ فهل كان رسول المسيح يتكلم عن علاقة شركة مجازية ليس لها وجود في الواقع المادي

١٠- راجع تعبير "وقد رفعه من الوسط، مسمراً إياه في الصليب" (١ كول ٢: ١٤)، وهو ما لا يتفق مع الادعاء بأن المسيح دفع الثمن على الصليب.

نفسه؟ فالخيرات ليست مجرد فكرة في العقل، بل لها وجود هو المال - الطعام ... إلخ. هي بالقطع شركة حقيقية نابعة من حياة أولئك الذين قال عنهم: «إنكم فعلتم حسناً إذ اشتركتم في ضيقي» (فيلبي ٤: ١٤). وعندما يقول رسول الرب عن وحدة الجنس البشري: «فإذا قد تشارك الأولاد في اللحم والدم»، فهذا عنَّا نحن البشر، ولكن ماذا عن الرب يسوع المسيح؟ «اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت» (عب ٢: ١٤).

أليست حقيقة تجسّد الرب هي **"شركته في اللحم والدم"** أي في ذات الطبيعة؟ وهل شركتنا في آلام المسيح هي شركة عقلية، كأن المسيح قد تألم عقلياً ونفسياً فقط، ولم "يذق الموت بالجسد"؟ ولكن يقول رسول الرب يسوع: «بل كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده..» (١بط ٤: ١٣).

ومن الفعل يأتي اسم الفاعل "الشريك"، والجمع "الشركاء". ولذلك وبخ الرب اليهود وقال: «تقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء» (متى ٢٣: ٣٠). فهل قتل الأنبياء كان عملاً معنوياً فكرياً فقط، أم اختبار شرير أدَّى إلى القتل الجسدي الفعلي؟ وهل يجوز أن نحول الفعل واسم الفاعل إلى ما هو غير حقيقي؟ وهل شريكي سمعان بطرس في صيد السمك والعمل المشترك هو شركة بلا صيد؟ بل والمدهش حقاً هو الادعاء بأن الشركة هي علاقة خارجية معنوية فقط، فهل كان تعبير "شركاء المذبح" هو شركة بلا ذبائح. (١كور ١٠: ١٨)؟ أليس تقديم ذبائح للآلهة هو ما يجعل رسول المسيح يقول: «إن ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشياطين... فلست أريد أن تكونوا شركاء الشياطين» (١كور ١٥: ٢٠)؟ نحن «شركاء في الآلام» لكي نكون شركاء في التعزية (٢كور ١: ٧).

هل يجوز بعد أن يستخدم رسول المسيح الفعل "يشترك" في تسليم السر الكنسي: «أقول كما للحكماء (أين هؤلاء الآن؟) احكموا أنتم في ما أقول: كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح.. الخبز.. أليس هو شركة جسد المسيح» (٢كور١٠: ١٥-١٧)، هل يجوز بعد ذلك أن ننكر أننا نشترك فعلاً في جسد المسيح الموضوع أمامنا على المذبح، وعلى يدي الكهنة؟

ولأننا نأخذ الروح القدس بعد المعمودية، وهي الاستنارة، وبعد تذوق الموهبة السماوية والإفخارستيا، نصير شركاء الروح القدس (عب ٦: ٤) أصبح معنى الشركة هو حقيقة حصولنا على عطية الحياة.

من أجل هذا السبب ذاته، وليس من أجل أمر آخر كان من الضروري العودة إلى الأفعال والأسماء الخاصة بالشركة لأنها تشمل الحياة المسيحية كلها، وعندما يضاف المقطع σύν إلى الفعل أو الاسم، فإن المقصود هو شركة في شيء، وحتى في الجانب غير المادي أو المعنوي، فإن ''الجمع معاً'' مثل فعل συνάχω كان هو جمع السمك (متى ١٣: ١٧) أو جمع الحصاد (خروج ٢٣: ١٠). ومن الفعل جاء "مجمع" وهو اجتماع اليهود مع الشياطين في (رؤ ٢: ٩ – ٣: ٩).

الأفعال والأسماء

συναθλέω يجاهد معاً، والاسم هو المجاهدتين في نشر الإنجيل مع بولس «لذلك أنت أيضاً يا شريكي.. ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل» (فيلي ٤ : ٣). هذه شركة في التعليم، وهي لا يمكن فصلها عن نوع الحياة لأن التعليم المسيحي الذي سُلِّم إلينا من الرب هو عن الحياة، ولأن هناك حياة واحدة تجمع المؤمنين، بل ومصير واحد؛ استخدم العهد الجديد الاسم συναιχμάλωτος وحرفياً تعني الرفيق أو الشريك في السجن، وليس مجرد مسجون معي؛ لأن الفعل يؤكد الشركة في السجن، وهي شركة تجعل المسجون شريكاً. وجدير بالاهتمام الفعل συναποθνησκω ولاحظ أن إضافة المقطع συν للفعل تصبح في العربية "يموت مع"، ولكن "الموت مع" أضعف لأنها لا تعطي القوة في عبارة الرسول ولاحظ الصياغة نفسها:

«اقبلونا.
لم نظلم أحداً.
لم نفسد أحداً...
لأنني قلت سابقاً أنكم في قلوبنا،
لنموت معكم ونعيش معكم» (٢كور ٧: ١ – ٣).

الحياة معاً والموت معاً، هي المصير الواحد المشترك. هو مصير واحد في يسوع المسيح؛ لأن الرسول نفسه يقول: «صادقة هي الكلمة أنه إن كنا قد متنا معه (مع المسيح) فسنُحيا معه أيضاً معه. إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه» (٢تيمو ٢: ١٢). ويجب أن نضيف إلى هذا الفعل نموت معه ونحيا معه ونملك معه؛ لأن هذا لا يحدث في فضاء، بل في بناء هو الكنيسة، فهو الفعل συναρμολογέω

«لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب...
رعية مع القديسين وأهل بيت الله
مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية
الذي فيه كل البناء **مركباً معاً**
ينمو معا هيكلا مقدسا في الرب الذي فيه (المسيح) أنتم أيضا
مبنيون معا، مسكنا لله في الروح» (أفس٢: ١٨-٢٢).

وهناك فعل آخر ذو دلالة على نوع علاقة الشركة وهو συνδεσμος وقد ورد في (كولو ٢:١٦) وترجم إلى **"**متمسك**"**، ولكن ليس فقط الإمساك برأس الجسد، فهذا أضعف بكثير من الواقع الإلهي الحي؛ لأن الرسول يتكلم عن جسد المسيح الكنيسة، فقد سبق هذا الفعل، الفعل الأهم «أحياكم معه» (كول ٢: ١٣)، ثم ماذا بعد ذلك؟ الجسد له مفاصل وربط جعلت الرسول يضيف بشكل قاطع الفعل الآخر συνβιβαξομενον متحداً، لكن كل عضو هو في **رابطة**، هو في "ربط **συνδεσμων"** فهو لذلك «ينمو نمواً من الله» (كول ٢: ١٩) فهو لا ينمو من ذاته، بل من الله لأنه في جسد المسيح.

- الربط ليست رباطاً ضد الحرية، بل هو رباط الوحدة؛ لأنه رباط السلام الذي يوحِّد الجسد كله أي المحبة (أفس ٤: ٣ - ٤) فهي **"رباط الكمال"**. رباط الكمال الذي يجعل الرسول يقول مستخدماً الفعل الخاص بالمجد συνδοξαξω «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد معه» (رو ٨: ١٧) συνδοξασθωμεν.

- ليست الآلام وحدها، بل لأن الرب **أقامنا معه** واستخدم الرسول συνεγείρω

(أفس ٢: ٦)؛ لأن قيامة المسيح ليست قاصرة عليه هو وحده، بل نحن قمنا معه وفيه.

- وقد تم اختيارنا معاً (١بط ٥: ١٣) والترجمة العربية أهملت استخدام الفعل συνεκλεκος.

- أما الفعل συνεργέω فهو من أجمل الأفعال؛ لأنه خاص بـــــ: العمل معاً (١كور ١٦: ١٦)، ولا يجب أن يظن أحد أن "عاملون معه" هي اتحاد إرادة حسب نظام المؤسسات الحزبية أو السياسية؛ لأن الفعل مكون من المقطع συν مع εργέω ولذلك نحن نعمل مع الله؛ لأننا أخذنا قوة هذا العمل، إذن «نحن عاملون معه نطلب أن لا تقبلوا نعمة الله باطلاً» (٢كور ٦: ١) لأن العمل هو أيضاً بالنعمة وليس بالجهد الإرادي وحده. وفي هذا السياق استخدام رسول الرب يعقوب ذات الفعل «نرى أن الإيمان عمل مع أعماله» (٢: ٢٢) لأن الأعمال نابعة من الإيمان.

ومن الفعل جاء الاسم "العامل مع συνεργός" الذين يبشرون بالإنجيل مع بولس هم ليسوا مجرد عاملين معه كما في شركة أو بنك بل هم شركاء ورفاق Fellow Worker - (رو١٦: ٣، ٩، ٢١ وفي٢: ٢٥، ٤: ٣ و١تس٣: ٢). ولكي نتأكد من هذا علينا مراجعة تعبير الرسول بولس «العاملون معي لملكوت الله» (كولو٤: ١١) لأن هؤلاء كل واحد منهم هو: «عامل معنا في إنجيل المسيح»(١تس٣: ٢) وبقيت عبارة الرسول تؤكد أن العمل معاً في الإنجيل هو للوعظ وثبات المؤمنين لأن الرسول يقول «أننا موضوعون لهذا» (١تس٣: ٢ - ٣).

وهكذا يجب أن نفهم أن الرب يسوع نفسه أعطى العمل (١كور٣: ٥) لأن هذا العمل هو عطية الله أو بدقة أكثر «حسب نعمة الله» (١كور٣: ١٠) ومن هذا نفهم أن عبارة «عاملان مع الله» (١كور٣: ٩) يجب أن تُحصر في سياق الكلام لأن الرسول هو فلاح يغرس الكنيسة ولكن كما يقول بولس نفسه «لكن الله كان يُنمي» (١كور٣: ٦).

- نحن عاملان مع الله ليست علاقة خارجية لعمل خارجي، بل هو غرس وبناء

الكنيسة؛ لأن نهاية العمل كله هو في عبارة رسول الرب «أما أنتم فللمسيح والمسيح لله» (١كور٣: ٢٣).

- الدفن مع (رو٦: ٤ و كولو٢: ١٢). الفعل اليوناني συνθάπτω يدفن مع، والدفن ليس شركة عابرة، بل هي **شركة مصير**؛ لأننا «دفنًّا معه»، فقد دُفن المسيح ونحن نُدفن في مياه المعمودية. ووحدة المصير تحتم استخدام فعلاً آخر وهو συντελέω الوصول إلى ذات الغاية أو النهاية معاً، وهي عن تحقيق غاية العهد الجديد؛ لأن الله هو الذي سوف يعطي العهد الجديد فهو «متمم هذا العهد» (رو٩: ٢٨). والترجمة العربية غامضة لأن الرب **قاض بالبر**، والمقصود هنا ليس أن الله يحكم على الخطاة، ولكن تأسيس العهد الجديد. والموت مع الرب وهو غاية العهد الجديد لكي نقوم معه ونملك معه (٢تيمو٢: ١٢ و ١كو٤: ٨،٩) وكيف نملك معه συμβασιλεύω إلاَّ إذا كان الجسد متحداً معاً مثل اتحاد أعضاء الجسد البشري ولذلك ورد فعل συμβιβάξω (أف٤: ١٦ و كو٢: ١٩) لأننا نشترك في ذات صورة المسيح، ولذلك وردت الكلمة συμμορφος والمدهش حقاً هي أننا سوف ننال هيئة أو صورة جسد مجده (في٣: ٢١) وهي آخر مراحل تطور الإنسانية في يسوع الحي.

الفصل الثالث

"في الرب يسوع المسيح"
المجال الوحيد الحقيقي لحياة جديدة

حذرنا القديس باسيليوس في كتابه عن الروح القدس – كما مر بنا – من المعارك الكلامية ومحاولات حصار التعليم الإلهي في الألفاظ واللعب بالمصطلحات. فقد كان هذا هو عمل كل الهراطقة الذين يقيمون سداً بينهم وبين الثالوث، بخلق مصطلحات وحشر تأويلات في مقولات تهدم الإيمان، بغرض فصل الثالوث عن الإنسانية فصلاً يبدأ بعزل الإنسانية عن الله، بمقولة إن ما حدث في تجسّد الابن هو عملٌ خاصٌ بالابن. وهذا، وإن كان صحيحاً، إلاَّ أنه عندما يتم فصل هذا العمل عن الإنسانية، يصبح عملاً بلا أي نتائج بالمرة.

وبالرغم من أن ما حدث في تجسّد الابن هو حدثٌ فريد، وهذا أيضاً صحيح، إلاَّ أنه في حالة فصله عن البشرية لا يبني أية علاقة جديدة بين الثالوث والإنسانية. في حين أن العهد الجديد ليس إلاَّ ذلك العهد الذي سبق وتنبأ عنه أرميا النبي: «هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. » (أر٣١: ٣١). فقد انقضى عهد الخروج من أرض مصر، الذي قال عنه رسول المسيح إنه نُزع، وفي عبارةٍ واضحة: «يترع الأول (العهد القديم) لكي يثبِّت الثاني» (عب ١٠: ٩)، فقد زال القديم: الكهنوت اللاوي – وتغيَّر الناموس – وأُبطِلت الذبائح – وهُدِمَ الهيكل؛ لأننا نحن أصبحنا هيكل الله الحي (راجع عب٧: ١١)؛ لأن الله العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي – كما يقول النبي: «السماء هي كرسيٌ لي والأرض هي موطئ لقدمي، أيُ بيتٍ تبنون لي يقول الرب وأين هو مكان راحتي، أليست يدي صنعت هذه الأشياء كلها» (أع ٧: ٤٨ – ٥٠).

وهكذا بُنيت الهياكل في كنيسة المسيح لسببٍ واحدٍ؛ لكي تكون تذكاراً دائماً لسكنى الثالوث في المؤمنين، وذلك حسب تسليم الشيوخ الذي دوَّنه الأريوباغي في ''رئاسة الكهنوت''، وهكذا يقول تلميذ الرب: «لأن به (الرب يسوع) لنا كلينا قدوماً في روحٍ واحدٍ إلى الآب، فلستم بعد غرباء... بل رعيةٌ مع القديسين وأهل بيت الله، مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه (يسوع) كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح» (أف ٢: ١٨ - ٢٢).

فهل أدرك عشاق الكلام والجدل أن هذه العبارات، إنما هي تقطع كل جدلٍ:

«به... قدوماً،

في روحٍ واحدٍ

إلى الآبِ».

هل يمكن أن يكون هناك تفسيرٌ آخر لأيٍّ من حروف الجر هذه: **به - في - إلى؟** وهي حروف الجر التي تعبِّر عن شركة الروح الواحد، الذي ليس لنا إلاَّه، كما تعبِّر عن شركة الآب، الذي لا آب آخر سواه.

وهل أدرك عشاق الكلام والجدل معنى:

«فيه ... مبنيون

مسكناً لله

في الروح»؟

وإلاَّ كيف يكون لله الثالوث أنواعٌ متعددة من الحلول والسكنى؟ إن هذا يساوي - بكل دِقةٍ - الإيمان بإلهٍ آخر، وهذا في حد ذاته يعني بداية الارتداد عن المسيح.

أنا لا أتردد أمام العبارات السابقة في استخدام كلمات الردة والارتداد؛ لأن ما يتم هدمه هو الأساس نفسه الذي حذَّر من إنكاره أو هدمه تلميذ يسوع نفسه في (١ بط ٢: ١ - ١٠)، الذي يؤكد أننا ''بيتاً روحياً'' (١ بط ٢: ٥). «أمَّا المسيح فكابنٍ على بيته. **وبيتُه نحن** إن تمسَّكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية» (عب ٣: ٦).

ورغم أن أمامي شرح العبرانيين لكل من ذهبي الفم وعمود الدين، وبالرغم من أن هذه الشروح متاحة لمن يريد، ولكن لأن عشاق الجدل اهموني بعدم صحة الترجمة؛ لذلك اكتفي بكلمات الرب يسوع: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني. والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي» (يو ١٤: ٢٢)، فهل للآب والابن ذاتٌ مُعلنةٌ، وأُخرى مخفاة؟!! وهل تسمح المحبة بذلك التقسيم والفصل، في الوقت الذي يقول فيه الرب بعد ذلك مباشرة: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يوحنا ١٤: ٢٣)؟ هل تسمح محبة الله بوجودٍ آخر غير وجوده الحقيقي؟ وهل تقبل المحبة أن يكون الآب والابن في "بيتٍ" أو "منزلٍ" هو نحن، ثم نقول بعد ذلك إن هناك حلولاً آخر هو الحلول المواهبي؟

وإذا عدنا إلى حرف الجر "في" في قول الرب:

- «أيها الآب أنت **فيَّ**
  وأنا فيك
  ليكونوا هم أيضاً واحداً **فينا**» (يو ١٧: ٢١)
- «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به،
  وأكون أنا **فيهم**» (يو ١٧: ٢٦).

فهل يمكن أن يكون هذا وجودٌ آخر، وحلولٌ آخر؟ الكلام جد خطير لأن هذا يعني أن لله نوعين من المحبة، وأيُ محبةٍ هذه التي تعطي غير ذاها... أليس هذا هو معني «أُظهِر له ذاتي»؟ أليست هي استعلان ذات الابن لكي يكون فينا؛ لأن للثالوث محبةً واحدة؟

"في المسيح" – "في الرب"

وردت عبارة "في المسيح" ٨٣ مرة في رسائل القديس بولس، منها على سبيل المثال: ١٣ مرة في رومية – ٧ مرات في غلاطية – ٤ مرات في تسالونيكي الأولى – ١٢ مرة في كورنثوس الأولى – ١٣ مرة في أفسس – مرتين في تسالونيكي الثانية – ٧ مرات في كونثوس الثانية – ١٠ مرات في فيلبي – ٣ مرات

في فليمون – ٣ مرات في كولوسي – ٩ مرات في الرسائل الراعوية.

ويا ليت عناد عشاق الجدل يتوقف؛ لأن الرسول يستخدم أيضاً تعبير "في الرب يسوع المسيح"، ولاحظ أن "في الرب" ليست إشارةً، ولا تلميحاً إلى لاهوت بدون الناسوت، أو أقنوم بلا حلول، لأن الكلام الفارغ هو بداية طريق الارتداد. فقد وردت عبارة "في الرَّب" ٤٧ مرة عند القديس بولس منها على سبيل المثال: ٨ مرات في رومية – ٩ مرات في كونثوس الأولى – مرتين في كورنثوس الثانية – مرة واحدة في غلاطية – ٨ مرات في أفسس – ٩ مرات في فيلبي — ٤ مرات في كولوسي – ٣ مرات في تسالونيكي الأولى – مرة واحدة في تسالونيكي الثانية – مرتين في فليمون.

وهذه نظرة موجزة إلى عبارة **"في المسيح"** حسب الأصل اليوناني:

- «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء في يسوع المسيح» (رو ٣: ٢٤).
- «أما هبة الله فهي حياة أبدية في المسيح يسوع ربنا» (رو ٦: ١٣). فلا حياة أبدية منفصلة عن يسوع؛ لأن يسوع هو "حياتنا كلنا" حسب أوشية الإنجيل التي تقتبس كلمات بولس في (١ كو ١٥: ٢٢).
- «لا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨: ٣٩). فلا توجد محبة إلاَّ تلك المحبة الإلهية في يسوع المسيح ربنا.
- «أشكر إلهي في كل حين.. على نعمة الله المعطاة لكم في يسوع المسيح» (١ كو ١: ٢٤). وهنا نجد نفس التأكيد السابق.
- بل تأمل «كما في آدم يموت الجميع – وهي بعد ذلك صيغة المبني للمجهول – هكذا في المسيح سيُحيا الجميع» (١ كو ١٥: ٢٢)، فكيف سيُحيا في المسيح، إن كان للمسيح وجود آخر غير الوجود الذي استُعلِن.
- «كان الله في المسيح مصالحاً العالم لنفسه» (٢ كو ٥: ١٩). فقد كان الآب حالاً في الابن على الصليب، رغم أن الابن وحده هو الذي صُلِب لأنه هو وحده الذي تجسّد. وحلول الله الآب في المسيح هو

نفس كلمات الرب في إنجيل يوحنا «أنا في الآب والآب فيّ، أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠).

- «فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد <u>في</u> المسيح يسوع» (في ٤ :١٩). فهل كان للآب مجد آخر غير ذلك المستعلَن في الابن، وهو ذاته المجد الذي يُعطى للذين يغلبون ويجلسون مع الابن على عرش مجده (رؤ٣: ٢١).
- «أَنْدَرُونِكُوسَ وَيُونِيَاسَ ... كانا <u>في</u> المسيح قبلي»، أي مسيحيين.
- «أَبُلّس المزكّى <u>في</u> المسيح».

هذا بعض ما ورد عن عبارة **"في المسيح"** عند ق بولس، ولكن لابد أيضاً من نظرةٍ شاملة على عبارة **"في الرب"** لكي يسكت كل شيطان (رو ١٦: ٨ – ١٣):

- «أَمْبِلِيَاسَ حبيبي <u>في</u> الرب ... أيضاً معي في ذات الإيمان». ولكنه في الرب بسبب المعمودية والعشاء الرباني وسكنى الروح القدس (رو ٦: ١ وما بعده — ١ كو ١٠: ١٧ وما بعده).

ويُعد تعبير "الكائن في الرب" من أقوى ما جاد به روح يسوع على القديس بولس، فهو يقول: «سلموا على الذين هم من أهل نَرْكِيسُوس الكائنين <u>في</u> الرب» (رو ١٦: ١١). وحسب لغة الكنيسة:

ⲚⲎ ⲈⲦϢⲞⲠ ϦⲈⲚ ⲠⲞ̅Ⲥ̅

كيف يكون لهؤلاء كينونة، أي وجود في الرب، إلاَّ إذا كانوا موجودين في الرب بالفعل؟ فهذا هو مجال الحياة الجديدة الحقيقي، حيث لا وجود حقيقى خارج المسيح، ولاحظ عزيزي القارئ باقي تعبيرات رسول المسيح:

- «متيقن <u>في</u> الرب» (رو ١٤: ٤).
- «دُعي <u>في</u> الرب» (١كو ٧: ٢).
- «تتزوج <u>في</u> الرب فقط» (١ كو ٧: ٣٩).
- «أنتم عملي <u>في</u> الرب.. ختم رسالتي <u>في</u> الرب» (١ كو ٩: ١ – ٢).
- «الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل <u>في</u> الرب»

(١كو١١: ١١).

- «تعبكم ليس باطلاً في الرب» (١ كو ١٥: ٥٨).
- «انفتح لي بابٌ في الرب» (٢ كو ٢: ١٢).
- «أكثر الإخوة وهم واثقون في الرب» (في ١: ١٤).
- «أرجو في الرب يسوع» (في ٢: ١٩).
- « افرحوا في الرب» (في ٣: ١).

فهل يمكن بعد أن اتسع المجال ليشمل كل شيء: اليقين – العمل – الرجاء – التعب – الخدمة — الفرح، إلاَّ أن يقول رسول الرب يسوع: «كل ما عملتم بقول أو بفعل، فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله الآب به» (كولوسي ٣: ١٧). بل ويعيد الرسول ذات الكلام بعد وصية طاعة الوالدين: «وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس، عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث، لأنكم تخدمون الرب يسوع المسيح» (كولوسي ٣: ٢٣).

بل الخدمة نفسها

- «وقولوا لأرخبس: انظر إلى الخدمة التي قبلتها في الرب لكي تتممها» (كولوسي٤: ١٧).

بل استخدم الرسول المقطع syn لكي يخلق مجموعة من الأسماء الجديدة تماماً على اللغة اليونانية الكلاسيكية، وهذه نماذج من الأسماء الخاصة بالحياة المسيحية والتي ضاعت في الترجمة العربية، أو على الأقل ضاعت قوة التعبير فيها:

- «مجاهدين معي» (رو ١٥: ٣٠ Syngonizomai).
- «المأسورين معي — المأسور معي» (رو١٦: ٧ و كو٤: ١٠).

وتلك الأسماء هي أسماء خاصة بالشركة، فالجهاد معاً = مجاهدين. والسجن معاً = السجناء.

ولكن ماذا عن المسيح يسوع الذي كوّن الكنيسة من جسده؛ لأنه هو الرأس «الرأس المسيح الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومتحداً (مقترناً) Synbbazo

لبنيانه في المحبة» (أف٤: ١٥ – ١٧). وقد أعاد الرسول استخدام نفس الاسم في (كو٢: ٢ و١٩).

لقد جرى إضعاف العلاقة "العضوية *membership*" بين "الرأس" و"الأعضاء" لكي تتحول الكنيسة إلى مؤسسة اجتماعية يحكمها مجلس إدارة... إلخ. لأن معنى بقاء عضوية الكنيسة "جسد المسيح" – مع ملاحظة أن الرسول بولس لم يقل: "إنها مثل جسد"، أو "كجسد"، ولكنه يقول: «أنتم جسد المسيح وأعضاؤه أفراداً» (١كو١٢: ٢٧) – أن هذه العضوية هي "الإنسان الجديد" الذي لا يخلقه الوعظ أو التوبة، بل كوَّنه "الرب نفسه لكي لا يكون من اليهود ولا من الأمم"، بل «لأنه هو سلامنا الذي جعل الإثنين واحداً (اليهود والأمم) ونقض حائط السياج المتوسط (الذي كان يمنع دخول الأمم الهيكل في أورشليم) في العداوة (تلك التي خلقها الناموس) مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض (الاغتسالات والذبائح حسب الشريعة)؛ لكي يخلق الاثنين في ذاته Ⲛϩⲣⲏⲓ Ⲛϩⲏⲧϥ إنساناً جديداً واحداً صانعاً سلاماً » (أف٢:١٤و١٥)، لأن الإنسان الجديد هو "إنسان القيامة"، آدم الأخير الذي سبق وجود الشريعة، بل وجود إبراهيم وموسى، وكل أنساب اليهود.

ولذلك فالإنسان الجديد، إنسان القيامة، يسوع المسيح «آدم الأخير – روحاً محييًا» (١كو١٥: ٤٥). فقد جاء الكائن الحي، وهو ما يطلق عليه الرسول «الإنسان الأول من الأرض ترابي» (١كو١٥: ٤٧)، «أما الإنسان الثاني يسوع المسيح، فهو الرب من السماء» (١ كو ١٥: ٤٧). وبهذا التحول الكياني الذي تم في كيان الرب نفسه، أي أقنومه المتجسِّد الذي حوَّل الإنسان فيه هو إلى ذلك الإنسان الجديد الذي يُوهب لنا، صار «الأمم شركاء في الميراث وشركاء في الجسد» (راجع بدقة أف ٣: ٥)، وهو ذاك الذي وُصِفَ بأنه "قامة ملء المسيح" (أف٤: ١٣)؛ لأن القامة هي "كمال"، و"الملء" هو الحياة غالبة الموت التي قال عنها نفس الرسول في سطور سابقة: «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى ملء الله» (أف ٣: ١٩)، وهذا ليس "لغواً، ومهاترات أساقفة"، بل هو ما سبق الرسول في سطور سابقة أيضاً ليقول عنه: «لكي يعطيكم بحسب غناه في المجد» (أف ٣: ١٦)، أي حسب غنى الإلوهة، وذلك واضح من باقي النص: «أن تتأيدوا

بالقوة بروحه في الإنسان الباطن».

والنتيجة: «لكي يحل المسيح بالإيمان في قلوبكم»، وبعد ذلك الحلول ندرك ''المحبة الفائقة المعرفة''.

ولو كانت الخليقة الجديدة وإنسان القيامة مجردَ نزهةٍ على شاطئ النيل، لكانت مصر كلها في الكنائس، ولكنها (أي الخليقة الجديدة) هي «شركة الآم المسيح» (فيلبي٢: ١٠)، ولاحظ، عزيزي القارئ، الفعل اليوناني الذي حوَّل الرسول إلى ''مُتشبِّهٍ'' Symmorphizomai فقد تحولت صورته إلى صورة موت المسيح على الصليب (في ٣: ١٠)؛ لأننا نحيا موت المسيح على الصليب في رفض مبادئ القوة، في عدم اكتناز الغضب والحقد والكراهية، وفي رفض الحكم والدينونة. فهذه هي ''صورة ابنه''، ويجب ترجمة ''symmorphos'' إلى ''*be in the same form*'' وليس كما وردت: «مشابهين صورة ابنه ليكون بكراً بين إخوة كثيرين» (رو ٨: ٩)، بل - كما يجب أن نفهم الكلمة اليونانية - لأنها ليست مجرد المشابهة؛ لأن التغيير الكياني غير واضح في الترجمة، والصورة هي كيان وليست مجرد ما هو ظاهر؛ لأن كلمة صورة في اللغة العربية لا تؤكد التحول الكياني، ولكن يمكن أن نقرأ هذه الكلمات كالآتي: «ليتحوّلوا لصورة ابنه ليكون بكراً بين إخوة كثيرين». إنها ''إخوةٌ'' بسبب تحوّل الكيان، وهذا التحوّل هو تحوّل في كيان المتجسِّد لا في إلوهيته، أي في إنسانيته التي نالت مجد الاتحاد، وهو ما سوف يدرسه الآباء في القرنين الرابع والخامس.

الفصل الرابع

"مع المسيح"
التعابير الفريدة في العهد الجديد

كان لأستاذي د. موريس تاوضروس الفضل الأول في تأكيد ضرورة قراءة العهد الجديد كما كُتب باللغة اليونانية، وأن لا أقرأ ترجمة أو ترجمات العهد الجديد، بل أن أعود إلى النص مباشرةً.

وهكذا بدأ اكتشافٌ مذهلٌ للعقل، وهو أن لغة العهد الجديد اليونانية لديها خصائص تغيب عن وعي القارئ للنص بغير اللغة اليونانية.

كان ولا زال عندي ذلك الإحساس بأن المقطع syn = مع = with والذي يضاف إلى الأفعال اليونانية، ولا يمكن أن يضاف إلى الأفعال العربية لكي يصبح جزءً من الفعل نفسه. «مع المسيح صلبت»، هكذا نقرأ النص في العربية، ولا يمكن أن نقرأه إلاّ بهذا الشكل، ولكن حسب الأصل، لا يسبق حرف الجر "مع" اسم المسيح، فهي ليست جزءً من اسم المسيح، بل تضاف إلى فعل الصلب فتصبح جزءً منه.

estauromai	syn	Christo
صُلِبتُ	مع	المسيح

وقد استُخدِم تعبير "مع المسيح" ٣٦ مرة، وكان العالم الألماني E. Lohmeyer هو أول من نشر دراسته في سنة ١٩٢٧ بعنوان Syn Christo ليفتح باب مراجعة ما كتب عن موت الرب يسوع، بل وحياته وقيامته وصعوده **وجلوسنا معه** في السماويات «وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (أف ٢ : ٦).

والمقطع "مع" لا يعبِّر عن مجرد علاقة شخص مع آخر. ولأن المقطع "مع" هو جزء من الفعل، أصبح لهذا المقطع "مع" دلالة هامة على الشركة المباشرة والآنية في ذات الفعل.

طبعاً في اليونانية كلمة "meta" تعني أيضاً "مع"، ولكنها تعني بالأكثر "في معية Company". ولذلك نعمة ربنا يسوع معكم meta وليست Syn، لأن Syn تؤكد الشركة والصلة الشخصية، وليست مجرد معرفة الشخص. وعندما يقول الرسول: «لأنكم متم وحياتكم مستترة مع المسيح» (كولوسي٣: ٤)، فإن الأصل اليوناني يؤكد ما لا يؤكده اللفظ العربي؛ لأن حياتنا هي مستترة مع Syn – في Tw – المسيح Christw — في Thew - en / tw – الله.

والكلمة met هي علاقة، صداقة، محبة، ولكن Syn هي شركة في ذات أفعال الشخص، بل في حياته الشخصية. هكذا يجب أن نفهم تعبير "مع المسيح"، ولاحظ قول التعبير «إذاً إن كان أحدٌ **في المسيح**» (٢كور٥: ١٧) لأن حرف الجر "في – en" هو خاصٌ بالوجود.

الأسماء التي كونتها الشركة

ونقصد بها الكلمات التي أضيف إليها حرف الجر Syn:

- تجاهد معي (رو ١٥: ٣٠).
- مجاهدين معاً – جاهدتا معاً (في ١: ٢٧، ٤: ٣).
- المأسورين معي (رو ١٦: ٧، كو ٤: ١٠ – فل ٢٣).
- أستريح معكم (رو ١٥: ٣٢).
- نموت معاً (٢ كو ٧: ٢٣).
- ملكتم معاً، نملك نحن أيضاً معكم (١ كو ٤: ٨).
- مركباً معاً (أف ٤: ١٦، كو ٢: ٢ ، ١٩).
- مجتهدين معاً (أف ٤: ٣، كو ٢: ١٩ ، ٤٣).
- الخادم معنا (العبد) (كو ١: ٧، ٤: ٧).
- يعمل معاً (١كو ١٦: ١٦، ٢كو ٦: ١).
- يعمل معاً (وردت ١٢ مرة).
- نعيش معاً (٢كو ٧: ٣).
- شريكي معاً (في ٤: ٣).

- شركاء معاً (١ تس ٣: ٦).
- شريكاً معاً (رو ١١: ١٧ - ١كو ٩: ٢٣ - في ١: ٧).
- متمثلين معاً بي (في ٣: ١٧).
- مبنيون معاً (١ تس ٢: ٢٢).
- نتعزى معاً (رو ١: ١٢).
- نتألم معه (١ كو ١٢: ٢٦).
- مواطنون مع (١ تس ٢: ١٩).
- نئن معاً (رو ٨: ٢٢).
- متجند معي (في ٢: ٥، فل ٢).
- نفرح معاً (١كو ١٢: ٢٦ - ١٣: ٦ - في ٢: ١٧ - ١٨).
- نفس (واحدة) معاً (في ٢: ٢٢).
- تتمخض معاً (رو ٨: ٢٢).

مع المسيح في حياته وموته وقيامته، والأفعال والأسماء التي تؤكد شركتنا في كل مراحل حياته

لم يأتِ الرب ويتجسّد لكي يبقى في عزلة بعيداً عنا، أو لكي يحفظ علاقة فكرية معه كما يؤكد ذلك واقع المذهب الإنجيلي، بل جاء لكي يضع قواعد حياة جديدة كلها تؤكد شركتنا في حياته وموته وقيامته، هذا هو السبب الأول والأخير في استخدام أفعال وأسماء تؤكد هذه الشركة مثل:

- تتشبه صورتي معه (في ٣: ١٠).
- مشابهين معه (رو ٨: ٢٩ - في ٣: ٢١).
- متَّحدين معه (رو ٦: ٥).
- متنا معه (٢تيمو ٢: ١١).
- نملك معه (٢تيمو ٢: ١٢).
- نتمجد معه (رو ٨: ٢٧).
- أجلسنا معه (أف ٢: ٦ - كو ٢: ١٢ - ٣: ١).

- أحيانا معه (رو ٦: ٨ - ٢تيمو ٢: ١١).
- أحيانا معه (أف ٢: ٥ - كو ٢: ١٣).
- نُدفن معه (رو ٦: ٤ - كو ٢: ١٢).
- نحيا معه (أف ٢: ٦).
- شركاء معه (رو ٨: ١٧).
- نُصلب معه (رو ٦: ٦ ـــ غلا ٢: ١٩).

وعندما يقول الرسول: ''متحدين معه'' (رو ٦: ٤)، فهو يعني أن الاتحاد هو أقوى تعبير عن الحياة الواحدة التي تجمعنا في وحدة عضوية معه.

وعندما يقول: ''أحيانا معه'' (رو ٦: ٨ — ٢ تيمو ١: ١٢)، فهو يؤكد أن المسيح المخلِّص لا يحيا وحده، بل هو رأس الجسد الكنيسة (أف ٥: ٢٣)، وهو حياة كل عضو في جسده (كولو ٣: ٤).

وعندما يقول ''نُدفن معه'' (رو ٦: ٤ — كول ٢: ٢٢)، يضاف إليها ''نتألم معه'' (١: ٢٩)، و''نُصلب معه'' (رو ٦: ٥)؛ لأن الصلب يسبق الدفن، و''نموت معه'' (رو ٦: ٥)؛ لأن الموت يسبق الدفن.

وعندما يقول: ''مشابهين معه'' (رو ٨: ٢٩ — فيلبي ٣: ٢١)، يؤكد أن التشبه ليس تشبهاً سلوكياً فقط، بل هو اتحادنا معه وموتنا معه، ودفننا معه؛ لكي في هذه المسيرة، نتمجد معه (رو ٨: ٢٧)، ولأنه ''أجلسنا معه'' (أف ٢: ٦) في السماويات، أي في شركة يسوع المسيح الحي بالروح القدس (رو ٨: ٢٩)؛ لكي نكون أحياء مع يسوع لأن الروح القدس الذي أحيا يسوع وأقامه هو نفس الروح الذي يحيي أجسادنا من الموت، وهو ساكنٌ فينا عربون حياة ليوم كمال الفداء في اليوم الأخير، يوم قيامتنا معاً في يسوع المسيح (رو ٨: ١١).

هذا الاتحاد الكياني جعل الرسول يصف الحياة المسيحية التي دخلت السماء، أي مجال الحياة الإلهية على أنها:

- ''مبنيون معاً'' (١ تس ٢: ٢٢) بناءً واحداً هو جسد الرب الكنيسة التي

تبدأ الخدمة الإلهية: ''سلاماً وبنياناً لكنيسة الله الواحدة الوحيدة''، وهو ما يجعل الكنيسة: ''نفساً واحدة معاً'' (في ٢: ٢٢ – أع ٤: ٣٢)، حيث ''كان لجميع الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة''.

– لأننا كجسد المسيح الواحد ''نعيش معاً'' (٢ كور ٣: ٧)، و''شركاء معاً'' (١ تس ٣: ٦)، و''ممتلئين بي معاً'' (فيلبي ٣: ١٧)، وبذلك ''نتعزى معاً'' (رو ١: ٢١)، و''نفرح معاً'' (١ كور ١: ٢٩ – فليبي ١: ٢٧).

وبذلك نصبح مواطنين معاً، أي لنا مواطنة في السماء (١ تس ١: ٢٩)؛ لأننا لسنا بعد يهودي وأممي نفخر بالانتماء العرقي؛ لأن المسيح خلق الإنسان الجديد (أف ٢: ١٥)، الذي ليس من اليهود ولا من الأمم، بل من السماء من الله (١ كور ١٥: ٤٧، كولو ٢: ١٩).

وبعد كل هذا، عندما يقول رسول الرب: ''شركاء معه''؛ لأننا صُلبنا معه (رو ٦: ٦)، فهل يمكن أن نفصل المسيح عنا وهو حياتنا وصَلبَنا ودفننا وقيامتنا ومعه نملك (٢ تيمو ١: ١٢)؟

هل يجوز هذا الفصل والتقسيم، وقد دخل تجسّد الله الكلمة دنيا الإنسان باللحم والدم؛ ''لأن الكلمة صار جسداً'' (يو ١: ١٤)، ولم يأتِ إلى جسدٍ كما يجيء إلى القديسين؟

أربعون كلمة جديدة خاصة بالشركة الشخصية، يتعذر علينا أن نحس بقوتها؛ لأن ''**مع**» في العربية تفصل بين الفعل والفاعل، ومَن يشترك في الفعل نفسه، وهو دائماً الآخر، أي المؤمن. ولكن حسب الأصل اليوناني، إن ما يفعله الرب فهو يفعله معنا، هي شركة في الفعل ذاته بسبب الاتحاد بالمسيح، وهو ما نعبِّر عنه في القرن الرابع والخامس بـــ ''الاتحاد الاقنومي''.

بالطبع تفصل كلمة ''معه'' أو ''مع'' الفاعل عن الفعل في العربية لكي يصبح عمل أو فعل الفاعل قاصراً عليه هو وحده، ونحن معه إما كمشاهدين، أو متذكرين. لكن إذا قرأنا هذا الفعل συναποθνήσκω ''نموت معه'' نجد أن المقطع / Syn

συν هو جزء من الفعل؛ لأن الفعل لا يحدث والفاعل يقوم بالعمل وحده (راجع ٢ كو ٧: ٣ - ٢تيمو ٢: ١١).

لم يمت الرب وحده على الصليب، بل نموت نحن معه، وطبعاً يصبح موت الرب عملاً إلهياً - إنسانياً تم في الناسوت، ينقله اللاهوت إلينا. هذا العمل هو محور أطول نص عن المعمودية في العهد الجديد، وهو (رو ٦: ١ - ٨).

وأيضاً ما سبق الموت، وهو الصلب συνταυροω يجيء الفعل دائماً مبنياً للمجهول، "نُصلب معه"، ومن الذي صَلَبَ بولس الرسول مع المسيح؟ (راجع رو ٦: ٦ مع غلا ٢: ١٩)؛ لأن الصلب حدث فعلاً للرب يسوع المسيح، ولكنه لم يُصلب وحده لأجل احتياج خاص به، بل نحن الذين صُلبنا معه، فهو صُلِبَ لكي نُصلب نحن، فالمسيح ليس وحده، بل هو الذي جاء لكي ما يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يو ١١: ٥٢). وموت الرب المحيي على الصليب هو القوة التي حوَّلت الناسوت الآدمي الذي من آدم «كما في آدم يموت الجميع" إلى الإنسان الجديد، الإنسان الواحد، ذلك الإنسان الجديد «لكي يخلق الاثنين في ذاته إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً» (أف ٢: ١٥ مع ١كور ١٥: ٢٢).

استخدام الزمن الماضي لموت الرب المحيي

لعل أفدح الأخطاء هي فرض قواعد الإعراب على علاقة شركة جديدة لم تؤسِّسها اللغة، ونقصد هنا أية لغة كانت؛ لأن هذه العلاقة لم تأتِ نتيجة تأمل عقلي، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى، لم تكن ثمرة تطور اجتماعي وثقافي، وبالتالي فقد وُلدت العبارات مع ولادة العلاقة نفسها؛ لأن المسيح يسوع رب الحياة "نزل من فوق". أمَّا بالنسبة لحياتنا كبشر، فكل شيء يتطور حسب الزمان والمكان والاحتياجات والاختراعات...إلخ. وتعبِّر اللغة وقواعد الإعراب عما حدث في الماضي، لاسيما صيغة الماضي التام - أي نجد أنفسنا أمام حدث أو فعل وقع فعلاً في الماضي، لكننا هنا أمام "بُعد - *Dimension*" سماوي، وإلهي؛ لأن المتجسِّد الذي دخل عالم البشر هو الإله الكلمة خالق كل الأشياء، هو الرب صانع السموات والأرض. وتجسُّد الابن في الزمان يفتح الزمان بكل أبعاده على

علاقة جديدة لم تؤسَّس بالألفاظ ولا بالأفعال، بل هي فوق كل لفظ وفعل وكل قواعد الإعراب. ولعل خير مثل على ذلك هو التجسّد نفسه، فالتجسُّد حدث بالفعل (فعل ماضي تام)، ولكن التجسّد مستمر؛ لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت دائمٌ، بل وأبدي.

قبل التجسّد كان الأبدي هو ما يسبق الزمان، ولكن الأبدي جاء ووُلِدَ في ملء الزمان (غلاطية ٤: ٤) ولم يعُد الزمان قياساً لما حدث في تجسّد الأبدي، بل توقف دوره، بل فقد مكانته تماماً؛ لأن الأبدي مر بالزمان وعاش "أيام جسده"(عب ٥: ٧)، ولكنه لم يأخذ معه الزمان إلى فوق عندما صعد، بل "صار هو يملأ الكل"، وهو بهذا الملء ملأ أبعاد حياة الإنسان، فهو معنا وفينا عندما نولد ويحيا فينا إلى الأبد.

ولذلك لا يعتبر بولس الرسول موت الرب حدثٌ تمَّ في الماضي وحده، بل هو حدثٌ يتغلغل في الماضي والحاضر والمستقبل. في الماضي حيث تم، وفي الحاضر لأنه خاص بشخص فريد لا مثيل له هو خالق كل الدهور ومؤسِّس أبعاد الزمان، وهو الذي يجمع في كيانه الله والإنسان معاً في شخص واحد، وهو مَن يهب حياة الأبد لكل من اتحد به.

المسيح يسوع الفائق والعجيب في كل شيء لا يدخل في متاهات العقل لكي يصبح فكرةً، ولا يؤخذ أسيرٌ للزمان مثل الموتى، فهو رب الحياة والقائم الحي من الأموات. كل هذا كان يجب أن يخلق لغةً إنسانيةً جديدةً، سأل عنها اللاهوتي البارع غريغوريوس التريزي، تواكب ما جاءت به الخلقة الجديدة من علاقة شركة جديدة بين الله والإنسانية في يسوع المسيح وتتزامن مع استعلان السر، وعلى ذلك خُلِقت عباراتٍ مثل: الواحد مع الآب في الجوهر – واحد من اثنين – ثالوث في واحد وواحد في ثالوث...إلخ وهكذا تحاول اللغة – كرمز – على قدر ما تملك حروفها من قدرة، أن تعلن السر، ولكن يأبى السر إلاَّ أن يكون مكتوماً لا يُعلن باللفظ، بل محفوظٌ في الروح القدس.

هكذا بدأت الصورة أو الأيقونة الجديدة للحياة الجديدة تُظهِر أسماءَ وأفعالاً سبق

وأشرنا إليها في السطور السابقة، كلها تشترك في المقطع "مع / συν"، فقد جاء المسيح بهذه "المعية" لكي يجمع أبناء الله (يو ١١: ٥٢) إلى واحد، أي إلى وحدانية. وأسقط تجسّد ابن الله قوة الرقم الحسابي، وأدخله في مجال الشركة حيث الواحد من اثنين هو ليس عملية "حسابية رقمية"، بل حياة تعطي للإنسانية ما هو إلهي، وتعطى لما هو إلهي ما هو إنساني، وهو ما ظهر في مراحل الصراع مع النسطورية من خلال تعبيرين هامين، هما:

أولاً: الاتحاد الأقنومي.

ثانياً: تبادل الصفات الإنسانية والصفات الإلهية في يسوع المسيح، أو ما نقلته اللاتينية عن اليونانية، ودخل اللغات الأوربية الحديثة من اللاتينية:

Communicatio idiomatum

άντιδοσις τών ιδιωμάτων

هكذا صار اللفظ يواكب حقيقة السر المعلَن في يسوع المسيح رب المجد، مع ملاحظة أن الاستعلان هو تطور الوعي، لا تطور الإيمان نفسه.

كيف نقرأ كلمات رومية ٦: ١ وما بعده

يقول الرسول:

«قد متنا مع المسيح ...

احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ...

لا تجعلوا الخطية تملك ...

لسنا بعد عبيداً للخطية» (٦:١١ - ١٢)،

(راجع أيضاً ١كو٥: ٧، غلا٥: ٢٥).

لعل القارئ قد استطاع أن يلمح أن هناك فكرة رئيسية تربط كل كلمات (رو ٦: ١ - ١٢)، وهي - كما سنراها بوضوح - وجود سيد *Master* يحكم أو يملك. هذه الفكرة تظهر بوضوح في (عدد ١١ مع عدد ٦)، وهي عبودية الإنسان للخطية، عبودية عبدٍ لملك.

المسيحي ليس عبداً للخطية؛ لأنه صُلِبَ مع المسيح، وهو ما يجعلنا نقرأ (رو ٨: ١ - ٢) بانتباهٍ أكثر، بل لعل القارئ يجد أن هناك تقابلاً بين أعداد ٥ - ٧ وأعداد ٨ - ١٠.

رو ٨: ٥ - ٧	رو ٨: ٨ - ١٠
قد صرنا متحدين معه بشبه موته	قد متنا مع المسيح
نصير أيضاً بقيامته	سنحيا أيضاً معه
الإنسان القديم قد صلب معه	المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت. لا يسود عليه الموت
ليبطل جسد الخطية	احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية
لا نعود نستعبد أيضاً للخطية	أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا

هل يمكن للقارئ أن يلاحظ دقة ألفاظ رسول الرب؟

- متحدين معه بشبه موته — متنا مع المسيح.
- يصير لنا قيامته — سنحيا معه.

فالموت والقيامة هما معاً ليسا حدثين منفصلين رغم وجود فارق زمني بين جمعة الصلبوت، ويوم القيامة. المسيح هو ذاته المعلَّق على الصليب، وهو ذاته في القبر، وهو ذاته الذي قام. والمسيحي يشترك في الموت والقيامة؛ لكي يموت مع المسيح، ولكي يحيا معه.

فما هي الفكرة الرئيسية هنا؟

المُلك، أي مُلك الخطية	Dominian of Sin
مُلك المسيح المصلوب والحي	Dominian of Christ

الاخـــــتبار:

لا يقتصر على المعمودية وحدها التي يذكرها رسول المسيح بكل وضوح في (أعداد ٣ – ٤)، فهي فقط البداية لحياة جديدة فيها حرية من ذلك الـــمُلْك؛ لأنها تدعونا لأن نسير أو نحيا في الحياة الجديدة جداً «جدة الحياة» (عدد ٤)، ولاحظ استخدام فعل ''يسير'' لأنه يعبِّر عن ''ديمومة'' الشركة في الرب.

إن ديمومة الموت والصلب والقيامة مع المسيح، كمسيرة يومية، هو ما غاب عن الوعي المعاصر، فنحن ''نسير'' في الحياة الجديدة. ومع أن صيغة الفعل هي الماضي؛ لأن بولس كان يكتب لمن اعتمدوا، إلاَّ أنه من الملاحظ أيضاً أن القيامة هي حدث الحاضر والمستقبل «سنحيا معه».

ونفس الملاحظة يجب أن نفهمها من تحليل نص آخر عن المعمودية والحياة المسيحية في (كولوسي٢: ١٠ – ١٥)، وصيغة الماضي فيه واضحة:

– «وبه أيضاً ختمتم ختاناً (ليس بسكين ختان موسى) غير مصنوع بيد، بل بختان المسيح، وهو خلع جسم خطايا البشرية» (كو٢: ١١)؛ لأن الفعل ''خلع'' هو ذاته «يبطل جسد الخطية»، ولا زلنا في صيغة الماضي التام: «مدفونين معه في المعمودية»، والتي لا تزال في صيغة الماضي التام: في المعمودية أيضاً فيها «أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات».

وينتقل رسول الرب إلى الحاضر والمستقبل ويضع الماضي بينهما:

– الماضي: «كنتم أمواتاً بالخطايا والذنوب».

– الحاضر: أحياكم معه.

– المستقبل: مسامحاً لكم بجميع الخطايا.

ويمتد عمل الموت - الصلب - ختان المسيح، إلى محو الصك لكي يحول الحياة من خلال الناموس والشريعة إلى حرية أولاد الله:

- «فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب
- أو من جهة عيد
- أو هلال (بداية الشهر القمري لحساب الفصح).
- أو سبت» (الذي جاءت به الوصية الرابعة؛ لأن سبت المسيح هو القيامة).

ثم إذا كان المسيحي قد أخذ "ختان المسيح"، فكيف يحيا حسب «المبادئ = أركان العالم = القيم التي تحكم كل الحياة الاجتماعية»؟.. كيف لمن مات مع المسيح أن يعيش في هذا الزمان تحت فرائض:

- لا تمس؛ لأنها نجسة.
- لا تَذُق؛ لأنها ممنوعة من الشريعة (الطعام - الشراب).
- لا تستعمل (٢: ١٩ - ٢٠).

والسبب هو أن هذه الممنوعات كلها - ولغة رسول الرب قاطعة - «جميعها للفناء، عندما تُستعمل فهي لا تبقى ولن تدوم» (٢: ٢٢)، أي أنها لن تُعطِ الحياة. فالمسيح يسوع وحده هو الذي أعطى ويعطي الحياة الأبدية.

ويمكن أن نلاحظ عبارات معينة تربط بين (رو٦ وكو٢):
- " أقامكم الله "،
- " أحياكم الله ".

الشركة في حياة الرب في المعمودية ليست سحراً، بل حياة.

عندما يحذر رسول المسيح: «لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم:
- «كانوا تحت السحابة- (الشاكيناه) الحضور الإلهي».
- «جميعهم اجتازوا في البحر».
- «اعتمدوا لموسى في السحابة (الحضور الإلهي) وفي البحر».

ولكن ماذا حدث لهؤلاء الذين أكلوا طعاماً واحداً روحياً (المن والسلوى)، وجميعهم شربوا شراباً روحياً ... "من صخرة روحية" ... كانت المسيح؟ لاحظ قوة التحذير:

- «بأكثرهم لم يُسر الله».
- «لأنهم ماتوا في القفر (ولم يدخلوا أرض البركة)» (١كور ١٠: ٥).
- «هذه الأمور حدثت مثالاً لنا[١١] حتى لا نكون نحن مشتهين شروراً».

والنص كله بدايةً من الانضمام إلى الكنيسة، وصولاً إلى الإفخارستيا بعد ذلك، يؤكد فيه رسول المسيح أنها ليست "وصفة سحرية"، بل بداية تحول في كيان الإنسان.

إذا دققنا النظر وجدنا نوعين من السيادة، الأول: الموت - الخطية - الدينونة والشيطان. والنوع الآخر: الحياة - التجديد - الملكوت - التبني في المسيح. وإذا دققنا النظر أيضاً لوجدنا دهرين "aeons": الدهر الحاضر، والدهر الآتي، أو بالدقة اللفظية الدهر الجديد حيث المسيح رأس - بكر - ملك - إله - مخلص - حكمة الله - بر - قداسة — فداء. وهنا يمكن من خلال تحليل دقيق للنوعين من السيادة Dominion أن نفهم تلك المقاطع الهامة (غلا٤: ٣ — ٥، رو ٧: ٤، مع غلا٢: ١٩).

الموت والقيامة مع المسيح هما منهج حياة حيث للصليب نفسه، الصليب الواحد وجهين:

- الوجه الأول: هو صلب المسيح.
- الوجه الثاني: هو أن صلب المسيح قد صَلَبَ العالم نفسه، وأثبت فشل قدرات العالم في تجديد الحياة.

«أما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم» (غلا ٦: ١٤). فبولس المصلوب مع المسيح هو نفسه الذي جعل العالم مصلوباً له.

١١- لعل القارئ قد لاحظ المعمودية في البحر والسحابة، والماء. وكذلك الشاكيناه ثم المن، وهي أسرار الانضمام لجسد المسيح الكنيسة: المعمودية — المسحة — الإفخارستيا.

إذا تحققنا من هذين النوعين من السيادة؛ استطعنا أن نفهم نص رو ٦: ١ وما بعده بأكثر دقة.

المسيح هدم سيادة الموت، والكلمة اليونانية المترجمة سيادة الموت κυριευει تعني ممارسة الموت لسلطان السيد، والصورة التي تظهر بوضوح هي صورة العبد (الإنسان) والرب (يسوع) الذي هدم ربوبية الموت. وحتى عبارة القداس الباسيلي «الموت... هدمته»، أي جعلته بلا ربوبية أو سيادة؛ لأننا لا يجب أن نغفل أن الكلمة اليونانية في (رو٦: ١٢) هي "مُلْك الخطية": «إِذاً لاَ تَمْلِكَنَّ الْخَطِيَّةُ فِي جَسَدِكُمُ الْمَائِتِ»، فهي تملك بالطاعة، ولذلك يضع رسول الرب الطاعة بعد ذلك في (أعداد ١٥ – ١٦) طاعة الخطية التي تملك للموت، وهو ما سبق وأكده في (رو٥: ٢١).

والسيادة الأولى مثل السيادة الثانية، فهي ليس لها أداة فقط؛ لأن الكلمة اليونانية οπλα هي ليست أداة فقط، بل هي أيضاً سلاح؛ لأن رسول المسيح استخدم نفس الكلمة اليونانية في (٢ كو ١٠: ٤) "أسلحة محاربتنا"، ولاحظ أيضاً "أسلحة البر" (٢ كو ٦: ٧، راجع أف ٦: ١١). والخطية التي تملك هي التي تدفع أجرة الجندي الذي يطيع الخطية، والأجرة οφώνια هي ما يُدفع للجندي المقاتل، ولكن هنا تدفع الخطية الأجرة وهي الموت نفسه (هكذا يجب فهم هذا النص: «أجرة الخطية هي موت» (رو ٦: ٢٣)؛ لأن الله ليس هو الذي يدفع الأجرة؛ إذ لم يذكر الرسول بولس "الله" إلاَّ في آخر الكلمات، وهي "هبة الله، أي الحياة الأبدية" في مقابل أجرة الخطية التي تدفعها الخطية. الإنسان عبدٌ للخطية: «كَمَا قَدَّمْتُمْ أَعْضَاءَكُمْ عَبِيداً لِلنَّجَاسَةِ وَالإِثْمِ لِلإِثْمِ ... لأَنَّكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ عَبِيدَ الْخَطِيَّةِ، كُنْتُمْ أَحْرَاراً مِنَ الْبِرِّ. فَأَيُّ ثَمَرٍ كَانَ لَكُمْ حِينَئِذٍ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي تَسْتَحُونَ بِهَا الآنَ؟ لأَنَّ نِهَايَةَ تِلْكَ الأُمُورِ هِيَ الْمَوْتُ» (رو٦: ١٩ – ٢١).

فالخطاب كله عن العبودية — الطاعة، وأخيراً الأجرة هي الموت.

ومقارنة الأجرة مع الهبة χάρισμα هي مقارنة دقيقة؛ لأن الاستعباد له أجرة، وهي الموت. أمَّا الله في المسيح، فهو لا يستعبد الإنسان، بل «وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رو ٦: ٢٣).

المسيح سيد ورب الحياة:

في (رو ٦: ٦) يؤكد رسول المسيح أن صَلب المسيح هو "صَلب" "جسد الخطية" الذي "أُبطل"، لكن الذي صُلِبَ هو الإنسان القديم أو العتيق حسب ترجمة بيروت. وقد استخدم رسول المسيح كلمة "القديم" لتأكيد حالة الإنسان، بل الإنسانية بشكل عام قبل مجيء ابن الله بالجسد في (١كو ٥: ٧ – ٨ و كول ٣: ٩ وراجع أف٤: ٢٢). الإنسان القديم هو تحت سيادة الشريعة (٢كو٣: ١٤) وبشكل قاطع في (رو ٧: ٦) هو الإنسان = آدم، والدهر القديم أيضاً حيث تملك الخطية ومعها العائل الوحيد أي الموت (رو ٥: ١٢ – ٢١)، لكن المسيح فَصَل بين الدهر القديم، دهر آدم، ودهرٌ جديد هو دهر المسيح، بخلق الإنسان الجديد، هذا الإنسان الجديد **خُلِقَ فيه هو، أي في يسوع المسيح** (أف ٢: ١٥). وبولس الحكيم استخدام صيغة المفرد "الإنسان القديم – ο παλιός ανθρωπος" لأنه الإنسانية، ولكن هذا الإنسان القديم قد صُلِب معه، وهو ما سبق وأشرنا إليه في الأفعال الخاصة بالشركة حيث يضاف المقطع Syn – συν والفعل صُلِب معه συνσαυρόω (راجع أيضاً غلا ٢: ١٩).

نترجم الفعل καταργέω إلى أبطل – أصيب بالشلل بالفعل – غير قادر أن ينمو ويتحرك. وقد استُخدم هذا الفعل ٢٥ مرة في رسائل القديس بولس. وعدم قدرة الطبيعة القديمة على أن تنمو وتتحرك، يعني أنها بلا فاعلية (١ كو ١: ٢٨ مع غلا ٣: ١٧)، ولكن المعنى القوي يتجاوز مجرد "بلا فاعلية" إلى "دمَّر أو يباد": «الله سوف يبيد» (١كو ٦: ١٣)، وهي نهاية الطبيعة الأولى – آدم الأول. وهو ذات الفعل المستخدم في (١كو١٥: ٢٤) عندما سيبطل الرب كل رئاسة وكل سلطان. وهو ذات الفعل الخاص بدمار الموت في (١كو ١٥: ٢٤) آخر عدو يدمر (يبطل هو الموت). وهو دمار القوة الكاذبة الشريرة التي تدعي الإلوهة؛ لأن هذا «الأثيم الذي الرب يبيده» (٢ تسا ٢: ٧ – ٨). وعند خلق الإنسان الجديد في يسوع "أبطل أو أباد الرب في جسده ناموس الوصايا أي **الإنسان الذي تكوِّنه الشريعة** (أف ٢: ١٥)، ولذلك يقول رسول المسيح أيضا إن الإنسان الخاضع للموت بالموت قد أُبيد لكي تُباد قوة الشيطان الذي أدخل الموت إلى العالم (عب

٢: ١٤)[١٢].

هنا جسد الخطية هو ذاته الجسد المستعبَد للموت، يؤكد ذلك استخدام نفس التعبير في نفس الإصحاح في (رو ٦: ١٢ - جسدكم المائت. وأيضاً في رو ٨: ١١ الجسد ميّت بسبب الخطية - راجع أيضاً ١ كو ١٥: ٥٣ - ٥٤ جسد الخطية = جسد الموت = الجسد الخاضع للدهر القديم الذي ينتظر الدهر الجديد الذي أشرق فيه يسوع بالحياة).

من الضروري أن نلاحظ أن جسد الخطية = جسد الموت (رو ٦: ١٠ مع ٦: ١١) هو التعبير المضاد تماماً لتعبير "حياة يحياها لله"، وليست "حسب الله"؛ لأنها حرفيا ξή τώ θεω وهنا صيغة المضاف هي صيغة الملكية، ملكية نعمة الحياة في يسوع المسيح ربنا، «هبة الحياة» (رو٦: ٢٣) حيث يؤكد الرسول: «تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية في يسوع المسيح ربنا».

مُلك الحياة = مُلك الله للحياة التي أعطاها الله، وهي ليست حياة آدم الأول، بل آدم الأخير ربنا يسوع المسيح (١كو١٥).

هكذا يقابل الله الخطية بالنعمة، ويقابل الموت بالحياة، ينزع الخطية وينزع الموت في يسوع المسيح، ويؤكد الرسول بولس ذات الشرح في (رو١٤: ٧ - ٩).

- «ليس أحد منا يعيش لذاته
- ولا أحد يموت لذاته
- لأننا إن عشنا فللرب نعيش
- وإن متنا فللرب نموت

فإن عشنا أو متنا فللرب نحن».

لكن كيف حدث هذا التغيير؟ والجواب هو بقية التعليم؛ إذ يقول رسول الرب: «لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على الأحياء والأموات». فالرب يؤكد سلطانه وربوبيته.

١٢- راجع استعمالات الفعل نفسه في رو ٧: ٢، ٦ بمعنى فقدان الفاعلية — ١ كو ٢: ٦، ١٣: ٨ بمعنى خلع — ١ كور ١٣: ١١، ٢ كور ٣: ٧ بمعنى ينزع.

الحياة هنا في هذا الدهر:

«نحن الذين متنا عن الخطية، كيف نعيش بعد (إن متنا) فيها (الخطية)» (رو ٦: ٢)، فما هو الخط الفاصل أو الحد الذي يؤكد أن السيادة للدهر الحاضر قد انتهت وفقدت فاعليتها؟

أولاً: البار بالإيمان يحيا (غلا٣: ١٢). قبل تجسّد الابن، كنا «تحت حراسة أو سيادة الناموس أو الشريعة مغلقاً علينا» (غلا٣: ٢٣)، لكن جاء الرب فصرنا «أبناء الله بالإيمان وبالمعمودية» حيث لم يفصل رسول الرب بين الاثنين بالمرة لاسيما في (غلا٣: ٢٦-٢٧).

قبل الرب حسب هذا الدهر كنا «مستعبدين لأركان العالم» (غلا ٤: ٣)، بل جاء الدهر الجديد بمجيء ابن الله في ملء الزمان (غلا ٤: ٤) عندما «أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولوداً تحت الناموس»، وفي عدد ٥ «ليفتدي الذين تحت الناموس لكي بالفداء ننال التبني» (غل ٤: ٥).

الحياة حسب الجسد: هي حياة هذا الدهر.

الحياة حسب الروح: هي الحياة حسب الدهر الجديد في يسوع المسيح.

«لأن الذين هم في الجسد = الحياة حسب الجسد، لا يستطيعون أن يرضوا الله» (رو ٨: ٢٨)، أمَّا الذين دخلوا الدهر الجديد، هؤلاء ليسوا من «الجسد بل من الروح»، **وهذا الروح هو روح الله** الذي لا يعمل بالمواهب، بل الساكن فينا؛ لأن الذين ليس لديهم هذا الروح أي روح الله أو روح المسيح، فهؤلاء ليسوا من المسيح» (ترجمة موسعة لإيضاح عدد ٩ من رو ٨).

هكذا نعود - كما يقال اليوم في الإعلام العربي بل والمصري - **"**جهة سيادية**"**. فبعد أن جاءت السيادة على الجسد بالخطية ثم الموت، تجئ السيادة على نفس الجسد بالبر بالحياة - بالنعمة - بالتبني - سكنى الروح القدس، روح المسيح.

الثبات على الإيمان الرسولي بسكنى روح الله فينا:

لقد كانت هذه مسيرة طويلة جداً، وكانت ضرورية؛ لأن الإيمان الرسولي ضُرِبَ في عقر داره أي الكنيسة وبواسطة بعض الإكليروس من الذين فقدوا الشجاعة لأنهم لم ينالوا روح يسوع المسيح، ولذلك كان من الضروري أن نقدم الأفعال والأسماء الدالة على الشركة:

- شركتنا المباشرة في يسوع المسيح: «أحياء لله في المسيح يسوع ربنا» (رو ٦: ١١). هل هذه هي موهبة أم هي الحياة ذاتها؟ أليست هي هبة الحياة الأبدية (رو٦: ٢١ - رو٥: ٢١).

فهل يمكن العبث بكلمات مثل هذه: ''ENXPIΣTΩI- في المسيح''، أي رب الأحياء والأموات، الذي صُلبنا معه ومتنا معه <u>**وفيه**</u> دخلنا سيادة الحياة الأبدية التي تبدأ هنا في هذا الدهر القديم.

النسل الآتي:

لكي يقطع سكين التعليم الرسولي كل لسان يطارد عبثاً نور الإنجيل، كيف يشرح رسول المسيح لمن هَوَّد موضوع ''النسل = Seed''؟

- لم تكن المواعيد عن الأنسال = الأسباط الاثنى عشر.

«أيها الإخوة بحسب الإنسان (الذي يعارض التعليم) أقول ليس أحد يبطل عهداً قد تمكن.. أما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله الذي هو المسيح» (غلا٣: ١٥ - ١٦).

ولاحظ أن النسل ليس اسحق، بل يسوع.

«الوعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون» (غلا ٣: ٢٢).

«فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة» (غلا ٣: ١٩).

لكن سبق هذا تعبير ''في المسيح''، أي في الكيان الجديد.

«لأنكم جميعاً واحد في المسيح» (غلا ٣: ٢٨)، فقد أزال المسيح وأباد كل

الفوارق العرقية أي الانتماء لليهود والانتماء للأمم، بل وحتى الفوارق الاجتماعية لا تؤدي إلى تبني الإنسان، وذلك، حسب النص:

- ليس يهودي ولا يوناني	- الانتماء العرقي.
- ليس عبد ولا حر	- الانتماء الاجتماعي والطبقي.
- ليس ذكر ولا أنثى	- الحقيقة البيولوچية[١٣].

١٣- لم تصل بعض الكنائس إلى هذا المستوى الجديد للحياة الجديدة في المسيح؛ لأن المرأة لا زالت تحت قيود الشريعة القديمة الخاصة بالدهر القديم.

اللاهوت يشرح التاريخ
الموت والصلب "مع المسيح"
(رو ٦: ٣ – ٦)

الحقيقة التاريخية التي تؤسِّس الحياة الجديدة:

«أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟ لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ. عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيَّةِ» (رو ٦: ٣ – ٦).

من شرح H. Lietzman إلى A. Deissman مروراً بغيرهما وأخيراً R. Schackenburg وغيرهم في عصرنا هذا، يبدو لمن يقرأ عبارات الرسول أننا أمام معضلة.

الواقع هو أن الرب صُلِبَ على عهد بيلاطس البنطي. ولكن الصليب لم يكن هو نهاية عمل المسيح، بل لم يكن أيٌ من أعمال المسيح منذ أن وُلد حتى صعد أعمالاً لها **نهاية زمنية**. هذه النقطة – على بساطتها – لم تستطع أن تدخل عقولاً "مصفحةً" بدراسة التاريخ بدون اللاهوت. بل وحتى معجزات المسيح لم تكن أعمالاً معجزية تقف أمام حائط اسمه الزمان الماضي. وإذا شئت الدقة فإن كلمة "معجزة" غير معروفة في العهد الجديد اليوناني، وبالتالي لدينا "علامات الملكوت"، وهي إحدى خصائص إنجيل يوحنا، (ورغم أن الترجمة العربية استخدمت كلمة "آيات" إلاَّ أن الكلمة اليونانية هي Signs / σημείων (يو ٢: ١١). فقد جاء ملكوت الله، وبدأت الحياة الجديدة تظهر في تجديد الكون

وفي تجديد الكيان الإنساني بمعجزات الشفاء وطرد الشياطين، ثم التعليم الجديد لكي يعيد الرب تجديد الكيان الإنساني الذي اتحد به واتخذه من مريم والدة الإله.

كيف ينقل بولس موت الرب على الجلجثة إلى موتنا مع المسيح حسب (عدد ٣ من رو ٦): ''كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته''؟

لقد تجاوز رسول الرب كل محاولات التفسير الرمزي بكلمة "دُفنا معه" (٦: ٤)، مُتنا معه في المعمودية، في المياه بشكلٍ خاص. هكذا يجب أن نفهم الانتقال إلى السيادة الجديدة حيث يسوع المسيح ربٍّ الحياة. هذا ما تؤكده (غلا ٣: ٢٧ و١كو١٢: ١٣)، الانتقال إلى حياة وسيادة يسوع: من العبودية إلى الحرية.

وفي الدفن في مياه المعمودية يؤكد لنا ثلاثة حقائق لا يجب أن تغيب عنا.

أولاً: إن الذي يدفِنّا هو المسيح نفسه؛ لأنه بحريته قَبِلَ الموت والدفن.

ثانياً: إنه هو يسوع نفسه الذي يُشركنا في موته ودفنه لكي نشترك في قيامته.

ثالثاً: إننا إزاء شخص حي يعمل، ولسنا أمام حدثٍ من أحداث الماضي.

اعتمدنا (نحن جميعاً) لموته:

سبق الرب وأخبرنا عن موته كصبغة (معمودية) راجع (مر١٠: ٣٨ - ٣٩ مع لوقا ١٢: ٥٠) وإذا عدنا إلى المعنى السائد "صبغة"، فإن الموت، أي موت يسوع هو صبغة تغيِّر الحياة وتجعلها جديدة. (راجع الأسماء وأفعال الشركة في الفصل السابق، حيث يتضح لنا هنا إلتقاء الإرادتين: إرادة المؤمن مع إرادة المسيح).

وكما أقيم المسيح من الأموات:

الله الآب أقام الابن بالروح القدس، وهنا الموت الاختياري والدفن هو إرادة الثالوث الواحد، كذلك قيامة المسيح. الآب أقام الابن لأن هذا هو عمل الله الآب، وقد أقامه بالروح القدس (رو ٨: ١١)، وهو نفس الروح الذي مسحه وجعله "المسيح" (راجع رو٤: ٢٤ مع رو٨: ١١ ، رو١٠: ٩ ، ١كو٦: ١٤ و٢كو٤: ١٤)، هذه القيامة لمجد الآب.

أقيم لمجد الآب:

مجد الآب هو قوته، وقوة الآب هي الروح القدس؛ لأن رسول المسيح يقول: «الله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضاً بقوته» (١ كو٦: ١٤)، ومن نص رو ٨: ١١ نعرف أن الروح القدس هو قوة الآب، وعندما يقول رسول المسيح: «لأنه وإن كان قد صُلِبَ عن ضعف، لكنه حي بقوة الله، أي بالروح القدس، فنحن أيضاً ضعفاءِ فيه (في يسوع في زمان الصليب) ولكننا سنحيا معه بقوة الله (زمان قيامتنا نحن الذين سوف تشرق فينا قوة قيامة الرب يسوع الذي أقيم بالروح القدس لكي نقوم نحن بنفس الروح الذي مُسحنا به في المسيح)، (والمجد الذي هو أصلاً بهاء وجمال الله) (رو١: ٢٣، ٣: ٢٣ و ١ كو ١١: ٧، ١٥: ٤٠ — ٢ كو ٤: ٦ – أف١: ١٧)، هو ذات المجد الذي سوف نشترك فيه؛ لأنه مجد القيامة المُستعلن بالروح القدس. ونحن نطلب «المجد والكرامة والبقاء» (رو٢: ٨) لأننا نفعل ذلك بالعمل الصالح، وهو ما يؤكده الرسول «مجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح» (رو ٢: ١٠). وما وُهِبَ لنا من نعمة التبرير، أي «النعمة التي نحن فيها مقيمون» هي التي تجعلنا نفتخر على رجاء مجد الله» (رو٥: ٢ – ٣) لأن هذا المجد نناله في المسيح لأنه سوف «يُستعلن فينا» (رو ٨: ١٨)، فهو مجد القيامة وانعتاق أولاد الله «حرية مجد أولاد الله» (رو ٨: ٢١). فهو مجدٌ غير مخلوق – كما قال أحد كبار أساقفتنا – لأنه سبق خلق العالم «بل نتكلم بحكمة الله في سر الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا» (١كو ٩: ٢٣) فالذين سبق فعرفهم قبل خلق العالم «هؤلاء مجدهم» (رو ٨: ٣٠) بمجد الابن الوحيد (راجع ١ كو ١٥: ٤١ و أف١: ١٨ – في ٣: ٢١ – كول١: ٢٧، ٣: ٤ مع ١ تس٢: ١٢ — ٢ تس٢: ١٤).

آدم والمسيح
والحقيقة التي توشك
أن تغيب خلف سحابة الشكوك

قبل أن يكتب رسول الرب عن الصلب والموت والدفن والقيامة مع المسيح (رو ٦: ١ وما بعده)، قدَّم أحد مكونات الإنجيل الأساسية، وهي في (رو ٥: ١٢ - ٢١):

أولاً: حصر الرسول تاريخ الإنسانية بين آدم والمسيح، ولاحظ تسلسل التعليم الرسولي:

- بإنسان واحد دخلت الخطية - ليس في حياة آدم وحده - بل «دخلت الخطية العالم»، أي الخليقة كلها.
- وبدخول الخطية إلى الخليقة، دخل الموت. ويجب أن نلاحظ أن الله لم يكن هو سبب الموت. ومن حكمة بن سيراخ ١٤: ١٧، ٢٥: ٢٤، وكذلك سفر حكمة سليمان نعرف أن «الموت دخل إلى العالم بحسد إبليس»، فالله ليس هو مصدر الخطية، وبالتالي ليس هو مصدر الموت.
- مَلَكَ الموت (كملك) من آدم إلى موسى - ما قبل الشريعة.
- وذلك على كل البشر الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم، أي لم يكن لهم خطية مثل خطية آدم، أي تعدي الوصية الأولى.

ثانياً: بعد أن قدم الرسول التاريخ القديم، يفتح الطريق أمام التعليم الإنجيلي:

- ليس كالخطية هكذا الهبة - لا يمكن المقارنة بالمرة. بولس يحرص على هذه النقطة بالذات لأن عمل الله في المسيح ليس مساوياً لأخطاء كل البشر لأنه «إن كان بخطية واحد مات الكثيرون، فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد قد ازدادت للكثيرين» (رو٥: ١٥). وعاد يؤكد من جديد: «وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية» (رو٥: ١٦).

وعلى هذا الأساس الرسولي، رفضنا تماماً أن يكون موت الرب = خطية آدم، وأنها خطية غير محدودة استلزمت كفارة غير محدودة... هذا تعليم لا علاقة له بالأسفار المقدسة وينال من عظمة النعمة التي يؤكدها رسول الرب بأنها:

- فيض النعمة (٥: ١٧).
- ومُلك الحياة الأبدية (٥: ٢١)
- لأنه حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً (٥: ٢٠)[١٤].

مع أن مقارنة السقوط بالنعمة، أو خطية آدم بعمل المسيح الرب غير جائزة لأن الله المتجسِّد لا يقَارَن، ولا يجب تقييم عمله بما أقدم عليه الإنسان ... أقول رغم الخسارة الظاهرة وهي مقارنة آدم الأول بالمسيح آدم الأخير (١ كو ١٥: ٢٠ حتى ٥٠)، إلاَّ أن استهتار البعض جعل خطية آدم هي سبب تجسّد الابن وليس صلاح الله ومحبته[١٥] بل تهور البعض واعتبر أن خطية الإنسان هي سبب عدم سكنى الله في الحياة الإنسانية: جسداً وروحاً وصار الكلام في عصرنا هو عن الروح فقط كأن هذه الروح الإنسانية تعيش في الهواء وليست في كيان مادي منظور يغطس في مياه المعمودية ويُمسح بالميرون الإلهي ويأكل طعام الخلود، جسد ودم عمانوئيل إلهنا بالحقيقة.

ولكن رسول المسيح وهو يشرح ما سبق وذكره في (رو ٥: ١٢ إلخ) يعود بشرح مطول في (١كو ١٥ كله)، مؤكداً أساس الحياة المسيحية، وهي قيامتنا لأن الرب يسوع قام وليس لأننا سنقوم بقدراتنا (إذا لم يكن المسيح قد قام فلا قيامة للأموات» (١ كو١٥: ١٣).

والسبب أن آدم جلب الموت، وقد ترك رسول الرب الحديث عن الخطية مكتفياً بما أورده في (رو٥: ١٢) لأن الخطية والموت هما معاً حقيقة واحدة، ولذلك اكتفى بقوله: «كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع» (١٥: ٢٢).

وبعد ذلك يذكر طبيعة جسد القيامة (١٥: ٤٢ - ٤٤) مؤكداً أن التدبير،

١٤- نسمع ذات الكلمات في القداس الباسيلي، في الصلوات التي تلي صلاة القسمة.

١٥- راجع محاضراتنا عن شرح تجسّد الكلمة، المحاضرة الرابعة، منشورة على موقع www.coptology.com

لا خطية آدم، هي سبب هذا التحول وأن:

- الفســـــــاد تحول إلى عدم فساد.
- الهـــــــوان تحول إلى عدم هوان.
- الضـــــعف تحول إلى قوة القيامة.
- جسدٌ حي (وصف بالعربية بأنه حيواني) جسد روحاني.

وحصر الرسول هذا التحول في آدم الأول الحي بالنفس الإنسانية، ولكن آدم الثاني أو الأخير (١٥: ٤٥) ليس فقط حياً، بل واهب الروح، وحسب ترتيب التدبير:

- الكائن الحي (الحيواني) هو الأول. الإنسان الأول من الأرض المخلوق من تراب الأرض (١٥: ٤٧).
- الكائن الحي والمحيي معاً هو الأخير أو الإنسان الثاني، ولاحظ كلمة الإنسان الثاني، فهو مصدر وأب الإنسانية الجديدة، ليس من تراب الأرض – رغم ولادته من القديسة مريم – ولكنه الرب من السماء؛ لأن إلوهية الرب حولت ما هو من اليهود من نسل إبراهيم ومن الإنسانية إلى الإنسان الجديد، فالإنسان الثاني هو آخر مراحل تحول الإنسان، هو بداية الخليقة الجديدة (٢ كو٥: ١٧ و ٢٢)، ولذلك لاحظ أن الإنسان الثاني جاء ومعه هذه الحقيقة:

- كما هو الترابي هكذا الترابيون.
- كما هو السماوي هكذا السماويون (١٥: ٤٨).

وعندما يُحاصَر الخلاص، والتبني، ونعمة الملكوت، والسرائر، والكنيسة جسد المسيح، وسكنى الثالوث فينا، وشركتنا في الطبيعة الإلهية... عندما تحاصَر كل هذه القوى السماوية الإلهية في دائرة حصار الشريعة الموسوية، وطقوس بلا عقيدة، وحياة بلا إيمان، وإنكار الشركة في حياة الثالوث... ماذا بقي لنا سوى أن نتمسك بما لدينا:

- «كما هو الترابي هكذا الترابيون».

المعمودية، آدم والمسيح والكنيسة

المعمودية هي "في المسيح into - εις χριστον". هي شركة في الشخص، والدليل على ذلك هو أن الرسول يقول: «لَبستُم المسيح» (غلا٣: ٢٧)، و"لبس المسيح" يجعلنا "واحداً في المسيح". هذه حقيقة التحول الكياني من آدم إلى المسيح وهو ما يجعل بولس يترك آدم يقول إننا «نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة» (غلا٣: ٢٩)، وتحديد إبراهيم بالذات ليس خطأً مطبعياً عند بولس، بل هو تعبير مقصود لأنه يمثل حلقة من حلقات التدبير - الانتقال من آدم حيث اللعنة والموت إلى إبراهيم حيث الوعد بالبركة ووراثة المواعيد. فقد «جاء النسل الذي وُعِدَ له» (غلا ٣: ١٦)، والوعد بالبركة الذي تحقق جعل الفوارق العرقية والطبقية تسقط، وهو ما يؤكده رسول المسيح بعد ذلك:

- «لأننا جميعنا (وهنا يضع بولس نفسه مع سائر المؤمنين) بروح واحد... اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين - عبيداً أم أحراراً» (١كو١٢: ١٣). هذه هي ذات مصطلحات (غلا٣: ٢٧ و ٢٩). ولبس يسوع المسيح هنا هو قبول الروح الواحد «سُقينا روحاً واحداً» [١٦] (١كو١٢: ١٣).

وهكذا تسقط كل الفوارق الاجتماعية والعرقية، والدليل هو انضمام مَن خُلِقَ من جديد إلى الجماعة الجديدة التي أسسها السمائي يسوع - وكما السمائي - هكذا السمائيون.

من التعليم الرسولي في (رو٩: ٣ و ١كو ١٣: ١٣ و غلا٣: ٢٧ - ٢٩) يظهر بوضوح شكلٌ آخر مراحل التدبير، فقد جاء يسوع بالحياة الجديدة، وجاء لينقل الترابي إلى السمائي (لاحظ هذا التعبير ينقل، وهو الفعل الأساسي في تقديس مياه المعمودية والخبز والخمر في الإفخارستيا).

وحتى إذا عُدنا لتعبير الرسول بولس "اعتمدوا لموسى" (١كو١٠: ٢)، فإن موسى نفسه دخل مياه البحر ومعه الشعب، فهو لم يقف "للفرجة"، وهكذا

١٦- لا أدري كيف يشرح محاربو سكنى الروح القدس "سُقينا روحاً واحداً"، فالتعبير يؤكد الحقيقة التي تفوق القدرة على التعبير باللفظ، ولذلك استخدم "سقينا".

عندما اعتمد يسوع كنا نحن الذين اعتمدنا فيه[١٧].

وعلى نفس المنوال اعتمدنا ليسوع، لموته وقيامته. التاريخ القديم يقف عند بداية التدبير. ما نراه في (رو٥: ١٥ وبعده) هو بداية التحول من آدم إلى إبراهيم ثم الوعد بالبركة لكي يختفي آدم ويحل إبراهيم محله ثم يختفي إبراهيم لكي يحل يسوع محل إبراهيم (بالطبع مروراً بموسى)..

١٧- راجع القديس أثناسيوس، ضد الأريوسيين ١: ٤٧.

الفصل الخامس

إتحادنا بالمسيح، وفي المسيح الرب حسب التسليم الرسولي

لم يكن موضوع اتحادنا بالمسيح، بالرب والمخلص موضوعاً غريباً جديداً على الفكر المسيحي العالمي، بل كان ولا يزال موضوعاً شغل مراكز البحث في جامعات أوربا وأمريكا. يعود الفضل في طرحه إلى العالم اللوثري *Adolf Deissmann* الذي شغل كرسي دراسات العهد الجديد والمسيحية القديمة في أكاديمية العلوم – برلين في دراسة مطولة بعنوان:

Die neutestamentlich Formel ‘‘In Christo Jesu’’ Marburg, 1892

ودخل ذلك الموضوع في مجال دراسات الديانات المقارنة، والفلسفة، وعلم النفس، وعلم الإنسان (الانثربولوچي) وأخيراً علم الاجتماع. بالطبع كانت دراسة لفيف من علماء اللغات لمفردات العهد الجديد التي نُشرت في ١٠ مجلدات القوة الدافعة لمزيد من البحث. ولا يوجد أدنى خطأ في أن نقول إن الصراعات في مجالات دراسات اللغة والتاريخ، والفلسفة، واللاهوت والعلوم الإنسانية تدور حول محورين:

– الشخص كوجود حقيقي روحي – جسداني.

– النظم *Systems* والأفكار التي تقود الإنسان إلى العلاقات الإنسانية المتشابكة في المجتمع، الأسرة، الكنيسة، الأحزاب، الدولة...إلخ.

لم تكن أوربا التي عاشت زهاء ١٤٠٠ سنة تحت ثقافة مسيحية تتقدم وتتراجع حسب ظروف الحياة السياسية والاقتصادية قانعة بالتعليم الرسولي البسيط المدون في أسفار الكتاب المقدس لا سيما أسفار العهد الجديد، لأن الحياة الأوربية حيث

تقوم عقائد المسيحية بدور الإلهام والتنظيم، ترغم كل مفكر أوربي على مراجعة وتأمل دور العقيدة في تحديد:

– الهـــويـــة.

– والعلاقات الاجتماعية بأسرها، لا سيما تلك الخاصة بالأسرة، وبالحياة هنا، وبالقانون، بالولادة والزواج، بالحياة اليومية ككل.

كانت الرهبنة هي مراكز العلم في العصر الوسيط، وكانت المدارس الصوفية أي المستيكية تملأ أوربا شرقاً وغرباً، لم يكن العصر الوسيط هو عصر موت، بل كان عصر خلق النظريات والنظم على أيدي فلاسفة وعلماء، كان لهم دور بارز في تقديم الدفاع عن عقائد المسيحية (الغربية) وكان أنسلم *Anselm* واحداً من أبرز القيادات في القرن ١٣. بالطبع لنا مآخذ كثيرة على العصر الوسيط الذي وصل إلينا من مؤلفات المرسلين، ومشكلتنا مع العصر الوسيط هي أنه لم يستوعب تراث الشرق الأرثوذكسي.

في المسيح وفي الرب:

حسب *Deissmann* العبارة المألوفة "في المسيح" و"في الرب" وردت ١٦٤ مرة في العهد الجديد. بالطبع هاجم هذه الدراسة كل من:

H.E.Weber - H. Bohlg - John Weiss

في دراسات تقع ما بين سنوات ١٩١٤ – ١٩٦٠.

– لو قرأنا في دقة (رو١٥: ١٧ و ١كو ١٥: ٣١ و في١: ٢٦)، فإننا لا يمكن أن نتجنب الحقيقة الظاهرة بوضوح، وهي أن "في المسيح" عبارة تؤكد الوجود الإلهي الذي يحرك ويقود الحياة، لاحظ مثلاً:

– "رجاء في المسيح" – لو كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فنحن أشقى جميع الناس (١كو١٥: ١٩)، ولكن رجاء هنا وفي حياة أخرى آتية.

هذا الرجاء ليس فكرة في العقل، بل عندما يقول الرسول: «كان الله في المسيح مصالحاً العالم لنفسه لذاته» (٢كو٥: ١٩)، المصالحة هي علاقة، وليست مجرد

فكرة؛ لأن استخدام حرف الجر dia اليوناني ''بواسطة أو من خلال'' حسب (رو ٥: ١١) لأننا في نفس العبارة السابقة (٢كو ٥: ١٩) «يسوع المسيح الذي بواسطته نلنا الآن خدمة المصالحة».

فهذه علاقة لها وجود وحقيقة كيانية لا سيما أن الرسول يقول: «إذ قد تبررنا (مبني للمجهول لأن العمل هو عمل الله وليس عمل الإيمان) مجاناً، بالنعمة بواسطة الفداء الذي في المسيح يسوع» (رو ٣: ٢٤).

ويؤكد الرسول أن هذه العلاقة تعود إلى **عمل الابن الخالق**، وهو هنا يؤكد وجود الخليقة في المسيح «فيه خُلق الكل» (كول ١: ١٦)، ولأنه هو يسوع الخالق، فإن يسوع الخالق هو يسوع الفادي؛ الذي نقلنا إلى الملكوت ''ابن محبته''، الذي لنا فيه الفداء بواسطة دمه، غفران الخطايا (كول ١: ١٣)، فكيف يمكن أن ننتقل إلى «ملكوت ابن محبة الآب» بشكل خيالي في عقل الإنسان؟ ألم يكن الصليب هو انتصار الله في يسوع المسيح على القوات والسلطان المتنوع الذي استعبد الإنسان فظفر بهم المسيح في الصليب (كولو ٢: ١٥)؟ أليست هذه حقيقة معاشة: الصلح، الفداء، غفران الخطايا، الانتقال إلى ملكوت ابن محبة الآب؟ ثم ماذا بعد؟ يقول الرسول: «أما الآن في المسيح يسوع، أنتم الذي كنتم (سابقاً) بعيدين، قد صرتم (الآن) قريبين بدم المسيح» (١تس٢: ١٣).

الكينونة في المسيح:

عندما يقول الرسول: «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة» (٢كو٥: ١٧)، لا أدري ما إذا كانت الترجمة العربية تنقل الحس المسيحي الأصيل؛ لأن الفعل ''كان'' في النص العربي يعبِّر عن الماضي، بينما النص حرفياً باللغة الإنجليزية هو*It then any be in Christ* وبالتالي ضاع فعل ''*To be*'' من النص العربي، بينما الخليقة كلها لها كيان يحفظه الابن من العدم، حسبما استلمنا من بولس وأثناسيوس الرسولي. ويؤكد رسول الرب أن له وجوداً في المسيح: «الذي لأجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح وأُوجد فيه» (في٣: ٧ و ٩). الوجود الجديد هو وجود أبناء الله الذي نالوا الفداء لأننا انتقلنا من العبودية

وصرنا أحراراً من الموت وعبودية الفساد بالقيامة من الأموات وميراث الملكوت.

الخلق الجديد، ولاحظ تعبير ’’أحياءٌ بالله‘‘ (رو٦: ١١)؛ لأن هذه الحياة تولد بعد الموت والدفن والقيامة في المعمودية (راجع غلا ٣: ٢٦)، حياة تجعلنا ”مقدَّسين“ (١كو ١: ٢)، كنَّا ظُلمة أمَّا الآن «فنور في الرب» (١تس ٥: ٨)، فقد صار لنا الوجود - أو حسب ترجمة بيروت - ”قدوم“، وحرفيا *access* للآب (١تس ٣: ١٢) بلا خوف من الدينونة؛ لأنه بعد الخلق الجديد «لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رو ٨: ١)؛ لأن الناموس الذي جاء بالعبودية قد حررنا منه المسيح (غلا ٢: ٤).

المسيح هو الحقيقة الكيانية التي يتم فيها الوجود الجديد:

في حوار الطرشان ضاعت معاني ”في المسيح“. وحسب الأصل اليوناني «تبررنا في المسيح» (غلا ٢: ١٧)، فهو أي المسيح «فيه صرنا بر الله» (٢كو ٥: ٢١) وفي المسيح - الوجود الجديد - «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في ٤: ١٣)، فكيف تعمل إرادة بولس إذا لم يكن للمسيح يسوع وجود في بولس، ولذلك يقول الرسول: «تقووا في الرب وفي شدة قوته» (أف ٦: ١٠). فالمسيح الخالق هو الذي خلق، والآن يخلق من جديد، فالكنائس هي في المسيح (غل ١: ٢٢)، وهي في «يسوع المسيح» (١تس ٢: ١٤)، بل العائلات المؤمنة وكل بيت هم في المسيح، وهم لذلك «في الرب» (رو ١٦: ١، رو ٨: ١). فالرب يسوع هو في كل كنيسة وبيت وكل مؤمن، حتى الذين «رقدوا»، هؤلاء «رقدوا» أي «الأموات في المسيح» (أف ٤: ١٦) لأنهم «رقدوا في المسيح» (١كو ١٥: ١٨). هكذا يرى بولس الحياة، لا معنى لها ولا غاية بدون المسيح، حتى الذين سبقوا بولس في الإيمان يقول عنهم: «الذين كانوا قبلي في المسيح» (رو ١٦: ٧)؛ لأن كل المؤمنين هم «واحد في المسيح» (غلا ٣: ٨). هذه ليست وحدة فكر وإرادة فقط، بل هي أيضاً تلك الوحدة التي تعود إلى المعمودية «لأن الذين اعتمدوا في المسيح قد لبسوا المسيح» (غلا ٣: ١٨).

صيغة المضاف والمضاف إليه "من المسيح":

"عبد المسيح" هي صيغة ملكية، مضاف إليه، إي أن بولس مضاف إلى المسيح. المسيح "يملك"، وهنا صيغة المضاف ذات دلالة خاصة بالسلوك الإنساني «الذين هم للمسيح يسوع قد صلبوا الجسد» (غلا ٥: ٢٤). وهذه الصيغة خاصة بالحياة لأنها ليست مجرد "في المسيح"، بل هي "*Being in Christ*" فهي خاصة بالوجود أو بالكينونة، ولذلك عندما يسأل بولس وكأنه يصرخ "هل أنا لبولس؟" (١كو ١: ١٢) هل «بولس صلب لأجلكم؟» فهو يؤكد إصرار بولس على أن يكون كل مؤمن للمسيح، ويضيف «هل باسم بولس اعتمدتم؟» (١كو ١٠: ١٢) وصيغة الملكية وهي المضاف: «الذين هم للمسيح»، هم الذين «لهم وجود في المسيح» (١كو ١٥: ٢٣)، ويؤكد هذا «الذين رقدوا في المسيح» (١كو ١٥: ٢٣). وفي عبارة ذات دلالة عن الوجود «أن الذين ليس لهم الروح القدس هم ليسوا للمسيح» (رو ٨: ٩). وعندما يقول رسول الرب: «إذا كان المسيح فيكم...» (٢كو ١٠: ٧)؛ فلأن وجود المسيح فينا يعطي لنا حرية من سلطان الناموس أو الشريعة.

تتجلى أهمية صيغة المضاف في عبارات ذات دلالة عن الحياة المسيحية:

- **محبة المسيح**: يقول الرسول إنها تحصرنا، «لأننا نحكم بهذا الحكم: إذ مات واحد عن الجميع، فالجميع إذا ماتوا» (٢كو ٥: ١٤)، فكيف تحصرنا محبة المسيح؟

١- إنها ترفع كل الأحكام لكي يبقى حكم المحبة؛ لأن حكم المحبة هو برهان أن الواحد مات عن الكل، لأن عمل المحبة شامل لا يُحسب بالأرقام.

٢- "مات الجميع" ماتوا، أي قبلوا الموت، بسبب المحبة كموت الجميع؛ لأن للمحبة حُكم *Judgment* يجمع الكل لأن المحبة لا تعرف النظريات والنظم *Systems*، لأن محبة المسيح تفوق كل معرفة (١تس ٣: ١٤-١٩).

- **صبر المسيح**: «والرب يهدي قلوبكم إلى محبة الله وصبر المسيح» (١تس ٣: ٥) هو صبر الرب يسوع في حياة المؤمنين بسبب حلول المسيح فيهم،

قد يشمل هذا صبر الرب على الصليب، ولكن المعنى الواضح هنا هو صبر المسيح *Christ - patience*

- **عمل المسيح**: عندما يصف الرسول ابفرودتس يقول: «من أجل عمل المسيح وصل إلى حد الموت» (في ٢: ٣٠). عمل المسيح هنا هو العمل الذي يملكه المسيح الذي يتم في وحدة مع المؤمن مع المسيح، وقول الرسول في (١كو ١٥: ٥٨) يلقى مزيداً من الضوء: «لذلك يا إخوتي اثبتوا، مكثرين في عمل الرب، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب». التعب أو العمل في الرب وهو نفس التعبير في (١كو ١٦: ١) إذ يقول الرسول لتيموثاوس: «اعمل عمل الرب».

- **سجين المسيح** (أسير المسيح ليست دقيقة)، يقول الرسول: «لذلك أنا بولس، سجين يسوع المسيح لأجلكم أيها الأمم» (١تس٣: ١، مع فليمون ٩، ٢ تيمو ١: ٨).

الأهمية اللاهوتية لصيغة المضاف والمضاف إليه:

١- هذه ليست مجرد عبارات عامة في أحاديث يومية؛ لأن "في المسيح"، "في الرب" و"للمسيح" هي الحياة التي تجمع الوجود أو الكينونة، والبقاء.

٢- تشمل هذه الحياة الاجتماعية العبيد والسادة، حيث يقول الرسول للعبد أنت "عتيق الرب" (١كو ٧: ٢) لأن الرب أعتق كل البشر.

- ولأن المسيح يجمع كل شيء في السماء وعلى الأرض، فإن ذلك جعل الرسول يرى الإنجيل، "إنجيل المسيح" والإيمان هو إيمان المسيح.

أن أي مراجعة لرسائل القديس بولس تكشف عن أهمية صيغة المضاف مثل:

- دم المسيح.
- جسد المسيح.
- محبة المسيح.
- صبر المسيح.

- حق المسيح.
- سلام المسيح.
- حياة المسيح.
- روح المسيح.

فكل هذه وغيرها من الذي سبق وأشرنا إليه يؤكد الوجود الجديد، وجود الخلقة الجديدة التي تعتمد على المسيح، وهي من المسيح وللمسيح.

المسيح فينا حقيقة كيانية

يسأل الرسول بولس كنيسة كورنثوس: «هل أنتم تطلبون (تبحثون) عن برهان المسيح المتكلم فيَّ» (١كو ١٣: ٣)، فالمسيح يتكلم في بولس، لأن المسيح في بولس، وهو أي المسيح في كل مؤمن، ولذلك لنفس المؤمنين في كورنثوس يقول الرسول: «أنتم لستم لأنفسكم لأن المسيح فيكم» فالمسيح في بولس وفي كل المؤمنين.

- «**هيكل الله**» كما وردت في (١ كو ٣: ١٦ - ٢ كو ٦: ١٦)، وهي كينونة جديدة ليست مثل الحياة في العهد القديم حيث كان الله في هيكل سليمان والشعب حول الهيكل، بل المسيح في كل الشعب الجديد وفي كل مؤمن، ولاحظ عبارة الرسول «في جسدكم» (١كو ٦: ١٩).

- وحلول المسيح فينا يتطلب النمو: هو مُعطى للكل، أي الحلول، ولكن لابد من نمو يشير إليه الرسول في (أف ٣: ١٦)، وهو ما يجعل الرسول يحني ركبتيه لكي يتأيد كل إنسان بالقوة في الحياة الشخصية (الإنسان الباطن)، فهو ليس حلولاً ميكانيكياً، ولذلك يطلب الرسول لكنيسة أفسس أن تمتلئ من كل ملء الله (أف٣: ١٩). حلولٌ مثل النهر الفياض لمن يريد. والفرق بين الإيمان والسحر والشعوذة هو في أكثر من نقطة، لكن العلامة الفارقة هو أن الإيمان الشخصي في المسيحية يظهر في المحبة والعطاء، أنه ليس استدعاء بقوة كلمات، بل استدعاء بقوة حياة هي حياة الرب نفسه الذي يطلب المحبة والشركة.

وأمامنا عبارات لن تدخل قلوب الذين يحاربون اتحادنا بالمسيح؛ إذ يقول الرسول في غلاطية لمن وُلدوا في الإيمان:

«يا أولادي
الذين أتمخض بهم (مخاض الولادة).
حتى (إلى أن) يتكون *formed* المسيح فيكم» (غلا ٤: ١٩).

سبق هذه الكلمات عبارة الرسول عن الحياة الجديدة التي هي المسيح (غلا ٢: ٢٠). هكذا أيضاً يجب أن نفهم عبارات ذات دلالة لا يمكن أن نقرأها في سرعة لأن رسول المسيح يطلب أن يكون كل مؤمن «كاملاً في المسيح يسوع» (كو١: ٢٨) وهو ما يؤكد ضرورة النمو لأن المسيح:

- لا يلغي حرية الاختيار وكل مسيحي حقيقي يعرف ذلك.
- النمو هو نمو المحبة.

ويجب أن نقف عند عبارة هي خاتمة النمو: ''ملء قامة المسيح'' (١تس ٤: ١٣)، وملء القامة هي ما وصل إليه المسيح نفسه عندما تقدم فيها «نامياً في الحكمة وفي النعمة» (لوقا ٢: ٥٢). وهو الاتحاد التام الذي نما في يسوع حتى وصل هذا الاتحاد إلى "سفك الدم" وإلى دخول "وادي ظل الموت"، ولكن هذا الكمال استُعلِن بالقيامة.

- عندما ولد في بيت لحم «نما قليلاً كشبه البشر» (صلاة القسمة).
- اعتمد لكي يدخل الروح القدس شريكاً معه في تشتيت قوة الشياطين، ولذلك لم يطرد الرب أي شيطان إلاَّ بعد الانتصار في البرية.
- عندما صُلب أباد الموت في إنسانيته، ولذلك لم يرَ جسده فساداً (أع ٢: ٢٧).
- عندما قام صار جسده ليس فقط حياً، بل واهباً للحياة.
- عندما صعد ملأ الكل بحياته، أي حسب عبارة القداس «ملأت الكل بلاهوتك» أي الحياة الإلهية. ويلاحظ أن ملء القامة هو *The measure of the age of the fullness of Christ* (أفس ٤: ١٣).
- رجاء المجد هو المسيح فينا (كول ١: ٢٧).

يقول الرسول: «وأنتم الذين أُعلن الله لكم، فصار معروفاً لكم غنى مجد سره في الأمم أي المسيح فيكم رجاء المجد».

جاء المسيح للأمم **بغنى مجد**، فما هو هذا بالتحديد؟ المسيح فيكم هو رجاء المجد، هذا السر سبقه:

١ – تأكيد الرسول على أن كل شيء قد خُلق بيسوع المسيح، وأضاف: "خُلق له".

٢ – إنه البداءة والبِكر متقدماً على كل شيء وعلى كل أحد (١:١٥ وبعده).

٣– المسيح فيكم تعني حلول الرب بالروح القدس، وسوف نعود إلى هذه النقطة في فصل خاص.

المسيح فينا وتجديد الكيان الإنساني:

يطلب الرسول في (كول ٣: ٩) أن نخلع الإنسان القديم مع كل أعماله. هذا الكيان القديم الذي يجب أن "يُخلع"، هو تحوّل في كيان الإنسان إلى "الإنسان الجديد" الذي حدد الرسول كيانه الجديد الذي يتجدد «حسب صورة خالقه» أي الله. والخلع واللبس ورد في (رو ١٣: ١٤)، ولكنه تحول يتم بسبب المعمودية «أنتم الذين اعتمدتم في المسيح، وقد لبستم المسيح» (غلا ٣: ٢٧) وإذا عُدنا إلى (كول ٣: ٩ – ١٢) وجدنا الرسول يصف الإنسان المخلوق حسب صورة خالقه بأنه هو البشر الذين ليسو من الأمم ولا اليهود، بل "إنسان المسيح".

لأن عبارة رسول الرب «بل المسيح في الكل» هذا هو إنسان المسيح لأن الرسول يقول: έν πάσιν أي المسيح هو كل إنسان في الخليقة الجديدة وهو في الكل، لأن:

– الوحدة والتضامن على أساس العرق *ethnicity* قد أُبيدت.

– الوحدة على أساس النظام الاجتماعي لا تنسجم مع الحياة الجديدة، يدعِّم ذلك كلمات الرسول في (أفس٤: ٢٢ – ٢٤).

– هذه الوحدة مصدرها الإنسان الجديد الذي يوصف بأنه الإنسان الباطني غير الظاهر بشكل كامل جسدانياً όέσω ανθρπος.

لأن الإنسان الباطن يتجدد يوماً فيوماً أي كل يوم (٢كو٤: ١٦) الإنسان الباطن

هو "المسيح فينا" هو الحياة الجديدة حياة يسوع (غلا٢: ٢ و كول ٣: ٤)، وهو نفس ما نقرأه في (أفس ٣: ١٦)؛ لأن الرسول يصلي ويطلب أن يتأيد الذين قبلوا الإيمان في أفسس بقوة بروح يسوع في الإنسان الباطن «أي لكي يحل المسيح بالإيمان في قلوب هؤلاء» (كول٣: ٩)، وحلول المسيح هو الذي يخلق الإنسان الجديد (أفس٤: ٢٣).

ما يجب أن نراه هنا هو الاسم الذي يجمع حوله كل حقيقة جديدة، وهو اسم الرب يسوع، هذه ضرورة قصوى لفهم تعبير «ألبسوا الرب يسوع» (غلا ٣: ٧. مع رو ١٣: ١٤) ولعل أصحاب معارك الألفاظ يلاحظون أن تعبير الرسول واضح «ألبسوا الرب يسوع المسيح»، فهو هنا ليس اللاهوت دون الناسوت، ولا الناسوت دون اللاهوت، فهذا هو تقسيم هرطقات الأريوسية ثم الأوطاخية وأخيراً النسطورية.

ويتحدى الرسول بولس أنصار التهود في (غلا ٢: ١٩) إذ يقول: «رغم إنني أنا مت للناموس لكي أحيا لله. مع المسيح قد (حرفياً: دقت فيَّ مسامير الصلب)، صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ».

وما أحياة الآن في الجسد: أحياه في الإيمان (حسب الإيمان) إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ١٩ وبعده).

وقد كتب الرسول هذه العبارات بعد عدة سنوات من صلب الرب، لكن كيف سقط الزمان، أي ما حدث في الماضي من حساب بولس؟ كيف صُلب (حرفياً دُقت المسامير في جسد بولس) بولس مع المسيح؟ وحيرة أصحاب نظريات الفداء وعجزهم المطلق في فهم هذه الكلمات هو في عجزهم عن استيعاب الوحدة المستيكية (السرية) التي لا يمكن أن تخضع لأي تحليل عقلي؛ لأن العقل يرفض أن يكون ما حدث ليسوع هو ما يحدث لبولس، أي أن الزمان الذي فصل بين شخصين يجعل الحدث الأول: الصلب في أكفان الماضي، والحدث الثاني: ذلك الشخص المغمور الذي يبرز من ضباب الزمان ليقول: «أنا صُلبت مع يسوع»، ولكن الحقيقة هي أن الصليب والصلب هو عمل إلهي لا يخضع لأبعاد الزمان.

نعم تم في الزمان، ولكنه ليس في الزمان الماضي وحده، بل هو يمر بكل أبعاد الزمان؛ لأنه سوف يضمن الحياة الأبدية لمن صُلب مع يسوع، وهو كل من صُلب ودُفن معه لأنه قام معه، فقد أعطت القيامة القوة لإخضاع الزمان للصليب؛ لأن المصلوب حيٌّ وحاضرٌ وكائنٌ في كل أبعاد الزمان. هكذا يجب أن نضم كلمات (غلا ٢: ١٩ مع رو ٦: ٦ وهو أطول نص عن المعمودية في كل العهد الجديد).

– الصلب مع المسيح أباد الحياة الماضية، الحياة حسب الجسد، حيث الجسد هو محور وقلب الحياة، ذلك النوع من الحياة الذي يعطي له بولس الاسم الخاص به: «جسد هذا الموت» (رو ٧: ١٤)؛ **لأنه ليس هو مصدر الخطية، بل لأنه أداة الخطية، وفيه، أي في هذا الجسد يُستعلَن الموت** (نقلاً عن القمص متى المسكين).

– جسد الموت هو آدم الأول، هو الذات الإنسانية الأسيرة للجسد (رو ٧: ١٤)، لكن هذا يُباد لكي «يحل المسيح»، ولكي «يحيا المسيح»، وهذا الحلول هو حلول للحياة الجديدة، هذه ليست من آدم الأول ولا هي من العدم، بل هي من المسيح.

– وفي كلمات (غلا ٢: ١٩) لا ينكر بولس «حياة حسب الجسد» أو «في الجسد»، فهو يظل كما هو جسداً؛ لأن التحول الجسداني هو في اليوم الأخير، ولكن التحول الأكبر والأعظم هو في الحياة الداخلية، في «الإنسان الباطن».

– الحياة في الجسد (في١: ٢٢ و ٢كور١٠: ٣) هي الحياة اليومية بكل واجبات اليوم، ولكن خلف هذا توجد القوة الباطنية الداخلية الجديدة في **رؤيا وعزم** معاً نابعان من المحبة النارية التي يضعها روح يسوع، أي الروح القدس، ولذلك يقول الرسول بولس من الآن، عن كل يوم: «ما أحياه في الجسد إنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي».

الفصل السادس

حقائق اتحادنا بالمسيح

أولاً: ما يسمى الاتحاد الروحي:

يذكر مؤرخو الفكر الغربي أن كلمة "روحي" منذ عصر الإصلاح (ق. ١٦) تعني ما ليس له وجود مادي، وهو ما هو كائن في فكر الإنسان. وهكذا فهم الغربيون كلمة رمز *Symbol* أي ما يراه الإنسان لكي يذكِّره بما يعرف، أي بما هو كائن في العقل من فكر أو تصور.

أمَّا حسب إيماننا الشرقي الأرثوذكسي، فإن ما هو روحي هو ما هو مستيكي *Mystical* أي ما هو حقيقي، بل أكثر حقيقة مما هو مرئي؛ لأن ما هو مرئي ومنظور، هو:

١- عابر.

٢- متغير.

٣- يفتقر إلى البقاء والديمومة.

لكن التجسّد، أي تجسّد ابن الله هو:

١- اتحاد أبدي (دائم وحي) بين اللاهوت والناسوت.

٢- اتحاد فتح أسرار الحياة الإلهية؛ لكي يدخلها الإنسان في شركة.

٣- اتحاد من هو معنا دائماً بلاهوته وناسوته معاً عبر كل العصور «ها أنا معكم إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ١٩).

على هذا الأساس، فإن أكثر المتطرفين من قادة الإصلاح في العصر الحديث يقولون إن «ألبسوا الرب يسوع المسيح» لها وقع مكاني *Locative* أي وجود حقيقي في عالم المكان وحياة الأشخاص، حيث المكان والشخص معاً حقيقة واحدة؛ لأن

رسول رب المجد عندما يقول «البسوا المسيح» (غلا ٣: ٢٦ - ٢٩) فهو يكتب ضد حركة التهود التي تريد أن تضع الناموس فاصلاً بين الإنسان والمسيح.

ثانياً: الخلفية التاريخية الإنسانية لعبارة "في الرب – في المسيح":

لم تكتب هذه العبارات من فرغ ولأجل فراغ لأن الخلفية التاريخية الحية هي:

١- آدم الأول – الجسد، وهو جسد الموت.

٢- الشريعة القديمة بكل ما تأثرت به من أحكام نجاسة وموت، وهكذا يرى بولس أن الحياة القديمة في آدم الذي يموت فيه الجميع هي حياة دُعيت للتجديد؛ لأننا:

أ- سنُحيا في المسيح (١كو١٥: ٢٢)، فالمسيح هو حياتنا.

ب- في التاريخ الإنساني الجديد نرى «عندما كنا في الجسد (الحياة القديمة)، كانت أهواء الخطية التي تحركها الشريعة كانت تعمل في أعضائنا لكي نثمر للموت» (رو ٧: ٥). هذا هو القديم يعمل، و"ما هو ممنوع مرغوب"، ويؤكد رسول المسيح هذه الحقيقة «الذين هم في الجسد (الحياة حسب الجسد) لا يمكن لهؤلاء أن يُرضوا الله» (رو ٨: ٨)، ولكن جاءت الحياة الجديدة بأهم تغيير: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رو ٨: ١)؛ لأن هؤلاء قد ذاقوا موت الصلب، وهو ما يحدده بولس في تعبير ورد في الترجمة العربية باسم "أركان العالم" والترجمة الإنجليزية أدق *Elements of the world* لأن هذه *Elements* هي النظام اليومي الذي يسود على الحياة الإنسانية ولا يسود الإنسان عليه. وهو كل العلاقات الاجتماعية والمالية...إلخ التي تحدد مكان الإنسان وحياته وتربطه بكل ما هو قديم. هكذا عندما كنّا تحت أركان العالم لم يكن لنا شركة في المسيح، ولكن، لقد صُلبنا ومتنا مع المسيح الذي لم يحيا بالمرة حسب النظم والمفاهيم الاجتماعية والسياسية والمالية...إلخ. مات عن العالم وصُلب العالم لبولس لأن

العالم قد صُلب ليسوع: هنا الصليب له وجهين:
الوجه الأول: هو يسوع المصلوب.
الوجه الثاني: هو العالم الذي عندما صَلب يسوع، صَلب نفسه، أي أعلن إفلاسه وعجزه عن أن يسود على يسوع، وأيضاً على الذين ماتوا مع يسوع (كو ٢: ٢). وأركان العالم تعني أن من يخطئ بدون الناموس أي بدون ما تحدده الشريعة سوف يموت دون حكم الشريعة لأن الموت هو ثمرة الخطية (رو ٥: ١٢) ولكن من يخطئ حسب الشريعة أي مثل اليهود، هؤلاء سوف تحكم عليه الشريعة (رو ٢: ١٢). فالموت إذن يترصد كل شيء لأنه قابع في قلب الخطية.

ماذا حقق الصليب؟ والجواب هو: «نحن الذين مُتنا عن الخطية»، أي لم تعد الخطية بالنسبة لنا هدفاً للحياة؛ لأن هدف الحياة هو الصلب. هو الموت مع يسوع الذي لم يقبل أن يكون ملكاً على اليهود.

حرف الجر "في":

ليس حيلةً لغويةً ذلك التعبير "في"، ولا هو أيضاً حيلةً عقليةً، بل هو الواقع الذي يعبِّر عنه حرف الجر (في εν - in) وهنا نجد أن "في الجسد" يقابلها "في الرب" أو "في المسيح". وهو ما يعني انتقال حياة ليس بقوة الفكر؛ لأن تعبير "في الرب يسوع المسيح" يجب أن نراه في تعبير آخر ينقل التاريخ والحياة القديمة إلى مجال الحياة الإلهية، وهو تعبير "في الروح". «أنتم لستم في الجسد، بل في الروح» (رو ٨: ٩)، ولذلك يقول رسول الرب حسب الأصل اليوناني: «ومنه أنتم في المسيح» (١كو١: ٣٠)، هذا النص جاء في الترجمة البيروتية "بالمسيح"، وفي القبطية واليونانية "في المسيح"، وأعتقد أن وضع "بـــ" بدلاً من "في" هو استبدال مقصود يترع من الوعي الاتحاد بالرب، وينقل الوعي إلى "بـــ"، أي إلى الوسيط، إلى العمل الخارجي، ولكن بقية عبارة رسول الرب هي "وفيه أنتم"، أي «في المسيح يسوع الذي صار لنا حكمةً من الله». وهذا أسهل على مجال

العقل، ولكن بعدها «وبراً وقداسة»، ولاحظ آخر كلمة: «فداءً». والنص كاملاً «ومنه أنتم في المسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء»[١٨]. هذه هي حقائق الحياة الجديدة.

ولأن "في" تشير إلى ما هو كائن، يقول رسول الرب: «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة» (٢كو ٥: ١٧)، أليس هذا هو الوجود الجديد الذي تعبِّر عنه كلمة "خليقة"؟ ولكن ليست الخليقة القديمة «في البدء خلق الله السموات والأرض» (تك ١: ١)، بل الخلق الجديد لخلقة جديدة في يسوع.

في هذه الخلقة الجديدة لا يقف الإنسان تحت الدينونة؛ لأنه «لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح» (رو ٨: ١)، هؤلاء هم الذين «في الرب» (رو ١٦: ١١).

وفي الرب أيضاً نثبت (في ١: ٢٧)، وهو ثبات في الروح الواحد، وهو ثبات في المسيح أيضاً. هو ثباتٌ واحدٌ في الروح الواحد (فيلبي ١: ٢٧) وفي الرب (في ٤: ١).

ولأن الفادي لا يمكن فصله عن الفداء ولا يمكن تقسيم المسيح إلى:

- شخص،
- وعملٍ،

فهذا التقسيم يجعل "عمل" المسيح، خارج المسيح، ولذلك يقول رسول المسيح: «ليكن قربان، (تقدمة حياة الأمم) مقدساً في الروح القدس» (رو ١٥: ١٦)، وذات التقديس لا يمكن أن يكون إلاَّ في المسيح. «كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح» (١كو ١: ٢). ومرة أخرى نقلت ترجمة المرسلين حرف الجر "في" إلى "بـ" لكي يصبح المسيح والروح القدس هو "الوسيط"، وليس هما معاً الحالين فينا للتقديس. ولاحظ أننا «خُتمنا بالروح القدس ليوم الفداء»، أي يوم انكشاف الختم في يوم قيامة الجسد عندما يظهر هذا الختم مُعلِناً؛ لأننا سنقوم بنفس مجد قيامة الرب يسوع المسيح نفسه (في ٣: ٢١)، لكن الروح الذي يختمنا هو ذاته الذي يختمنا في المسيح، فلا ختم خارج المسيح: «الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة

١٨- المسيح هو الفداء لأنه يتعذر فصل الفادي عن عمله، أي فصل الفادي عن الفداء، فهما معاً كيان واحد.

الحق إنجيل خلاصكم الذي فيه إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس[١٩] الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده» (أف ١: ١٣).

ثالثاً: لا توجد ثنائية بين عمل الروح القدس وعمل الابن المخلِّص:

سبق وذكرنا في السطور السابقة كيف يعمل الروح في يسوع وفينا؛ لأننا في "الابن بالروح القدس" حسب تسليم الإيمان في الرسائل إلى سرابيون للقديس أثناسيوس. ولكن هذا لا يكفي لسد أفواه الذين يحاولون هدم الإيمان بالكلام الباطل. يقول الرسول: «افرحوا في الرب» (في ٣: ١ - ٤: ٤)، ولكن هذا الفرح ليس فرحاً وقتياً لأنه يقول إن «ملكوت الله... فرحٌ في الروح القدس» (رو ١٤: ١٧).

الشـــركـــة:

تلك الكلمة المخيفة والتي تزعج أحباء القهر والاستبداد... لكن رسول المسيح يقول وهو يؤكد ثبات المؤمنين في كورنثوس إلى النهاية: «آمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١كو ١: ٩)، ولأن شركة الابن هي ذات شركة الروح القدس ولا فرق؛ لأن الروح يعمل لاستعلان الابن، يطلب رسول المسيح: «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين» (٢كو ١٣: ١٤)، هذه العبارة التي صارت عند السذج مجرد صيغة بركة وليس استعلان عمل النعمة والمحبة والشركة التي لنا في الثالوث. ولعل القارئ الأرثوذكسي الذي يشترك في القداسات قد اكتشف أن بداية "الأنافورا"، أي التقدمة هي هذه العبارة بالذات؛ لأن ما سوف تناله الكنيسة هو الإفخارستيا التي تسكبها محبة الله الآب، وهي نعمة حياة يسوع، وتعطى لنا بالروح القدس الذي يشركنا في هذه النعمة وهذه المحبة ليكون لنا حياة في الثالوث. وها هو القديس بولس يصف حياة الكنيسة مؤكداً أن:

١٩- الذي يختم هو روح الموعد، أي روح الآب، أي الروح القدس. والعجيب هنا هو أن كلمات رسول الرب تقطع الطريق على مخالفي الإيمان من اكليروس اغترب عن الروح القدس، فصار يتكلم عن حلول مواهب لا حلول روح الآب الذي نأخذه هنا ونحن في الجسد "عربون الميراث الأبدي" لكي عندما يتم فداء الإنسانية بالقيامة وهي آخر مراحل التدبير، ننال نحن قيامة مجيدة تمدح مجد الله المستعلن في يسوع.

«الوعظ هو في المسيح.
التسلية هي في المحبة
لأن هذا
هو شركة الروح القدس» (في٢: ١)

الشفاعـــــة:

في تعليم ذهبي يجب أن ينقش على كل قلب، يســأل الرسول المحبوب:

«مَن سيشتكي على مختاري الله؟
ويجيب:
الله هو الذي يبرر
من الذي يدين؟

المسيح هو الذي مات، بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله يشفع فينا» (رو ٨: ٣٣ - ٣٤).

شفاعة الرب يسوع ليست هي التوسل بالكلام والطِّلبة كما يبدو من المعنى الشائع للكلمة نفسها. لقد حدث تطور، أو بالحري تراجع إلى الخلف، فقد غاب عن العصر الوسيط وعن زماننا غير الواعي أن تجسّد الرب جاء أولاً بعلاقة شركة، وثانياً بكلمات تعبِّر عن هذه الشركة، ولكن ما يجب أن نلفت إليه الانتباه بشدة، هو أن هذه الشركة إنما هي تسبق الكلمات.

ما عمله الرب يسوع هو تجديد الإنسانية فيه، وفي التجديد - حسب التسليم الرسولي السابق الظاهر في أفعال وأسماء الشركة - العمل هو الأساس، والكلمات هي التعبير. العمل، أي التجديد، والقوة، والنعمة، والتقديس. هذه ليست مجرد كلمات، بل هي أعمال الرب، وأعمال الرب لا يمكن فصلها عن الرب يسوع؛ لأن الموت كان موتاً في الجسد، في جسد الابن الكلمة، والقيامة هي قيامة إنسانيتنا التي فيه، ولا فرق بين صلب الإنسانية وقيامة الإنسانية في يسوع المسيح.

هكذا يبدو واضحاً أن ما يريد الرب أن يعمله في أعضاء جسده الكنيسة، هو

عملٌ ممتد عبر العصور، هو عملٌ لا يمكن أن يتم بدون الرب يسوع لأنه "عملٌ شخصيٌ"؛ ولأن هذا العمل يحتاج إلى وساطة الرب يسوع الدائمة أو شفاعته الدائمة؛ لكي ينقل من حياته ومن كيانه الإلهي المتجسِّد كل القوى التي تهدم القديم وتصلبه وتقيم الجديد حياً. ولذلك عندما نقرأ عن الرب إنه «يقدر أن يخلص إلى التمام – أي يكمِّل خلقتهم – الذين يتقدمون به – كوسيط – إلى الله؛ إذ هو حيٌ في كل حين ليشفع فيهم» (عب ٧: ٢٥)، فنحن لا علاقة لنا بالآب إلاَّ بواسطة يسوع، وهو "الرأس"، وهو "البِكر"، وهو "الراعي الصالح"، كما هو "الرب والمخلِّص"؛ لذلك "نتقدم" إلى الآب لأننا نريد تغيير الكيان، ونطلب ذلك بكلماتنا التي سُلِّمت إلينا من الرب نفسه ومن الآباءِ الرسل.

وعندما نطلب ونصلي، فإننا لا نطلب شيئاً معنوياً أو فكرياً فقط، بل نطلب "حياةً" (يو١٠:١٠)، ونطلب "شركةً" (١يو١:١-٣)، ونطلب أن نكون "فيه". هنا يشفع فينا الرب كوسيطٍ ينقل إلينا بواسطة الروح القدس من كيانه؛ لأن الرب حدد عمل الروح القدس: «ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويعطيكم» (يو ١٦: ١٤)[٢٠]. ولذلك يقول رسول الرب عن الصراع الروحي والصبر: «كذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا؛ لأننا لسنا نعلم ما نصلي من أجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأناتٍ لا يُنطق بها ... لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين ... ليكونوا مشابهين صورة ابنه ..» (رو ٨: ٢٧ – ٣٥).

وعندما قُسِّمَ عمل الروح، وفُصِلَ عن عمل الابن، ثمَّ قُسِّمَ عمل الابن وفُصِلَ عن أعمالٍ تمت في الماضي كالصلب والقيامة؛ أصبحت هذه الأعمال لا وجود لها إلاَّ في عقول وقلوب المؤمنين، بينما أعمال الرب حاضرة دائماً؛ لأننا نُصلَب معه ونموت معه ونقوم معه، وسوف نجلس معه على عرش مجده (رؤ ٣: ٢١).

وعندما فُصِلَ الفعل عن الكلمات، وصارت الكلمات بلا فعل؛ تحولت شفاعة المسيح إلى توسل لا سند له إلاَّ ما جاء به لاهوت العصر الوسيط عن الآب الغاضب والابن الفدية الذي يتوسل للآب.

٢٠- وذلك حسب الأصل اليوناني والترجمة القبطية، وليس حسب الترجمة البيروتية: "ويخبركم" بدلاً من "ويعطيكم".

وعندما نقول في القداس الغريغوري: «لأن شعبك وكنيستك يطلبون **إليك**»، فقد أضافت الصلاة: «إليك، **وبك** إلى الآب **معك** قائلين: أرحمنا».

فالطلبة هي إلى الابن،
وبالابن،
الذي هو مع الآب، ولا يمكن فصله بسبب وحدة الجوهر.

والاعتراض الذي يقول بأن موتنا مع المسيح، يعني أننا صرنا شركاء في خلاص العالم هو اعتراض لاهوت العصر الوسيط ذاته الذي حذف من موت المسيح قوة القيامة، وحذف من موت المسيح تأسيس الكنيسة، كما حذف من موت المسيح المعمودية. ولكن الذي قال: «مع المسيح صُلبت»، هو الذي كتب بيده نص رو ٦: ١ – ٨[٢١] عن المعمودية: الصلب – الدفن – القيامة مع المسيح؛ لأننا ونحن نأخذ ما عمله الوسيط والشفيع وحده، لا نأخذه إلاَّ من مصدر واحد هو الثالوث. ونحن نأخذ؛ لأننا لم نقدم شيئاً، وليس لنا دور سوى أن ننال ما قدَّمه الرب لنا، وهو قلب وجوهر رسائل القديس بولس، ومن قبله تعليم الرب يسوع[٢٢] الذي قال بشكلٍ مطلق: «بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً» (يو ١٥: ٥).
إن شفاعة الرب هي عطاء الحياة، وتجديد الكيان الذي يعمله الروح القدس؛ لأن الروح القدس هو الذي:

- كوَّن إنسانية يسوع (لو ١: ٣٥).
- مَسَحَ يسوع (معمودية الرب في الأناجيل الأربعة).
- به صُلِبَ يسوع (عب ٩: ١٣).

٢١– ’’فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟ حَاشَا! نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟ أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟ لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ. عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيَّةِ. لأَنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ. فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ، نُؤْمِنُ أَنَّنَا سَنَحْيَا أَيْضاً مَعَهُ‘‘.

٢٢– راجع لنا مجموعة محاضرات صوتية عن تعليم الرب وكيف عبَّر القديس بولس الرسول عن هذا التعليم في رسائله، منشورة على موقع www.coptology.com.

- أقام يسوع (رو ٨: ١١).

فهو ينقل كشفيع، الولادة الجديدة من الماء والروح، وهو الذي يمسحنا مع يسوع؛ لأننا أخذنا المِسحةَ من يسوع نفسه «الْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا **مِنْهُ** ثَابِتَةٌ فِيكُمْ» (١ يو ٢: ٢٧)، وقبل ذلك «لَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ» (١ يو ٢: ٢٠)، وهو الذي به نُصلَب ونموت ونقوم مع يسوع في المعمودية، وهو بذلك يشفع فينا لكي يتم عمل الابن فينا، ويكمِّل؛ لأنه "يئن" بسبب "عدم الصبر"، وبسبب "العجز" الذي فينا. ونفس الروح هو الذي يُستدعَى في السرائر لأننا به ننال كل شيء في السرائر لا سيما استدعاء الروح القدس لتقديس الخبز والخمر؛ لكي بالروح القدس ننال جسد ودم ربنا.

شذرة عن أنَّات الروح القدس من رسالة ديونيسيوس أسقف الإسكندرية (٢٤٨م - ٢٦٥م)

يشرح ديونيسيوس بابا الاسكندرية وتلميذ العلامة أوريجينوس أنَّات الروح القدس الذي يخلي ذاته لكي يسكن فينا، فيقول:

> «ما هو معنى كلمات الرسول: «الروح نفسه يعين ضعفنا، لأننا عندما لا نعرف كيف نصلي أو ماذا نصلي، الروح يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها» (رو ٨: ٢٦ - ٢٧)؟ لا يقبل الروح الكلي القداسة أن يسكن حيث توجد خطية، ولكنه هو نفسه الآن يحيا إلى الأبد في قلوبنا البشرية الخاطئة.
>
> ما أعمق معاني كلمات الرسول بولس: أنَّات لا ينطق بهاني. لقد قال الرسول نفسه في موضع معين: لا تطفئوا الروحني (١تس٥: ١٩)، ونحن كثيراً ما نطفئ الروح عندما يصبح قلبنا بارداً، وهو ما حذَّرنا منه الرب يسوع المسيح، لأن القلب يبرد بالأثم (متى٢٤: ١٢).
>
> المحبة هي رباط، ولكن ذلك الرباط ليس للعبودية،

بل هو رباط الروح الذي يطهِّرنا من الأنانية. فالروح الذي هو نار المحبة الالهية نحن لا نهتم به، وهو يصرخ فينا، نحن نسكب عليه مياه الخطية الباردة لكي نطفئ اللهب، وهو يعاني ويتألم من طردنا إياه، إلاَّ أنه لا يتركنا إلاَّ في يوم الدينونة. يشتاق الروح أن يعطي لنا كل الصلاح، إلاَّ أنه يرى أن قلوبنا باردة.

لقد أخلى الروح ذاته وتخلى عن قداسته لكي يغسل قذارتنا. هل رأى أحدٌ منَّا ملكاً عظيماً يخلع تاج ملكه وملابسه الملوكية لكي ينحني لكي يغسل قذارة شحاذ مغطَّى بالقذارة، ثم يضمد جراحه، ويُلبسه ملابس ملوكية، ثم يئن مشتاقاً لأن يعطي له التاج والملابس الملوكية.

حقاً يتواضع الروح أكثر من تواضع الابن عندما تجسّد؛ لأن الابن أخذ نفساً وجسداً من مريم وجعلهما مقدَّسَين بالاتحاد بالطبيعة الإلهية، ولكن عندما يعمل فينا الروح القدس، نحن الذين ليس لنا طبيعة مقدسة لكي يعمل فيها، بل مدنسة بالخطية فهو يخلي ذاته»[٢٣].

٢٣- راجع مقالنا عن الدالة والشفاعة، رد موجز على الذين غاب عنهم الوعي الكنسي. منشور على موقع الدراسات القبطية www.coptology.com

الفصل السابع

الأفعال اليونانية والقبطية الخاصة بالسكنى والحلول في العهد الجديد

السلفيون مدعو الأرثوذكسية

لا يوجد ما يزعج ضمير وقلب أي مسيحي مهما كان، مثلما يزعجه ذلك العناد والإصرار على الخطأ. بقدرة قادر، وهي قدرة سيطرة ترجمة ڤان ديك (الترجمة البيروتية) على الذين يدَّعون المعرفة، تحوّل الفعل الخاص بكينونة أي وجود الرب يسوع في المؤمنين إلى فعل آخر وصارت عبارة الرب: «يكون فيَّ وأنا أكون فيه» حسب ڤان ديك إلى: «يثبت فيَّ وأنا أثبت فيه» (يو ٦: ٥٦).

وعلى أساس هذا الخطأ في ترجمة ڤان ديك بنى بعض السلفيين واخترعوا ما يسمى بـــ "حلول الثبات"؛ لأن كينونة، أي وجود أقنوم الابن المتجسِّد فينا تزعج أفكارهم التي تحب الانفلات من محبة الله الكبرى.

الفعل اليوناني μένω ورد في إنجيل ورسائل القديس يوحنا ٤١ مرة. تُرجم في الإنجليزية إلى *dwell - remain – abide*.

وقد ورد هذا الفعل أولاً في معمودية الرب في الأردن، وحسب ترجمة ڤان ديك "استقر" الروح القدس على الرب (يو ١: ٣٢)، وأعاد الإنجيل استخدام نفس الفعل في (يو ١: ٣٩) واستخدم الإنجيل نفس الفعل بمعنى السكن، ولذلك قيل «أين يمكث»؟ (يو٤: ٤٠)، أي يسكن.

لاحظ أن ڤان دَيك يترجم (يوحنا٥: ٤٠) إلى «وليست لكم كلمة ثابتة فيكم» ولكن الترجمة القبطية تقول:

Ⲟⲩⲟϩ ⲡⲉϥⲥⲁϫⲓ ϣⲱⲡⲓ ϧⲉⲛ ⲑⲏⲛⲟⲩ

«وليست لكم كلمة كائنة فيكم».

وعند ذكر الخبز الحي النازل من السماء يقول الرب يسوع:

«من يأكل جسدي ويشرب دمي»،

Ϥⲛⲁϣⲱⲡⲓ ⲛϧⲣⲏⲓ ⲛϧⲏⲧ ⲟⲩⲟϩ ⲁⲛⲟⲕ ϩⲱ ϯⲛⲁϣⲱⲡⲓ ⲛϧⲏⲧϥ

«يكون فيَّ وأنا أكون فيه» (يو ٦: ٥٦).

وهكذا لا تضيع علينا الكينونة في الرب، ولكن الترجمة القبطية تقول:

ⲫⲏ ⲉⲑⲛⲁϣⲱⲡⲓ ⲛϧⲏⲧ ⲟⲩⲟϩ ⲁⲛⲟⲕ ϩⲱ ⲛϧⲏⲧϥ

فالكينونة أو الوجود هو أقنوم الابن الذي نحن فيه، ولذلك، البقاء أو الوجود هو ذات الفعل المستخدم على سبيل المثال في (١كور ٧: ٨) عن بقاء "الأرملة" كما هي، وعن بقاء كل إنسان حسب دعوته (١كور ٧: ٢٠)، وعن السادة والعبيد أن يبقى كل حسب دعوته (١كو ٧: ١٣ - ٢٤). والأجمل هو بقاء أو ديمومة الإيمان والرجاء والمحبة حيث استخدم ذات الفعل μενω.

وتبرز حقيقة لا يمكن أن تذوب في خضم معارك الألفاظ، وهي أن الوجود يسبق كل شيء. فلا وجود = لا عمل، وأن الشخص هو وجود، وهو ما جاءت به المسيحية عبر صراع طويل مع الفلسفة اليونانية ومدارس الغنوص، وهو أن الله كيان له أقانيم، والأقنوم هو وجود "مُعَيَّن" والتعيين تخصيص، والتخصيص هو وجود خاص، فالوجود في الآب = أنا في الآب.

"مَن يأكل جسدي ويشرب دمي **يكون فيَّ وأنا أكون فيه**» (يو ٦: ٥٦). وقياساً على أن حياةً واحدة للآب والابن «كما أرسلني الآب **وأنا حيٌّ بالآب**»، هكذا أيضاً: «مَن يأكلني يحيا بي» (يو ٦: ٥٧).

الفعل يسكن οικέω ومن ثم السكن أو المنزل οικία وقد أستُخدم الفعل في (رو ٨: ٩ و ١١) وفي كلتا المرتين عن سكنى الروح القدس فينا: "وأمَّا أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم.. وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي

أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم". ودليل سكنى الروح القدس فينا هو قيامتنا، والذين يحاربون سكنى الروح القدس فينا قد وصلوا إلى حد إنكار القيامة – هذا شأنهم – ولكن يجب أن يبقى التعليم الصحيح. المواهب لا تعطي قيامة للجسد؛ لأن رسول المسيح يقول في صراحةٍ تقطع الطريق على تفاهات الجدل الفارغ: "روح الذي أقام يسوع ساكناً فيكم"؛ لأن الروح هو الذي أقام الابن من الأموات.

"فالذي أقام المسيح من الأموات، هو ذاته – وهذا ليس عمل مواهب أو سكنى مواهب – سيقيم أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم".

وهي عبارات يتعذر على محبي الطنطنة بالكلام الإفلات منها.

ويعود الرسول بولس إلى استخدام ذات الفعل في (١كور ٣: ١٦) عن نفس الروح القدس والعبارة هنا ليست عن مواهب «أنتم هيكل الله (كما كان الله في العهد القديم ساكناً في الهيكل) وروح الله ساكن فيكم».

والسكن أو السكنى هي في ذات البيت، هكذا استخدم الرسول ذات الفعل عن الزيجة: «أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها» (١كور ٧: ١٢ ورد أيضاً في عدد ١٣).

وعن الله يقول الرسول إن الله «له وحده عدم الموت ساكناً في نور لا يدنى منه» (١تيمو ٦: ١٦)، فهذا هو الوجود الإلهي.

ونحن سوف نسكن في ذلك النور لأن الرب قال في بيت أبي εν τή οικία منازل كثيرة (١٤: ٢). المفاجأة التي أبقينا عليها لمحبي الجدال أن وعد الرب لمن يحفظ كلامه أن «يحبه أبي وإليه نأتي ونكون» وقد تُرجم الفعل "يكون" إلى: "وعنده نصنع منزلاً"، لكن الفعل يكون μενω للبقاء أو الكينونة.

ελευσομεα και μονην παρ αντώ

"وعنده نكون"، أو "نسكن". وترجمة "عنده نصنع منزلا" لا بأس بها طالما كانت تفيد الوجود.

ومن السكنى استخدم الرسول صيغة κατοικεί للتجسّد «لأن فيه يسكن أو يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كول ٢: ٩).

فماذا يبقى لهؤلاء من ادعاءات قد أجبنا عليها من كلمات الوحي؟

ويبقى فعل آخر وهو: κατοικέω "يحل" وقد ورد ٤٢ مرة في العهد الجديد.

فالله يسكن أو يحل في الهيكل (مت٢٣:٢١) والسكنى والحلول بمعنى واحد، ولكن من سوء حظ محبي الجدل أن ذات الفعل المستخدم لحلول الله في الهيكل هو ذاته الذي استخدمه الرسول في (أف٣: ١٧) «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» κατοικήσαι τον χριστον حلول المسيح هي صيغة المضاف وهي تؤكد ذات المعنى الوارد في (كو ١: ١٩) ''فإنه فيه سُّر أن يحل الملء''، وذلك لأن ملء اللاهوت يحل جسدياً في الرب (كولو ٢: ٩).

وإذا أضفنا إلى هذه الأفعال ذلك الفعل الهام جداً عن تجسّد الكلمة، وهو فعل σκηνόω وهو المستخدم في كلمات الرسول وهو يشهد عن تجسّد ابن الله: «الكلمة صار جسداً ونصب خيمته فينا» (يو١: ١٤). لأن الفعل خاص بخيمة الاجتماع في العهد القديم، وإلى وقت قريب جداً كان الهيكل يسمى "الأسكنة" في الكنيسة المسيحية، وهي صيغة تعريب للفعل اليوناني كما وردت في كتب الليتورجية.

ό λογος σαρξ εγεντο και εσκήοσεν εν ήμιν

لأننا من الابن الوحيد أخذنا نعمة فوق نعمة؛ لأنه هو أي الابن الوحيد مملوء نعمة، ونحن أخذنا من هذا الملء ولا نزال نأخذ.

- «وأنتم مملوؤن فيه» (كولوسي ٢: ٩ - ١٠)

الفعل اليوناني πληρόω يملأ، وهو يعني فعلاً حسب الاستعمال اليومي ''ملء شيء فارغ''. ولكن المعنى الاستعاري غير المادي استُخدم أولاً في الترجمة السبعينية كترجمة للفعل العبراني ملا (م ل أ) وهو مثل الفعل العربي لأنه من الأفعال العامة في اللغات السامية.

وعندما تُرجم العهد القديم من العبرانية إلى اليونانية ــ الترجمة السبعينية، حفظ النص اليوناني كلمة ''سكن''، وكلمة ''بيت''، كما حفظ المعنى العبراني – العربي كلمة ''الملء''.

فعلى سبيل المثال، حسب الأصل العبراني ''إذا باع إنسان بيت سكن في مدينة.. فيكون فكاكه عند كمال أو تمام سنة بيعه'' (لا ٢٥: ٢٩). فنقل معنى الملء إلى التمام أو الكمال، وهو هنا نهاية الزمان. والتمام، أي تحقيق كلمة الرب (٢ أخبار ٢٤: ١٠). ونرى الامتلاء الذي نُقِل من معناه المادي إلى معناه المعنوي في (إرميا ١٣: ١٣) حيث يمتلأ زق الخمر لكي يملأ الرب كل سكان أورشليم "بالسُّكر"، أي فقدان الحكمة.

فالمعنى ليس فقط الملء المادي، بل الروحي والنفسي، كقول المزمور «أملأ وجوههم خزياً فيطلبون اسمك» (مز ٨٣: ١٧).

في العهد الجديد – حسب الأصل اليوناني – دخل الفعل مجال استعلان الخلاص وعمل المسيح؛ لذلك يصلي بولس (فيلبي ١: ٩) ويطلب من الله لكنيسة فيلبي: «مملؤين من ثمر البر الذي في يسوع المسيح لمجد الله وحمده». والامتلاء هنا هو تحول كياني يكمِّل ويجعل الحياة تامة غير ناقصة، وهكذا يمكن أن نفهم التعليم الرسولي الذي يبدأ من (كولوسي٢:٦ وما بعده):

- «كما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه
- متأصلين ومبنيين فيه
- وموطدين في الإيمان كما عُلِّمتم...».

ثم يأتي التحذير:

- «انظروا أن لا يكون أحد يأسركم (يقودكم إلى سبي عقلي) بالفلسفة.
- وبغرور باطل (خيالات وشطحات بلا أساس).
- حسب تقليد الناس (حسب ما هو حادث الآن).
- حسب أركان العالم (حسب المبادئ والقيم والنظريات التي تسود المجتمع)، لا حسب المسيح».

فما الذي يقصده الرسول بـــ حسب المسيح؟

- فإنه في المسيح يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً، فهو الإله الكامل التام، وهذا هو معنى الملء.

وتجسُّد الكلمة الإله الكامل الذي حلَّ فيه كل ملء اللاهوت، هو مقدمة لحلول اللاهوت فينا، فهو لم يحل في التجسّد الإلهي لكي يبقى حلولاً قاصراً على الرب يسوع وحده، ولكن لكل حلولٍ هدف. لقد حلَّ الروح القدس على القديسة مريم فحبلت وولدت الله الكلمة الذي تجسّد منها، وحلَّ الروح القدس على الابن المتجسِّد بعد صعوده من مياه الأردن ومسحه رغم أنه لا يحتاج إلى المسحة؛ بل - كما قال أثناسيوس - «مُسِحَ من أجلنا لكي نُمسَح نحن ونتقدس بذات المسحة فيه» (ضد الأريوسيين ١: ٤٧)، وعندما يحل اللاهوت علينا نُعطى في المسيح "التبني، وشركة الحياة الأبدية، والقيامة من الأموات"؛ لأن لكل حلولٍ غاية أو هدف حسب التدبير، وكمال إلوهية المسيح هي التي تجعلنا نحن «مملوؤن فيه»، أي كمال وتمام الحياة في الله.

هكذا شرح هذا النص ذهبي الفم الذي يقول: «إن هذا الملء هو امتلاء الكنيسة من الإلوهة *Godhead* لأن الرسول يقول: «هو الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١: ٢٣)»[٢٤].

وفي التفسير اللاتيني القديم المنسوب للقديس أمبروسيوس أسقف ميلان المعروف باسم *Ambrosiastor* يقول المفسر: «يقول بولس إنه لا يمكن أن يعطي للمؤمنين أكثر مما أُعطي، وهو غير مُعطى من أركان العالم؛ لأن كل مَن هو في المسيح هو مملوء من فيض إلوهيته؛ لأن أركان العالم تفتقر إلى هذا الملء»[٢٥].

سكنى وحلول للحياة

عندما يسكن فينا الرب أو يحل فينا، فهذا لا يدمر ولا يلغي الإنسان، فيصبح إلهاً حسب تصور التعليم المعاصر - إلهاً قادراً على كل شيء - بلا خطية قدوس!!!

٢٤- عظة على كولوسي - راجع المجلد الإنجليزي ص ١١٣

٢٥- شرح غلاطية إلى فليمون Ancient Christian Texts, 2009,p88

لقد حل ملء اللاهوت في الناسوت الذي أُخِذَ من القديسة مريم، وعلى الرغم من أنه كُوِّنَ بالروح القدس وبدون زواج، إلاَّ أنه كان وسيظل حتى بعد صعوده إلى السماء، **الإنسان**؛ لأنه هكذا عاينه الشهيد الأول إسطفانوس وهو «ممتلئ من الروح القدس. فرأى مجد الله **ويسوع** واقفاً عن يمين الله (الوقوف هو لتكريم الشهيد) فقال ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان واقفاً عن يمين الله» (أع ٣: ٥٥ - ٥٦). ورغم هذا فقد رُجِمَ ومات شهيداً. لم يمنع عنه الامتلاء من الروح القدس، حجارة اليهود، ولكن أعطاه الروح - رغم ما أصاب جسده من كسور وجروح - أن ينطق بأول اعتراف علني بربوبية الرب يسوع: «أيها الرب يسوع اقبل روحي» (أع ٧: ٥٩)، ولهذا كان المسيح الرب واقفاً وليس جالساً؛ لأن الوقوف هو تكريم للشهيد.

تحول الإنسان إلى إله بمجرد سكنى أو حلول اللاهوت!!!

هذا إسقاطٌ عقلي ونفسي *Projection* نابع من الثقافة السائدة، ولا يمُت للمسيحية بِصلة. هذا التحول ليس للحياة الجديدة، بل هو ابتلاعٌ للآخر وتدميره.

منذ قرابة ٢٥ سنة نشر نزار قباني قصيدة مُنعت من النشر في حياته، ولكنها نُشرت بعد موته على شبكة المعلومات عن المرأة (لا داعي للاقتباس منها بالمرة فهي جارحة جداً وتعبر عن سلوك إنساني منحط) يصور فيها نزار قباني المرأة كوليمة للرجل في السرير، ولا يعرف الرجل من هذه المرأة إلاَّ بعض أجزاء من جسدها. أمَّا العقل والشخص والحرية، فقد انعدمت تماماً. هذا السلوك "الاستيلائي" لتدمير الآخر هو سلوك "جنسي" منحط، وليس هو المحبة. هو تدمير وإلغاء للآخر، لأن الآخر هو مجرد شيء، هو سيطرة وغلبة وقهر، القوي هو الذي يُحب، والقوي هو الذي يمارس والمحبوب آلةُ إشباع بلا إرادة يعبِّر عنها المثل الشعبي الذي تقوله المرأة بدهاء لرجل يريدها وليمةً - حسب تعبير نزار قباني - "أنا اللحم وأنت السكين"، وعلى السكين أن تصول وتجول في اللحم كما تشاء.

هكذا جردت الحياة السياسية الإنسانَ من حرية الاختيار، أي حرية الإرادة، ثم

سبقت الحياة السياسية الحياة الدينية التي تضع الطاعة قبل المحبة، وتضع الشريعة قبل العقيدة، وتضع قبل هذا وذاك ''تبعية'' ليس التلميذ للمعلم، بل العبد للسيد. مثل هذا ما يتصوره البعض في بعض عبارات الآباء النساك وقادة التصوف، عندما تذوب حرية الإرادة في عتمة الخضوع الأعمى، فيترعون قصة شجرة الطاعة لرجل عظيم، وهو يوحنا القصير، من سياق ونسيج الحياة النسكية، وبذلك تتحول الطاعة إلى تلك الطاعة العمياء التي لا تعرفها المسيحية. ولكن النسيج الذي قدَّم شجرة الطاعة الحقيقي هو محبةُ تلميذٍ، وتجردٌ عن الذات بحرية تامة من أجل اختبار حياة الصلاة الدائمة، وترك حرية الاختيار بإرادة حرة من أجل محبة الثالوث. ويا ليت الذين يسردون قصة شجرة الطاعة حسب نسق العصر الوسيط أن يذكروا عبارة يوحنا القصير: "عِش الصليب"، فهو، أي الصليب حياةٌ تعاشُ عن موتٍ تام عن كل ما في هذه الدنيا، وهي درجة حرية أكبر من أي درجات الحرية التي نعرفها في حياتنا السياسية والإجتماعية.

تحول الكيان الإنساني وحلول الله في قلوب المؤمنين

لم أسمع عن هذا التحول، و لم أقرأ إلاَّ اعتراضات تقع كلها في إطار ما ذكره نزار قباني عن الاستيلاء والسيطرة والقهر، تكشف عن رواسب حياة جنسية ساقطة في بئر القهر والامتلاك، لا تعرف نهر العطاء، بل بئر القمع، وتحول الآخر إلى وليمة – ليس فقط في "السرير" حسب كلمات نزار قباني – بل في كل مجالات الحياة، فالسكين هنا هي الله، والإنسان هو اللحم، ومتى حل الله في الإنسان يتحول بفعل السكين إلى ما تشاء السكين، وهو هنا قدرة على كل شيء وحضورٌ في كل مكان، ثم تأتي ''الخطية'' بإعتبارها المفسر الأعظم في عصرنا الذي وضعه الأنبا شنودة الثالث بنفسه على منبر التفسير، والتي صارت لها القدرة على شرح كل عقائد المسيحية، ابتداءً من خطية غير محدودة إلى فداء غير محدود وإلى الخلاص من الغضب الإلهي، فلا مجال للتبني ولا مكان للحياة الإلهية ...

والرجل هنا هو الله، وهو لذلك – أي الرجل – يمزج بين السلوك الاجتماعي، والديني والسياسي، وما تقدمه الشريعة من أسبابٍ للسيطرة، بل والاستعباد ويحوِّل

هذا الحلول إلى حلول يترع عن الإنسان آدميته ويحوِّله إلى إله تام كامل؛ لأن هكذا تُصوِّر ''النرجسية'' القابعة في وجدان المريض بها، أن الآخر لا وجود له، فلا وجود للذات إلاَّ ذلك الوجود ''النرجسي'' الذي لا يرى الآخر، بل الآخر هو انعكاسٌ تام وكامل لوجهٍ ''نرجس''، ذلك الفتى المريض الذي رأى صورته وعشق هذه الصورة حتى مات من الجوع حسب الأسطورة التي تعبِّر عن حقيقة كيانية أكدها طب علم النفس المعاصر. فالإستيلاء هو تحوّل آلي ميكانيكي، وهو نرجسية دينية.

عندما نقول إن التجسّد هو اتحاد طبيعتين، وأن المسيح واحد من اثنين، بل وحتى عبارة مجمع خلقيدونية ٤٥١م "المسيح واحد في اثنين"، هي عبارة صحيحة؛ لأن حرف الجر "في" يؤكد وجود الطبيعة الإنسانية المتحدة بلاهوت الله الكلمة، ولذلك لم تكن الألفاظ هي المشكلة، بل المشكلة هي الحياة العقلية والنفسية التي تشرح الألفاظ. وهكذا يؤكد التجسّد أن الله هو الله؛ لأن حتى كلمة "تجسّد" هي في اليونانية أصلاً تعني ''التأنُّس''، ولذلك أضاف القداس الإلهي "تجسّد وتأنس" لكي لا يفهم الناس أن المتجسِّد هو مجرّد جسد، وأن الله تحوّل إلى جسد. وعندما نقول: "صَعِدَ"، فالصعود تأكيد على وجود الناسوت.
وعندما تقام الوليمة السماوية، أي عشاء الرب[٢٦] فالعشاء هو «جسد ودم عمانوئيل».

لا تقبل ''النرجسية'' في صورتها العقائدية، وهي ''الأوطاخية'' وجود الناسوت؛ لأن الآخر يُزعج ''النرجسي''، ويهدم كل أحلام ''الأوطاخي'' التي تريد ملاشاة الجسد، مع أن الجسد هو علامة منظورة ووجود حقيقي للآخر ومحبته، أي محبة الآخر جسدياً هي تجاوز النرجسية.

كما لا تقبل الأريوسية المساواة مع التمايُز، فلابد من وجود (غضنفر)[٢٧] تعلو كلمته على كل أحد، حتى على ''ست الدار''، ولا وجود لآخر مساوي متمايز؛

٢٦- لا يصح أن نقول ''العشاء الأخير''، فليس في الأرثوذكسية عشاءٌ أخير؛ لأن عشاء العلية هو ذات عشاء الكنيسة، فليس هو الأخير، بل الأخير هو ذلك الذي يسبق مجيء الرب للدينونة.

٢٧- ''سي السيد'' في ثلاثية نجيب محفوظ!!

لأن المساواة ضد الاستبداد، في حين أن التمايز هو دعوة صريحة لممارسة حرية الاختيار. كما أن التمايز هو المجال الحقيقي الذي تُستعلن فيه المحبة الحقيقية.

وهكذا نطرح الخطاب اللاهوتي الخاص بالمسيح في بحر مملوء بأسماك القرش المفترسة... تلك التي لا تقبل وجود الآخر إلاَّ إذا تحوَّل وصار مثل القوي؛ لأن القوي لا يمكن أن يكون له وجود سعيد هانئ يفرح فيه بوجود آخر مختلف عنه، بل لابد من ملاشاة كل تمايز، والقضاء التام على المخلوق؛ لأن الحل الحقيقي – حتى في الأنظمة الاستبدادية – هو في عبارة القاتل الكبير ستالين ''توجد مشكلة... يعني هذا وجود بشر''، وبالتالي يكون حل المشكلة هو القضاء على البشر.

سيف الخطية هو سيف الإلغاء

وعندما نقول إن حلول الله في البشر لا يلغي الإنسان، ولا يضر الوجود الإنساني؛ يُشهر المرضى بالخطية سيفهم ليقولوا لنا:

– الله لا يسكن ولا يحل ولا يمكن أن نشترك فيه؛ لأننا خطاة.

– «الغصن الذي لا يأتي بثمر يقطعه»، هذا دليلٌ على أن اتحاد اللاهوت بالناسوت في ربنا يسوع هو اتحاد خاص لا علاقة له بالبشر.

وعندما نقول: «المسيح هو رأس الكنيسة». يقولون لا، هذا من جهة الناسوت فقط. وتعجبت جداً؛ لأن الكنيسة لا تخاطب المسيح على الإطلاق ولا تناديه بقولها: «يا إنسان يسوع أو يا ابن البشر»، بل: «الرب، والمخلص، وإلهنا، وملكنا كلنا». هذه تقوى كنيسة الإسكندرية العظيمة حقاً، وهي ليست كنيسة ''رعاع'' لا يعرفون التاريخ ولا الآباء ولا الكتاب المقدس ولا يملكون إلاَّ الشتائم، وعلو الصوت وحملات التشهير وإطلاق الأكاذيب والخوف.

لو كان المسيح هو ''رأس الكنيسة'' حسب الناسوت فقط، فكيف يجمع الناسوت كل المؤمنين الأحياء والراقدين؟

ولو كان المسيح هو ''رأس الكنيسة'' حسب الناسوت فقط، فكيف يهب الحياة الأبدية – وهو الموضوع الغائب، بل والمطرود تحت معاول الهدم المنظم للعقيدة

المسيحية – لأن الحياة الأبدية هي حياة الله نفسه، أمَّا الإنسان فليس أبدياً.

تناقض يحتوي على تجديف مُقنَّع

– يقولون: إن السقوط هو ردُ فعل الله على خطية الإنسان. وبالتالي، هذا يعني أن أصل النعمة ليس هو محبة الله وصلاحه، بل الذي أنشأ خطة الخلاص أو التدبير هو سقوط الإنسان، فإذا كان سبب النعمة هو الخطية وسقوط الإنسان، ألا يجرِّد هذا الرب والمخلص من ذات الخصوصية التي حددها الاسم المبارك «يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم»؟

– وعندما تشرح الخطية سبب وجود النعمة، بل ويدَّعي بعض الوعاظ الأرثوذكس، وهم ، بكل أسف، ممن نالوا نعمة الكهنوت، أن الخطية تمنع سكنى الله في قلوب الخطاة، وكأن الرب جاء من أجل الأبرار لا من أجل الخطاة، وهو تعليم مضاد حتى لمعنى كلمة إنجيل أي "الخبر السار".

– التسليم الآبائي المودع في الليتورجية، هو رد الشعب على كل طلبة: «يا رب ارحم»، فالمسيح ليس رأس الكنيسة لأنه تجسّد فقط، بل لأنه اللوغوس خالق كل الأشياء، ولذلك لم يكتف العهد الجديد باستعلان الخلق كما ورد في سفر التكوين، فجاء استعلان "اللوغوس الخالق" في (يوحنا١: ١ – ٤)، ثم الابن البكر في (كولوسي١: ١٥ – ١٦). وفي (العبرانيين١: ٣). ولذلك المتجسِّد هو «فوق كل رئاسة وسلطان يسمى ليس في هذا الدهر الحاضر فقط بل في الدهر الآتي أيضاً»، وهو ما نقلته صلاة الصلح في القداس الكيرلسي عن الرسول بولس في (رو١٤: ١١) هو الذي تجثو له كل ركبة الآن من الذين في السماء والذين على الأرض والذين تحت الأرض (من الراقدين) (فيلبي٢: ٦ – ٨) ويعترف كل إنسان أنه «ربٌ لمجد الله الآب». فهل نحن نسجد لابن الإنسان دون إلوهيته، أم نسجد للرب الواحد الإله المتجسِّد؟

نحن لا نسجد للناسوت دون اللاهوت، بل نسجد «للرب الواحد يسوع المسيح»، ولا نتناول الجسد والدم بدون اللاهوت، بل «جسد ودم عمانوئيل إلهنا. هذا هو بالحقيقة آمين».

يسوع هو العهد الأبدي

إذا كان المسيح قد جاء «رئيس كهنة الخيرات الآتية» (عب ٩: ١١)، فكيف أسس الرب عهداً أبدياً هو الضامن له (عب ٧: ٢٢)؟ العهد الأبدي بدم الراعي الذي قام من الأموات (عب ١٣: ٢٠) له قوة حياة لا تزول؛ لأنه «الابن» (عب ٧: ١٦) وليس مجرد إنسان فقط.

إن رد الخلاص الثمين والأبدي إلى إنسانية المسيح وحدها وإلغاء اللاهوت هو موسيقى الشيطان ورقصه، فقد استطاع أخيراً، كما يقول أثناسيوس العظيم[٢٨]، أن «يدخل الكنيسة فردوس الله» تحت ستار كلمات الكتاب المقدس.

وهذا هو لحن الشيطان نفسه:

- عندكم مخلص: هو إنسان فقط، وبذلك تنتهي شركتنا في الثالوث.
- وليمة العشاء السري: هي ناسوت فقط، وبذلك تسقط الحياة الأبدية.
- المسيح رأس الكنيسة: رأس إنسانية فقط، وبذلك ينمو سلطان الإكليروس.
- حلول الروح القدس: ليس الأقنوم، بل المواهب، وبذلك لا يسكن الله نفسه فينا.
- حلول الابن المتجسِّد فينا بالروح القدس: هو لمجرد الثبات، وبذلك لا يوجد أي نوع من الاتحاد.

لحن الشيطان هذا يجد صداه في قلوب "النرجسيين" و"الأوطاخيين" و"الأريوسيين" ويفرح به تلاميذ "نسطور".

أمَّا اللحن الأبدي الذي يرتفع ويملأ السماء والأرض معاً، فهو لحن يسوع المسيح المخلص:

- المخلص هو الرب: وحَّد الله مع الإنسانية.
- العشاء السري: مائدة حياة أبدية وغفران وتجديد النفس والجسد.
- المسيح رأس الكنيسة: يجمع الكل في كيانه الإلهي المتجسِّد.

٢٨- الرد على الأريوسيين ١: ١.

- الروح القدس هو الذي يوزِّع المواهب حسبما يشاء، فهو كائنٌ في الكل، وهو مصدر كل الخيرات «كتر الخيرات»، فكيف يكون لنا «كتر الخيرات وواهب الحياة» حسب صلاة الليتورجية، ولا يكون لنا صلة أو علاقة لا بالكتر نفسه ولا بالحياة ذاهّا؟

"لا" اللاغية

الفرق بين النفي والإلغاء هو أن النفي يحتفظ بعلاقة مع الموضوع الذي نريد أن ننفيه مثل غير المحدود، وهو نفي أن يكون الله محدوداً، أي مخلوقاً ومثله أيضاً غير المنظور. وأداة النفي "غير" هي مثل الأداة "لا"، تنفيان ولكنهما تُبقيان على العلاقة العقلية في العقل وفي الوجدان.

أمَّا "لا" التي تلغي، فهي "لا، النرجسية" التي لا تعترف بأي وجود للآخر ولا تقبل إلاَّ دمار الآخر وإلغائه. وكثيراً ما نسمع مثل هذه الـــ "لا" في خطابات الإقصاء السياسي أو المجتمعي أو حتى الديني.

التجسّد و"لا "اللاغية

عندما أجمعت الكنيسة الجامعة شرقاً وغرباً على أن «الكلمة صار جسداً» (يوحنا ١ : ١٣)، فقد أقرت بأن الآخر هو الإنسان الذي لا وجود حقيقياً له إلاَّ في اتحادٍ يحفظ الآخر ولا يلغيه بالمرة. هكذا يجب أن نفهم "تجسّد الابن الوحيد".

ففي تجسّد الرب لا مكان بالمرة لـــ "لا" اللاغية، أما استخدام عبارة «بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير»، فهو تعبير عن اتحاد "سري *Mystical*" يفوق الإدراك ننفي فيه الاختلاط والامتزاج والتغيير، ولكنه نفي يؤكد وجود الاتحاد الأقنومي ولا يلغيه لأن هذا النفي يسبقه «وجعله واحداً مع لاهوته».

لكن منهج الإلغاء الوافد من ثقافة دينية غير مسيحية لا يكتفي بالنفي لأن النفي يحمل تأكيداً يسبق النفي، والمثال الواضح هو أن الله ثالوث في واحد وواحد في ثالوث، وأن الواحد هو مثلث والمثلث هو واحد، وأننا لا نقبل وحدانية بلا ثالوث؛ لأن هذا "توحيدٌ ناقص" أمَّا الثالوث فهو "توحيدٌ جامع"، فلا

إله حقيقياً بدون ثالوث ولا ثالوث بدون وحدانية الجوهر. **النفي** دائماً يحمل مقولتين، بينما يحمل **الإلغاء** مقولةً واحدة. النفي ينفي ما سبق تأكيده، والإلغاء يدمر تماماً ما يريد أن يلغيه، فهو لا يقيم علاقة مع ما يلغيه، بل يلغي كل علاقة.

هكذا سار منهج الإلغاء عبر ما يزيد عن ٢٥ سنة مضت، شهدنا فيها مهازل ومهاترات لا تجوز إلاَّ في حياة جماعة بلا تاريخ وبلا تراث. فقد تم إلغاء التراث والتسليم الكنسي الذي دوَّنه التاريخ الكنسي، رغم أن هذا التراث الرسولي الآبائي لازلنا نسمعه في صلوات تقال كل يوم وكل أسبوع في صلوات السواعي وفي القداسات والتسبحة السنوية، ولكنه غير موجود على أرض الواقع.

ولا اللاغية تدمر ما هو كائن، وهو الآخر تحديداً. ولا اللاغية تقول: ليس روح الله ولكن المواهب، أي أنها تلغي العلاقة بينهما، في حين أن كلا التعبيرين: "روح الله"، أو "الروح القدس" و"المواهب" يتواجدان معاً في الأسفار، وفي صلوات الكنيسة. لكن إلغاء الروح القدس لكي يحل محله المواهب، إنما هو إلغاء للأقنوم، وهو هنا – باللغة المعاصرة – هو الشخص، هو الآخر. وتحوُّل الآخر إلى مواهب هي في جملتها عمل إلهي في الإنسان – وحسب الأرثوذكسية – لا يمكن فصلها عن الأقنوم، ولكن حسب منهج الإلغاء والتدمير تصبح هي بديلاً عن الشخص.

تأمل قول أحدهم: لو حل فينا اللاهوت لأصبحنا آلهةً مثل الله!!! حلول يتحول إلى إلغاءٍ يدمر الآخر، وهو الإنسان. مع أن الآخر كائنٌ دائماً في الثالوث، فالآب غير الابن، والابن غير الآب، والروح القدس غير الآب وغير الابن. الآخر أزلي، وجوده أزلي ولكنه الوجود الجامع... وجود الشركة، وجود الثالوث في كينونة أزلية... فالآخر هو آخر دائماً... والآخر هو الآخر دائماً في التجسّد، ولكنه ليس الآخر الذي دُمِّرَ أو أُمحِيَ وجوده، بل الآخر الذي تأقنم بالاتحاد ***en-hypostasis***.

هذا الإلغاء يدِّمر عقيدة خلق الإنسان على صورة الله ومثاله (تك ١: ٢٦)، ومحاولة الدفاع عن الله باسم التوحيد «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي» (تك ٢٠: ١ – ٢) هي إيحاء خفي كامن في الوعي جاء من الإلغاء باسم توحيد ناقص؛ لأن الله لم يقل لا يكن لك آلهة أخرى وصمت، بل قال: "أمامي"، أي في الإيمان

والصلاة والممارسة ''لأني أنا الرب''، فالذي قال هذا هو صاحب الوحي «الله قائم في مجمع الآلهة» (مزمور ٨٢: ١)، ولذلك عندما نحذف ''لا يكن لك آلهة أخرى أمامي''، ونسقِط كلمة ''أمامي''، ننفي أن ''أمامي'' هي عن الوثنية وعبادة الأوثان، وليس عن شركة الإنسان في حياة الله، ومن هنا يتضح أن إلغاء الشركة هو هدف الاستبداد؛ لأنه لا يعني إلاَّ إلغاء مكانة الآخر في الله.

ختام الأمر كله: الحياة التي أُظهرت (١يوحنا ١: ٣)

الحياة التي أُظهرت هي «الحياة الأبدية التي كانت عند الآب»، ولكنها لم تبقَ هناك، بل «أُظهرت لنا» (١يوحنا١:١-٢)، ولكن لماذا أُظهرت هذه الحياة؟

- «الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١يوحنا١:٣).
- حياة أُظهرت للشركة.
- حياة أبدية كانت عند الآب.

ولذلك جاء يسوع ابن الآب ليقول: «هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يوحنا ١٧: ١).

في اللغة العربية مثل اللاتينية، ليس لدينا إلاَّ كلمة واحدة تُترجم ''حياة''، هي كلمة ''vita''. أمَّا في اليونانية، فلدينا كلمتين: ''βίος – Zōē'' وكلاهما ترجم ''حياة life''.

كلمة ''βίος'' خاصة بحياة هذا الدهر، أي خاصة بالحياة الإنسانية، وهي الكلمة التي جاءت منها كلمة بيولوجي (١ بط ٤: ٣)، وهو نفس الاستعمال في (مرقس ١٢: ٤٤ - لوقا ٨: ٣٤ - ١٥: ١٢).

ولكن العهد الجديد حفظ للكلمة ''Zōē'' مكانها الخاص، حيث تختص بالحياة الأبدية التي تبدأ هنا وتمتد في الدهر الآتي. ولاحظ استعمال العهد الجديد:

- إكليل (الخاص بالمُلك) الحياة (رؤ٢:١٠).

– سفر أو كتاب الحياة (رؤ٣:٥).

– ماء الحياة (رؤ٢١:٦).

ولاحظ أن هذه كلها خاصة بحياة الدهر الآتي.

وعندما يقول رسول الرب بطرس: «كما أن قدرته الإلهية (وليست المواهب) قد وهَبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة» (٢بط١:٣)، نجد أن خلف كلمات: حياة – تقوى – معرفة – مجد — فضيلة، أعمال وقوة الثالوث العاملة فينا.

لقد دعينا دعوة إلهية مقدسة «لا حسب أعمالنا، بل "حسب" القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية» (أي قبل خلق كل أزمنة العالم كلها – أو قبل خلق العالم حسب (مت ١: ٣)، «وإنما أُظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت **وأنار الحياة** والخلود بواسطة البشارة المفرحة (الإنجيل)» (٢تي١: ٩، ١٠).

لقد أنار المسيح الحياة بالخلود، فما هي هذه الحياة؟

يقول رسول المسيح بولس إن الأمم «مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله بسبب الجهل الذي فيهم» (أف ٤: ١٨). فهذه الحياة هي **حياة الله**، هي نفس الحياة التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا، ولنا فيها شركة. هي الحياة الأبدية (متى ١٩: ١٦)، هي تلك التي يطلبها الذين يؤمنون «أمَّا الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية» (رو ٢: ٧)، هي "حياة لا تزول" (عب ٧: ١٦)، وهي حياة توهب من الله لأنها حياة الله «أوصي الأغنياء... أن يصنعوا صلاحاً وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة... مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة الأبدية» (١ تي ٦: ١٧ – ١٩).

حياة الله (أف ٤ : ٨)

حسب الأصل اليوناني "Zōē – ζωή" وردت ١٣٤ مرة في العهد الجديد، ففي تعليم الرب هناك بابٌ للحياة، ضيق يدخله الذين يرغبون فيه (مت٧:١٤)، وهو

ما يؤكده الرب مرة ثانية في (مت١١:٨)، وعندما يحذِّر من العثرات، يقول: ''إنه من الخير أن «تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية»، فهذه الحياة إذن هي مصير الأبرار (مت٢٥:٤٦).

هذه الحياة هي في الكلمة اللوغوس *Logos* الذي «فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس» (يوحنا١: ٤). ولاحظ أن الظلمة هي الكراهية والشر والبغضة، وهو موضوع يشغل الرسالة الأولى للقديس يوحنا «الله نور = حياة، وليس فيه ظلمة البتة» (١يوحنا ١: ٥)، والنور = المحبة، والبغضة = الموت = الظلمة[٢٩].

ويأتي تعليم الرب عن محبة الآب أن كل من يؤمن بالابن «تكون له حياة أبدية» (يوحنا٣:١٤). لأن هذه الحياة الأبدية مصدرها الوحيد هو محبة الله الآب؛ لأنه، أي الآب «هكذا أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا٣:١٦-راجع٣:٣٦).

يسوع يعطي الحياة الأبدية

في حديث جدير بالاهتمام لأنه يؤسِّس لأحد قواعد الحوار، وهو حوار الرب يسوع مع السامرية، يصل الرب إلى غاية زيارته لقرية ''سوخار'' في السامرة، ويقول للسامرية: «الماء الذي أنا أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» (٤: ١٤).

وقبول بشارة الحياة يعبِّر عنها الرب قائلاً: «الحق. الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يوحنا٥:٢٤). هذه الكلمات هي ما نقله رسول المسيح قائلاً: «إذن (حسبما ذكره الرسول في كل أصحاح ٧من رسالته إلى رومية) لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع..» (رو٨:١). وبعد استعلان الحياة الأبدية يُظهر المسيح أن من يأتي إليه يكون له حياة: «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية. وهي تشهد لي. ولا تريدون أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة» (يوحنا٥:٤٠).

٢٩- راجع على سبيل المثال: ''إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب'' (١ يو ١: ٦)، وأيضاً: ''من يبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة ومن يحب أخاه يثبت في النور'' (١ يو ١: ٩ - ١٠).

يسوع يعطي الحياة الأبدية لأنه هو خبز الحياة الأبدية (يوحنا ٦: ٢٧ – ٥١)

بعد معجزة إشباع الآلاف يطلب الجمهور الجائع إلى الخبز، يسوع، ولكن يسوع وجّه نظرهم إلى هدف آخر: «اعملوا للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه» (يو٦:٢٧)، والطعام الباقي لا يمكن أن يكون إلاَّ الطعام الدائم، طعام الحياة، ولذلك وضع الآب عليه الختم الإلهي، ختم الآب الذي يؤكد أنه من عند الآب[٣٠] والعلامة أو الختم الذي يميِّز هذا الخبز هو ختم الآب.

عندما نقل الجمهور الحوار إلى المن والسلوى، وكانت المناسبة هي عيد الفصح (يوحنا٦:٤) وحسب التقليد كانت هي الاحتفال بالمن، وبعد المعجزة، وفي تحدٍ ظاهر يقولون للمسيح: «ما هي الآية أو الأعجوبة التي تصنع لنرى ونؤمن بك. ماذا تفعل. آباؤنا أكلوا المن... خبزاً من السماء» (يو٦:٣٠).

وينقل يسوع الموضوع من المن الذي أعطاه الآب لا موسى إلى «الخبز الحقيقي من السماء» (يو ٦: ٣٢)، إنه ليس مثل المن، بل هو «خبز الله النازل من السماء الواهب الحياة للعالم» (يو٦: ٣٣). وفي إجابته على سؤال: «يا سيد **أعطنا كل حين** هذا الخبز» (يو٦: ٣٤)، يقول يسوع: «أنا هو خبز الحياة» (يو٦: ٣٥)، ويؤكد الرب على أن "كل حين" تستدعي أن "يُقبل إليه" مَن يطلب، وهو لذلك "لا يجوع" ثم يؤكد الرب ضرورة الإيمان «ومن يؤمن بي فلا يعطش» (يو٦: ٣٥).

وهنا حدث انقسام بين المفسرين: هل كان يسوع يتكلم عن الإيمان به؟ وكأن (يو ٦: ٣٥) يحذف ما قيل قبله، أي «أنا هو خبز الحياة». هكذا حلَّ الإيمان محل يسوع عند حركة النهضة الإنجيلية في القرن الثامن عشر حين جعلت الإيمان هو خبز الحياة، فحل الإيمان محل يسوع، وأخذ مكانه الإلهي وهدم سر الشكر. ولكن كلمات الرب «أنا هو خبز الحياة» تضع أمام الجمهور:

١– أن الآب هو الذي يعطي الإنسان أن يأتي إلى يسوع (٦: ٣٧).

٣٠– لدينا دليل من علم الآثار المسيحي أن بعض الخبازين كانوا يضعون ختماً وعلامة تميز الخبز، راجع دراسة:
George Galavasis, Bread and The Liturgy, 1970.

٢- مَن يعطيه الآب للابن ينال القيامة في اليوم الأخير (٦: ٣٩).
٣- كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية (٦: ٤٠).
٤- وله قيامة من الأموات في اليوم الأخير، يوم الدينونة، آخر أيام هذا الزمان (٦: ٤٠).

فهل انتهى حوار الرب واستعلان العطية: «أنا هو: الخبز - الحياة الأبدية - القيامة في اليوم الأخير»؟

أبداً، فقد جاء الاعتراض اليهودي: «كان اليهود يتذمرون عليه لأنه قال أنا هو الخبز النازل من السماء» (٦: ٤١). وعندما سجل القديس يوحنا هذا الاعتراض، كان يريد أن يُعلِّم الكنيسة ليس فقط مَن هو يسوع، بل أيضاً أن يسوع هو عطية الآب للإنسانية.

فقد قال يسوع: أنا هو الخبز النازل من السماء = عند اليهود أنا المن. ولُب الاعتراض هو ذات اعتراض الأريوسيين بعد ذلك بما يقرب بـــ ٣٠٠ سنة. «قالوا أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه. فكيف يقول هذا (يسوع) إني نزلت من السماء» (٦: ٤٢).

ولم يكن هذا الاعتراض باطنياً، بل كان اعتراضاً سمعه يسوع نفسه، ولذلك يقول الإنجيلي: «فأجاب يسوع وقال لهم لا تتذمروا فيما بينكم» (٦: ٤٣). فقد عاد يسوع نفسه، وكرر ما سبق وأعلنه من قبل:

١- «لا يقدر أحد أن يُقبل إليَّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني» (يو٦:٤٣). ولكنه أضاف «وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (يو٦: ٤٤). فلماذا أضاف القيامة؟ والجواب هو أنه سبق وأن أكَّد القيامة (يو٦:٣٦)؛ لأن قبول المسيح = الحياة الأبدية، وهي بلا معنى بالمرة بدون القيامة.
٢- ويضع يسوع الأساس النبوي الكتابي: مكتوب في الأنبياء - والإشارة المباشرة هي (إرميا ٣١: ٣١ وما بعده) - لكن تأتي الإضافة الأكبر، وهي أن من سمع شهادة الآب في الأسفار سوف يؤمن بالابن. والإيمان ضروري، ولكن الإيمان ليس هو مصدر الحياة الأبدية، لا يجب أن

نسقط في هذا الخطأ القاتل. يسوع يُعلن الآب لأنه رأى الآب ولذلك هو «من الله» (يو ٦: ٤٦) إذ لا يقدر الإنسان أن «يرى الله ويعيش» ولكن الذي من الله رأى الآب، وهو لذلك يخبرنا عن الآب (يو١: ٨) «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر»، أي أعلن وأظهر.

٣- «الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فله حياة أبدية». ليس الإيمان هو مصدر الحياة، ولكن الإيمان هو وسيلة نوال الحياة الأبدية كعطية محبة الله الآب. ويعود يسوع ليقول مرة ثانية: «أنا هو خبز الحياة» (٦: ٤٨).

الخبز والمن – الجديد والقديم

الذين أكلوا المن في البرية ماتوا، والإشارة إلى آباء الجمهور الذين ماتوا في البرية، وهي إشارة ذات دلالة: أنتم تعرفون تاريخ آبائكم، لقد أكلوا المن وماتوا. أنتم تطلبون المن من جديد لكي تموتوا (٦: ٤٩).

لكن «هذا هو الخبز النازل من السماء»، واسم الإشارة هنا "هذا هو" وردت في العشاء السري أيضاً: «هذا هو جسدي»، ويسوع هنا يشير إلى شخصه، وربما كانت الأصابع تشير إليه، ويقول، وهذا هو الجديد هنا: «لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت»، ويقول مرةً ثالثة: «أنا هو الخبز الحي. أنا هو خبز هذه الحياة التي لا تموت الذي نزل من السماء» (٦: ٥١).

لكن الإشارة إلى شخص يسوع بواسطة يسوع كانت تحتاج إلى إيضاح؛ لأن يسوع ليس فكرة ولا هو شريعة، وإنما هو شخص، ويؤكد هو نفسه:

«الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (٦: ٥١).

– "أنا أبذله". أنا لست فقط أُقدِّمه، بل يذبح.

والسبب: «من أجل **حياة** العالم»؛ لكي نحيا به.

وهنا جاء الاعتراض اليهودي الثاني: «كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل» (٦: ٥٢).

وكأنه كان من المفروض – طبقاً لهذا الاعتراض – أن يقول معلم الحق يسوع: أنا كنت أقصد الإيمان بي فقط، وليس أكل جسدي، ولكنه كعادته يقول: «الحق. الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم» (٦: ٥٣). وإذا كان الأمر على هذا النحو، فكيف لا تنعدم الحياة في الذين لا يأكلون ولا يشربون؟ **ويمكننا أن نؤكد، بشكل حصري، أن الأسفار كلها القديمة والجديدة، لم تستخدم الأكل والشرب كإشارة للإيمان، أو حتى مرادف للإيمان.**

وعندما يقول: «من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (٦: ٥٤). فهل يوجد مصدر آخر للحياة، بل والقيامة غير حياة يسوع نفسه.

الحياة نور (يو ١: ٤ – ٥) وأنا هو نور العالم (يو ٨: ١٢)

عندما قال الرب: «أنا هو نور العالم». من يتبعني[٣١] «فلا يمشي في الظلمة» (يو ٨: ١٢). والظلمة هي الموت، بدليل قول الرب بعد ذلك: «قال لهم (لليهود) أنا أمضي وستطلبونني وتموتون في خطيتكم» (٨: ٢١). وكرر الرب بشكل قاطع: «أنا لست من هذا العالم (أنا لست مخلوقاً) فقلت لكم أنكم تموتون في خطاياكم. لأنكم إن لم تؤمنوا أني **أنا هو** تموتون في خطاياكم» (٨: ٢٤-٢٥). أليس هذا هو ذات الاستعلان: «أنا قد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل (حياة فائضة)» (يوحنا١٠:١٠). وبعد ذلك يقول الرب إنه هو الراعي الصالح الذي سوف تتبعه[٣٢] الخراف «وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد» (يوحنا ١٠: ٢٨). والسبب أن الحياة الأبدية تُعطي لمن هو في "يد يسوع" (يوحنا١٠: ٢٨). وهي ذات يد الآب أيضاً؛ لأنه هو والآب واحد (١٠: ٣٠).

٣١- الكلمة: ''يتبعني'' تعبير آرامي خاص بالتشبه بحياة ومشاركة المعلم في حياته وتصرفاته ومبادئه. فهي لا تعني مجرد شخص يسير مع أو خلف شخص آخر، وهي هنا تعبير عمن يتبع عن إيمان وعن حرية، قبول الدعوة.

٣٢- نفس المعنى في الحاشية السابقة.

يسوع هو القيامة والحياة

حتى كتابة هذه السطور لازلتُ عاجزاً عن فهم الأسباب التاريخية التي أدت إلى الثنائيات *Dualisms* المنتشرة في الكتابات القبطية. تاريخ هذه الثنائيات معروف في الغرب ومرجعيته اللاهوت العقلي الدفاعي الذي يعرف باللاهوت النظامي *Systematic* الذي نُظِّم في الغرب مع بداية القرن التاسع عشر، ولعل مؤسسه هو أحد المدافعين الإنجيليين *Friedrich Schleiemacher (1768 – 1834)* وبالطبع سبقه صديق لوثر الحميم *Melancuthon* في القرن السادس عشر. هؤلاء جميعاً هم تلاميذ أول منظم لشرح عقلاني للتعليم المسيحي هو (القديس) توما الإكويني.

إذا جاز لنا أن نحدد في مساحة ضيقة خلاصة اللاهوت النظامي ومكوناته الأساسية فهي حصرياً:

١- وضع نظرية فلسفية دفاعية تشرح عقيدة واحدة أو أكثر، ولعل أهم هذه النظريات هو ما صار يعرف في القرن السابع والثامن عشر بعقيدة الفداء *Atonement*.

٢- حلول النظرة العقلية محل **العلاقة الشخصية**. علماً بأن هذا لا ينطبق على توما الإكويني بسبب انتمائه إلى كنيسة لديها أسرار وتراث مستيكي، لكن صارت الأفكار هي السمة الغالبة التي توصف اليوم – بعد اكتشاف غياب العلاقة الشخصية والاختبار الحي – باسم *Head knowledge* أي معرفة تعود إلى الرأس، إلى الإدراك العقلي بلا اختبار، مثل من يصف برودة الماء دون أن يكون قد استحم فيه ولو مرة واحدة.

ثنائية يسوع والحياة الأبدية

عندما نبدأ بتعريف الحياة الأبدية على أنها الحياة التي لا تنتهي، فإن التعريف يبدو أنه بلا ضرر لأن فيه جزء من الحقيقة، ولكن عندما يقول يسوع: «هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ١٧: ١)، فإن الحياة هنا تكون في المعرفة، والمعرفة في قبول الاستعلان والعطية، وهي هنا يسوع نفسه الذي أكد في أكثر من مناسبة أنه هو واهب الحياة لاسيما

في سر الإفخارستيا، فهو الشخص نفسه الذي لا يحصره تعريف ولا يحده بالمرة وصفه بأنه "الحياة التي لا نهاية لها"؛ ليس لأنها حياة بلا نهاية، بل لأن البداية والنهاية هي الله نفسه، أي حياة الله كما سبق وأشرنا، فالله بلا نهاية، أي ليس له وجود يحصره الزمان، ولاحظ أن النفي "بلا" ينفي عن الله نهاية «ولا يكون لملكه نهاية»؛ لأنه سوف «يملك على بيت يعقوب إلى الأبد» (لوقا ١: ٣٣). وبالطبع لا يجب أن نعود إلى ثنائيات عقلية تجعل الملكوت، والحياة الأبدية، والله موضوعات بلا صلة، بل منفصلة بسبب سيادة النظريات التي تبدأ بشرح عقلي وتحديد عقلي لا يبدأ بالشخص، وبالتالي لا ينمو الوعي الروحي عندما نقول: "حياة بلا نهاية"، بل عندما نؤكد أنها حياة يسوع نفسه الذي دخل الزمان بالولادة الجسدانية لكي يجعل ولادته الأزلية من الآب، المصدر الأول والأخير الذي يسكب عطية الحياة الأبدية، وهي ليست فقط عطية مجردة كفكرة في عقل الإنسان، بل هي عطية التبني ووراثة الملكوت.

هل سقط التعليم المعاصر الذي تروِّج له مجلة الكرازة بالذات في براثن اللاهوت النظامي الأوربي، في الوقت الذي تتهم فيه مجلة الكرازة كل خصوم رئيس التحرير بأنهم يأخذون من الكتب الغربية؟

الجواب بكل تأكيد: نعم. والمرجعية هي مقالات "الرد على بدع حديثة"، وشرح عقيدة الثالوث وتكوين نظرية الفداء... هذه كلها من مصنفات أوربية تبدأ بأنسلم وتتطور حتى تصل إلى كتاب اللاهوت النظامي الذي نشرته الكنيسة الإنجيلية، وسبق لنا أن أوجزنا الكلام عنه في كتابنا "موت الرب يسوع على الصليب"[٣٣].

أما الآن، فإن من يقول: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا» (يوحنا ١١: ٢٥)، فهو لا يقدم نظرية؛ لأنه هو حصرياً وضع ذاته كمصدر للحياة: «أنا هو»، و«أنا هو» تعني أنه هو القيامة، وأنه هو الحياة، وأنه هو نور العالم. يعود الرب مؤكداً هذا في (يوحنا ١٢: ٤٦). لأنه حيث يكون هو «يكون خادمي» (يو١٢:٢٧). هل وضحت الصورة أمام القارئ؛ لأن يسوع يقول بعد

٣٣- منشور على موقع www.coptology.com وأيضا بالمكتبات

أن أكد أنه هو القيامة، إذ به يقول: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يوحنا ١٤: ٦) وحسب الترجمة القبطية «أنا هو الطريق إلى الحياة الحقيقية»؟

يقول القديس باسيليوس:

«لا يجب علينا أن نستهين بتدبير الابن ونعتبره خدمة حقيرة إجبارية... لكنها خدمة طوعية شرعية نابعة من الصلاح والرحمة... عندما ندعو الرب "الطريق"، فإننا نرتقي إلى المعنى السامي، وليس إلى المعنى الوضيع الشائع، لأننا نفهم أن الطريق يعني التقدم المطرد نحو الكمال، وهو ما يحدث لنا عندما نعبر من مرحلة إلى أخرى... حتى نصل إلى الهدف المبارك، أي معرفة الله... "الرب هو الطريق الصالح... يقود إلى الآب الصالح" (يوحنا ١٤: ٦)»[٣٤].

لا أحد أو ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي (يوحنا ١٤: ٦)

والكلمات هي للقديس كيرلس الكبير:

«لا يمكن لأحد أن يتحد بالله الآب إلاَّ بوساطة المسيح؛ لأنه هو الوسيط بين الله والإنسانية؛ لأن بواسطته وفيه هو وَحَّد الإنسانية مع الله» (شرح إنجيل يوحنا ٩ مجلد ٢: ٤٨ - ٢٤٣).

ولماذا نعود إلى الآب، أو "نأتي إليه"؟ لأنه هو "الينبوع"[٣٥] والأصل πᾳγή فمنه ولد الابن ولادة غير منفصلة؛ لأنه في «حضنه الأبوي كل حين» (قسمة صوم الميلاد). هو في الآب والآب فيه، وفي شركة الحياة الواحدة للآب والابن التي عبَّر عنها المجمع العظيم في ٣٢٥م بكلمة «الجوهر الواحد»، نحن أيضاً نُسْكن؛ لأنه جاء «وسكن فينا أو بيننا» (يوحنا ١: ١٤) لكي يأتي هو والآب ويسكن فينا أو «عنده نأتي ونصنع منزلاً» (يوحنا١٤: ٢٣).

٣٤- الروح القدس للقديس باسيليوس، ترجمة د. جورج حبيب بباوي، ١٩٨١، ف ٨: ١٨، ص ٨١.

٣٥- رسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون عن الروح القدس:الرسالة الأولى، فقرة ١٩، ص ١٥، ترجمة مركز دراسات الآباء بالقاهرة، ١٩٩٤.

وأقدم شرح وصلنا هو للعلامة أوريجينوس الذي فهم سكنى وحلول الله بشكل صحيح:

> «يلاشي الله ويحرق تماماً كل الأفكار والأعمال الشريرة والشهوات الخاطئة عندما تجد هذه طريقها إلى عقول المؤمنين. الله الآب ومعه ابنه يسكن في النفوس المستعدة والتي صار لها الاستعداد أن تسمع الكلمة وأن تقبل الحكمة حسبما قيل: «أنا والآب نأتي ونصنع منزلاً» في النفس بعد أن يبيد كل الرذائل ويحرق الشهوات ويجعل النفوس هيكلاً مقدساً أهلاً (مستحق) للسكنى» (المبادئ. الكتاب الأول ١ - ٢).

المنزل μονή

الفعل μένω يعني "يُقيم - يسكن"، واستُخدم لسكنى الله في الهيكل (زكريا ٢: ١٠)، ولكن في العهد الجديد سيكون الله في هيكل جديد في أورشليم التي لا يمكن أن يدمرها أحد (زكريا ١٤: ١٠).

والله «ساكن في نور لا يدنى منه» (١تيمو ٦: ١٦) وسكنى الله وردت ٢٣ مرة في إنجيل يوحنا[٣٦] وفي الرسائل ٤ مرات. سكنى أو إقامة الروح في يسوع (يوحنا ١: ٣٢). والمنزل هنا هو إقامة دائمة سماوية حسب قول الرب «نصنع منزلاً» والفعل يؤكد التنازل الإلهي حين يسكن الله في الخليقة الجديدة.

٣٦- راجع: ١: ٣٢، ٣٩ – ٣: ٣٦ – ٤: ٤٠ – ٥: ٣٨ – ٧: ٨ – ٨: ٣٥ مرتين – ١٠: ٤٠ – ١١: ٦ – ١٢: ٢٤، ٣٤، ٤٦ – ١٤: ١٦ – ١٥: ٤ ثلاث مرات، ثم في ٥، ٦، ٧ مرتين، وفي ١٠ مرتين. والقارئ الحكيم سوف يرى أن مجيء الرب الابن وتجسّده هو بداية سكناه فينا، وهي سكنى الآب والروح القدس أيضاً؛ لأن السكنى تعني الإقامة.

الفصل الثامن

الهيكل والبناء الذي من الله

الحقيقة التي تعبِّر عنها الاستعارة

يسقط الفكر التجريدي الذي يجرد الحقيقة ويقطع كل أوصال التعبير عنها، في إلغاء ما تعلنه الاستعارة؛ لكي تتحوّل المسيحية إلى مدرسة أخلاقية ليس لديها إلاَّ "السلوك الأخلاقي الجيد"، وإن كان السلوك الأخلاقي الجيد يمثل "جلد *Skin* الجسد، فإن ما يُظهَر تحت هذا الجلد من حياة، هي "الخلقة الجديدة" (٢كو٥: ١٧)، تلك التي يخلقها الآب في المسيح بالروح القدس. تحت الجلد، أي السلوك الأخلاقي، تظهر العظام وكل مظاهر الحياة.

شتم أسقف أحد الخدام قائلاً له: «تعال يا ابن الخفير»، وكان «ابن الخفير» أرثوذكسياً قحاً، فقال للأسقف دون تردد: «في الكنيسة أنا ابن الله لأني وُلِدتُ منه في المعمودية. وبالتالي عيب عليك أنك ترجعني إلى آدم الأول، وتنسى المسيح يسوع الذي أعطاني حياة جديدة هي سبب وجودي في الكنيسة»، وترك الأسقف واقفاً في مكانه ومشى. فقال له أحدهم: «عيب تمشي كده»، فرد عليه الخادم قائلاً: «وعيب على سيدنا أن يستخدم مقاييس العالم في الحياة الكنسية، لو كان يؤمن بالمعمودية وبنعمة التبني؛ لَقَال كلاماً آخر ووصفني بوصف آخر». وانصرف الأخ مهموماً وجاء وقص عليَّ الواقعة، فقلت له: "ليست مفردات الحياة الكنسية وحدها هي التي غابت، بل غاب - قبل الألفاظ - العقيدة التي تكوِّن الحياة الأرثوذكسية وتعطي لنا ما قال عنه الرب يسوع عن المؤمنين «يتكلمون بألسنة جديدة» (مرقس ١٦: ١٧)، وأول هذه الألسنة هو لسان المحبة الذي يعلو على ألسنة الناس والملائكة" (١ كو ١٣: ١).

التجسّد فصل بين الفكر المجرد وبين الفكر النابع من الممارسة والمحبة

«الكلمة صار جسداً» (يوحنا ١: ١٤) ولكنه لم يتحول بالتجسّد إلى مجرد كلمات، فلم يعد الكلمة المتجسِّد لفظاً فقط، بل حقيقةُ مَن «يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو ٢: ٩)؛ ولأن التجسّد يفوق إدراك العقل، فقد غيَّر التجسّد الفكر نفسه، إذ لم يعد الإنسان – بعد تجسّد ابن الله – يفكر بآليات اللغات وحدها أو باستخدام الاستعارات والمجازات؛ لأن التجسّد حوَّل الاستعارة إلى علامة تشير إلى عمل سري في النفس، نعم علامة محسوسة مثل رشم الصليب بمعناه الرمزي لكي يشرح مع الرمز وبكلمات بشرية ما عمله الابن عندما تنازل إلينا من فوق ونقلنا من الشمال إلى اليمين. فبعد أن تجسّد الرب لم يعد للاستعارة مكان في الحياة العقلية وحدها، بل صارت الاستعارة هي محاولة الروح القدس لأن يضع علامة بارزة محسوسة تشرح الحقيقة وتشير إليها على قدر ما تسمح به اللغة. وما تسمح به اللغة قاصر وضعيف، ولذلك كثرت الاستعارات وتعددت. ولم تكن كلمة *Metaphor* اليونانية الأصل إلاَّ الأسلوب أو الطريقة التي يضع بها الإنسان حقيقة عظمى في قالب استعاري لكي تصبح الاستعارة بمثابة عدسة مكبرة توضح المعنى.

الحقل والبيت – الفلاح والبَنَّاء

عندما حدث انشقاق في كنيسة كورنثوس كتب رسول الرب يقول: «من هو بولس ومن هو أبلوس... أنا غرست (مثل فلاح) وأبلوس سقى (مثل فلاح)» (١كو٣: ٥ – ٦). ولكن هذه الاستعارة من الواقع لا يجب أن تخفي الحقيقة الأكبر، وهي: «ولكن الله كان يُنمي» (١كو٣: ٦).

فالنمو من الله، ولذلك يقول الرسول: «إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقي، بل الله هو الذي يُنمي» (١كو ٣: ٧).

وقد يسقط الخطاب كله في "بالوعة" الاستخفاف بالاستعارة، ففي مجال الحياة الإنسانية المنظورة لا يوجد فلاحٌ يزرع، وآخر يسقي، ولكن ما هو خلف هذا الاستعمال الاستعاري: الله الذي يعطي النمو.

فلا فضل لأحدٍ على أحد، إذا نما إنسانٌ؛ لأن النمو هو من الله.

فما هو هذا النمو؟

النمو ليس هو التقدم الأخلاقي بدون المسيح؛ لأن الابتعاد عن المسيح الرأس الذي منه ينمو كل الجسد، معناه انقطاع الحياة. وقد يرى البعض أن الرأس استعارة، ولكن الرأس ليست مجرد كلمة؛ لأن الرأس هو شخص يسوع المسيح، ولاحظ أن المتجسِّد لا يمكن البقاء معه في شركة إذا عاد الإنسان إلى أعمال الناموس، أي ما تطلبه شريعة موسى الخاصة بالأكل والشرب والأعياد وحفظ السبت (كو ٢: ١٦)؛ لأن مَن يفعل أو يحفظ ما تطلبه الشريعة يكون ''غير متمسكٍ بالرأس''. وفي علم الأجنة *Embryology* الرأس هو أول ما يتكون من الجنين. لكن الإشارة هنا ليست استعارة جوفاء؛ لأن التجسّد يقول - دون استخدام كلمات - إنه هو حقيقة كائنة، وأن الشخص يسوع هو أول مَن صار جديداً، هو أول الخليقة الجديدة. ولذلك يجب أن نضيف إلى الرأس كلمة أخرى هي **''البداءة''**، وقد وردت هذه الكلمة في نفس الرسالة (كولوسي ١: ١٨)، ومع كلمة ''البداءة'' أضاف الرسول كلمة ''بِكر''، أي المولود الأول الذي يتقدم كل أخوته في كل شيء (كو ١: ١٨) فهو «بِكرٌ بين إخوة كثيرين» (رو ٨: ٢٩)، ولاحظ أن هؤلاء **''الإخوة''** هم **''مشابهين''** صورة البِكر أو الابن (رو ٨: ٢٩)، **فالأمر ليس مجرد وصف، أو مجرد خطاب، بل هو انتقال اللفظ بواسطة الاستعارة إلى الحقيقة الأكبر**. ومن الرأس الذي تتكون منه جميع أعضاء الجسد، يستدعي النمو حقيقة أخرى، ليست هي الجنين، بل **''الهيكل''**، أي البناء الذي يسكن ويحل فيه الله في العهد القديم. وهكذا يعرض رسول المسيح ما جاء به العهد الجديد وهو دخول الأمم الذين كانوا:

- «غرباء عن عهود الموعد، بلا رجاء وبلا إله في العالم» (أف ٢: ١٢).
- لكن هؤلاء صاروا «قريبين بدم المسيح» (أف ٢: ١٣).

ويعلو الخطاب إلى الحقيقة الأكبر؛ لأن المسيح هو نفسه بشخصه هو «سلامنا» (أف ٢: ١٤). وعندما قال الرب: «سلامي أترك لكم، سلامي أنا أعطيكم»، فقد

كان يُعلن تسليم حياته؛ لأنه لا يوجد كيان اسمه "**السلام**" خارجاً عن المسيح، بل السلام هو يسوع نفسه، والسبب في ذلك؛ لأنه «جعل الاثنين واحداً (اليهود والأمم)، وهدم حائط السياج المتوسط (الذي كان يمنع دخول الأمم هيكل سليمان)، وهو العداوة (بين اليهود والأمم)».

كيف فعل الرب ذلك؟

يقول رسول المسيح: مبطلاً بجسده شريعة الوصايا والفرائض التي كانت وسيلة الاقتراب إلى الله. نقض العداوة، وأبطل دور الشريعة في مصالحة الإنسان مع الله.

ولكنه لم يقف عند ذلك، بل «لكي يخلق الاثنين (اليهود والأمم) في ذاته إنساناً واحداً جديداً» (أف ٢: ١٥)، ليس يهودياً ولا هو من الأمم، بل هو الخلقة الجديدة.

الخلق الجديد لإنسان واحد تم بموت القديم الذي من نسل إبراهيم لكي يقوم الجديد، آدم الأخير «الرب من السماء» (١كو١٥: ٤٧). ولذلك يقول رسول الرب: «يخلق الاثنين في ذاته إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به» (أف٢: ١٦).

لكن تلك المصالحة ليست قضية عقلية بحته، وإنما هي الحقيقة الكيانية «فلستم بعد غرباء .. رعية مع القديسين **وأهل بيت الله**» (أف ٢: ١٩).

فما هو بيت الله؟ «مبنين على أساس الرسل والأنبياء .. الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب» (أف٢: ٢١). والبيت هو كما رأينا سابقاً في قول الرب نفسه عن مجيء الرب يسوع مع الآب لكي يصنع له منزلاً (يو١٤: ٢٣)، ولكن هذا المنزل أو البيت الذي بناه الله هو هيكل لحلول الله وسكناه، هذه الحقيقة استدعت الاستعارة، ولكن الاستعارة لها مكانها في حقيقة التجسّد، فهي ليست فكرة؛ لأن اللاهوت يحل جسدياً في هيكل الله الكلمة (راجع كو٢: ٩). وقد سبق الرب نفسه وقال عن جسده إنه هو هيكل سوف يُنقض بالصلب، ولكنه سوف يقوم، سوف يُبنى في ثلاثة أيام، وقد قال الرب هذا بعد أن طرد الباعة من هيكل

سليمان: «أنقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه ... كان يقول عن هيكل جسده. فلما قام من الأموات تذكَّر تلاميذه هذا ..» (يوحنا ٢: ١٨ – ٢١).

ولذلك يؤكد رسول المسيح للمؤمنين: «الذي فيه (في المسيح) أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح» (أف٢: ٢٢).

ولا يمكن أن نترك كلمة مسكن دون تعليق، فقد وردت في (رؤ١٨: ٢) وهي ذات الكلمة اليونانية κατοικητήρον التي وردت في الترجمة السبعينية لهيكل سليمان (١ملوك ٨: ١٣).

ولا بد لمن يعرف اليونانية أن يكون قد لاحظ كلمة ''مبنيون معاً''، وقد سبق وأن أشرنا إليها، فهي من الأسماء التي تبدأ بالمقطع syn. فالحقيقة التي تعلو على كل ما نعرفه هو البناء الذي يبنيه الله نفسه. هو نمو في المحبة (أف٤: ١٥)، ولاحظ كلمات رسول الرب عن نمو الجماعة في المحبة: «ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس أي المسيح الذي فيه كل الجسد مركباً معاً... يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة» (أف٤: ١٦). هي هنا بالذات حيث: السكنى – البيت – البناء — النمو، وهذه كلها هي **حركة الحياة التي تتجه نحو المسيح لأنها هي من المسيح**. هل هذه مجرد ألفاظ بلا مضمون كياني؟ هل تم إفراغ المسيحية من كل مضمون يقوم أصلاً على شركة الله في حياة البشر = التجسّد؛ لكي يشترك البشر في حياة المسيح، حتى أصبحت المسيحية دعوة سلوكية أخلاقية لا تعلِّم بتحوّل وتجديد الكيان الإنساني، وهو الاسم الذي وُصِفَ بكل دقة بأنه الخلقة الجديدة (٢كو٥: ١٧)؟ فالخلقة ليست فكرة فقط في عقل من يؤمن أنها تحوّل؛ لأن الرسول يقول: «الأشياء القديمة قد مضت – بلا رجعة – هوذا الكل قد صار جديداً».

وعندما يكتب أثناسيوس العظيم:

> «جاء لكي يتألم في الجسد؛ لكي يجعل الجسد من الآن صاعداً نحو عدم التألم وعدم الموت... الأوجاع وآلام الجسد تأتي عليه، ولكنها لا تستعبد البشر فيما بعد لأنها أُبعدت تماماً... وسوف يبقى البشر على الدوام غير قابلين للفساد

مثل هيكل الكلمة» (ضد الأريوسيين ٣: ٥٨).

«فإذا كان المسيح قد جاء لكي يعطي من كيانه عدم الموت وعدم الفساد، وأن نتحوّل لنصبح مثل هيكل الله الكلمة، فهل إذا فقدنا هذه العلاقة الكيانية وتحوّلت علاقتنا إلى علاقة أخلاقية، هل يمكننا أن نصنع نحن أنفسنا بقدراتنا أجسادنا لتكون هيكلاً لله مثل هيكل الله الكلمة، أي جسد الله» (ضد الأريوسيين ٣: ٣١)

ولأن ملء اللاهوت في الجسد، يقول أثناسيوس العظيم حقاً:

«الجسد هو جسد الله» (المقالة الثالثة: ٣١).

التجسّد الإلهي جعلنا هيكلاً للروح القدس

على الرغم من أن العهد الجديد استخدم كلمتين كلاهما ترجم إلى العربية "هيكل"، إلاَّ أن ιερόν تعني مكاناً مقدساً، وردت بوفرة في العهد الجديد لا سيما في تقديم خدمة الرب يسوع المسيح التي بدأت بالتجربة على جناح الهيكل (مت ٤: ٥). والكلمة الثانية ναός وردت أيضاً بوفرة واستخدمها إنجيل يوحنا في نقل عبارة الرب الآرامية: "انقضوا هذا الهيكل" (يوحنا ٢: ١٩).

عندما نقل القديس بولس الرسول تعليم الرب، يسأل الذين لا يعيشون الحياة المسيحية: «ألستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم» (١كو ٦: ١٩)، فقد صار الجسد هيكلاً تماماً كما صار جسد الرب هيكلاً، وعبارة الرسول «هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله» لا يمكن أن تُفسر على أنها خاصة بالمواهب.

كان أول مَن شرح تعليم الرب كما سلَّمه الرسل، وقال لنا إن التجسّد هو الذي جعلنا هياكل للروح القدس، هو القديس إيريناوس:

«لقد فدانا الرب كلنا بدمه، وقدَّم نفسه الإنسانية عن نفوسنا، وجسده عن أجسادنا، ثم سكب روح الآب

للاتحاد والشركة في الله بين الله والبشر، فأعطى بكل يقين الله للبشر بواسطة الروح؛ لأنه وحَّدنا بالله بواسطة تجسّده، ووهبنا - عندما جاء إلينا - الخلود الدائم في شركة مع الله» (ضد الهرطقات ٥: ١ - ١).

وقد أعاد القديس إيريناوس نفس الشرح في (الإيمان الرسولي ١: ٣٠ – ٣١):

«لأننا أغصان في الكرمة، ومنه ننال ذات الحياة التي صارت لجسده بالاتحاد».

وهو موضوع توسع في شرحه القديس هيلاري في كتابه عن الثالوث لا سيما في فصل ٢٩.

وفي شرح جميل للقديس كيرلس على إنجيل يوحنا (٩: ١) وهو يشرح كلمات الرب يسوع المسيح، يقول:

«في ذلك اليوم تعلمون - كما قال - أنني في الآب والآب فيَّ وأنا فيكم[٣٧] وهو هنا يقول: «أنا ذاتي حي» لأنني بالطبيعة الحياة، وأعلنت أن هيكلي، أي جسدي الذاتي هو أيضاً حي، ولكن أنتم - وعلى الرغم من أنكم على طبيعة فاسدة - سوف تعاينون أنفسكم أحياء كما أنا نفسي حي، وعند ذلك سوف تعلمون بكل يقين أنني أنا الحياة بالطبيعة وقد نسجتكم في كياني Knitted you through my self للآب الذي هو أيضاً الحياة بالطبيعة؛ لكي أجعلكم شركاء في عدم فساد الآب. أنا في الآب حسب الطبيعة الإلهية؛ لأنني مولود من ذات جوهره، وكائن في ذات الجوهر، وأشرقت من هذا الجوهر. أنا حياة من حياة، وأنا فيكم وأنتم فيَّ لأنني أظهرت ذاتي كإنسان، وبذلك جعلتكم شركاء الطبيعة الإلهية بحلول الروح فيكم؛ لأن المسيح فينا بواسطة الروح محوّلاً ذاك الذي هو بالطبيعة

٣٧- ''أنا فيكم''، ليست مواهب؛ لأن ''أنا فيكم'' هي ضمير المتكلم: ''أنا''، و''هو'' هنا الرب نفسه.

ميال إلى الفساد ، حوَّله إلى عدم فساد ونقله من حالة الموت إلى حياة عدم الموت، وعن ذلك يقول بولس: الذي أقام يسوع المسيح من الأموات سوف يُحيي أجسادكم المائتة بالروح الساكن فيكم (رو ٨: ١١)».

"مع المسيح بالروح القدس" في صلوات الكنيسة الأرثوذكسية القبطية

إن ما قدمناه من دراسة لغوية وكتابية لاهوتية هو مجرد إطار للحقيقة الأبدية التي هي حياتنا "مع المسيح"، و "في المسيح"، و "بالمسيح". هذه المسيرة شبه الطويلة تعني وتعبِّر عن التمسك بالحياة الأبدية، حسب وصية رسول الرب: «على رجاء الحياة الأبدية التي وعد بها الله المنزه عن الكذب...» (تيطس ١: ٢).

فنحن في شركة مع الثالوث في حضوره وحلوله الدائم في الكنيسة. ففي رمزية الليتورجية يفتح الكاهن باب الهيكل - والهيكل في صلوات تكريس الكنيسة هو المكان الذي يُظهر عرش الثالوث أي مُلك الثالوث - وفتح الباب هو تأكيدٌ على دخولنا إلى عظمة ومجد الثالوث. ويكشف الكاهن رأسه، أي لا يضع أي شيء على رأسه؛ لأن البرقع الذي كان على وجه موسى قد رُفِعَ وانكشف سر المسيح (٢ كو ٣: ١٥ ، ١٦)، ولذلك ينادي الثالوث:

«ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل
أيها الثالوث القدوس ارحمنا
أيها الرب إله القوات **كن معنا**...».

والمعية المقصودة في الصلاة هنا هي معية الجسد المتحد بالرأس يسوع المسيح، ولذلك تقال الصلاة الربانية التي سُلِّمت لمن نال سر الانضمام إلى الكنيسة.

ولأننا موجودين هنا في حضرة الثالوث، نقول:

«نسجد لك أيها المسيح إلهنا مع أبيك الصالح والروح القدس؛
لأنك أتيت وخلصتنا».

هكذا نتعلم عدم تقسيم وانفصال أقانيم الثالوث؛ لأننا بالسجود للمسيح إلهنا

لا نعترف فقط بإلوهية الرب وبوحدة جوهر الثالوث؛ لأن هذا نابع من الحقيقة الكيانية التي تعبر عنها الكلمات:

«لأنك أتيت (تجسّدت) وخلصتنا».

أمَّا ما يضايقني جداً، فهو حذف آخر صلاة الشكر حذفٌ غير مقصود؛ لأنه يقال سراً[٣٨]، وهي:

«بالنعمة والرأفات ومحبة البشر اللواتي لابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح».

وباقي الكلمات هي تعبير عن عودة الإنسان المشتت الفكر إلى الثالوث:

«هذا الذي من قبله المجد والكرامة والعزة والسجود تليق بك (الآب) معه (الابن) مع الروح القدس المحيي المساوي لك.. في الأبدية التي تعبّر عنها الكلمات «دهر الدهور».

والسجود هو بسبب: «هذا الذي مِن قِبَله».

Ⲫⲁⲓ ⲉⲧⲉ ⲉⲃⲟⲗϩⲓⲧⲟⲧϥ

فالسجود ليس حركة ميكانيكية، بل هو سجودٌ للمسيح وبالمسيح للآب والروح القدس المحيي المساوي للآب. نحن هنا في الثالوث نسجد لمن هو واحد بالجوهر، لا يمكن فصل أقانيمه؛ لأن الفصل هو ثمرة الخطية وهو عمل الموت.

وحتى في تقديم البخور، نجد أن كل الرشومات هي باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين. وكم هو جميل حقاً أن الرشم باسم الثالوث وبعلامة الصليب يُعلن لنا المحبة الثالوثية. وتقديم البخور يتم باسم الآب ضابط الكل، ونلاحظ أن استخدام تعبير ''مبارك الآب ضابط الكل'' ليس مجرد تعبير يقال؛ ولكن يجب أن نعلم أن تقديم البركة هو جزء من تسبحة السماويين (رؤ ٥: ١١ – ١٣)[٣٩].

٣٨- حسب التقوى الأرثوذكسية الحقيقية تعني الصلوات السرية الاحتفاظ بالصمت عندما يلهج القلب.

٣٩- ''وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ، قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ:«مُسْتَحِقٌ هُوَ الْخَرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ!». وَكُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ وَتَحْتَ الأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ، كُلُّ مَا فِيهَا، سَمِعْتُهَا قَائِلَةً: «لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ».

والبركة هنا هي الاعتراف بنوال النعمة، وهي ذات بركة الابن وبركة الروح القدس. وبعد أن يقدِّم البخور للثالوث، ذكرت كل كتب الخدمة (الخولاجي) أن الكاهن: يضع يدين بلا رشم لتتمة خمس أيادي بخور، وهو يقول:

«مجداً وكرامة، كرامة ومجداً للثالوث القدوس،
الآب والابن والروح القدس»[٤٠].

ولا يجب أن ننسى جراحات الرب التي توضع على القربانة (الثقوب الخمسة، جراحات محبة الله حسب تعبير القمص مينا المتوحد)، والقرابين الخمسة المقبولة هي قرابين هابيل الصديق - نوح — إبراهيم، ويضاف إليها بخور هارون، وزكريا. ونلاحظ أن عدم ورود أية إشارة إلى ذبائح الشريعة الموسوية من كل الليتورجيات الأرثوذكسية هو ما تؤكده رسالة العبرانيين عن مجيء الرب، إذ وضع هذا على لسان الرب يسوع نفسه: «ذبيحةً وقرباناً لم ترد، ولكن هيأت لي جسداً. بمحرقات وذبائح الخطية لم تسر... التي تقدم حسب الشريعة... نزع الأول (العهد الأول القديم) لكي يثبت الثاني (العهد الجديد)» (عب١٠: ٣ - ١٠).

الروح القدس يخدم الإفخارستيا مع المسيح يسوع رئيس الكهنة وخادم السر

الليتورجية هي الخدمة المقدسة التي يقول عنها الكاهن في صلاة الاستعداد:

«أنت يا سيد تعلم أني غير مستحق ولا مستعد ولا مؤهل (مستوجب)
لهذه الخدمة المقدسة التي لك، أي للرب يسوع»[٤١].

وتؤكد الصلاة التي تجيء بعدها أن المسيح هو الخادم:

«نعم يا سيدي كن معنا واشترك في العمل معنا، باركنا»[٤٢].

٤٠- في مخطوطة خولاجي الأنبا بطرس أسقف بابليون (مصر القديمة) توجد حاشية تقول: "خمسة أيادي بخور هي خمسة جراحات الرب يسوع المسيح الخمسة، وهي اليدين: جرحٌ واحد، والقدمين: جرحٌ واحد، والرأس جرحٌ واحد، والجنب المطعون: جرحٌ واحد، والجلد: جرحٌ خامس، وهي أيضاً الجراح التي رفعت عنا تقدمات العهد القديم الخمسة، وجعلت الذبائح الخمسة تقدمات محب البشر ربنا يسوع" (ورقة ١٨ - أ - ١٠٢٠). راجع بالتفصيل كتابنا: معاني رشم الصليب. منشور على موقع www.coptology.com

٤١- راجع صلاة الاستعداد ، القداس الباسيلي، ص ١٦٤، وننبه إلى أن جميع الصلوات نُقلت عن خولاجي الثلاثة القداسات - طبعة الدير المحرق.

٤٢- صلاة ما بعد الاستعداد، ص ١٦٥ — ١٦٦.

ويلي ذلك طلب قوة الروح القدس:

«أنت يا سيدنا أجعلنا مؤهلين (مستوجبين) بقوة روحك القدوس أن نكمل هذه الخدمة؛لأنها (التقدمة) طاهرة حسب عطية أو موهبة الروح القدس بالمسيح يسوع ربنا[٤٣].

Ⲁ̀ⲣⲓⲧⲉⲛ ⲛ̀ϩⲓⲕⲁⲛⲟⲥ ϧⲉⲛ ϯϫⲟⲙ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲉⲕⲡ̀ⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ”

ولاحظ أن الصلاة هنا لا تستخدم أداة التعريف ”الـ“ للروح القدس، وهذا يُسقط حجة المدَّعين أن عدم استخدام أداة التعريف ”الـــ“ هو لأن المقصود به ”المواهب“، وليس الأقنوم. لكن هنا - كما في تعليم الرب وتسليم الرسل - الذي يقدِّم الروح القدس للكنيسة هو أقنوم الروح القدس الذي كوَّن جسد يسوع، وعمل مع يسوع في خدمته، وكان به يُخرج الشياطين (لو١١: ٢٠)، وهو نفس الروح القدس الذي أقام يسوع من الأموات (رو٨: ٩)، وهو نفس الروح القدس الذي سوف يُستدعَي على الخبز والخمر في كل ليتورجيات الكنائس الأرثوذكسية.

ولأن المسيح هو الخادم للسر يقول الكاهن:

«من قبل (أو بواسطة) ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح. أملأ هذه التقدمة (الصعيدة) التي لك يا رب بالبركة التي من قبلك (بواسطة) بحلول روحك القدوس عليها» (رشومات القداس الكيرلسي ص ٥٢٥).

وبالتالي لا يجوز هدم التعليم الرسولي بكلام يعد من قبيل اللغو والعبث اللفظي، وذلك لأننا أمام مجد الآب وضعنا هذه التقدمة - أي الخبز والخمر (القداس الكيرلسي ص ٥٣٣)، وعند سجود الشعب بنداء الشماس: «اسجدوا لله الآب ضابط الكل» فإن للسجود معنى ودلالة لأن الله الآب سوف يرسل:

«من علوك المقدس ومن مسكنك المستعد ومن حضنك غير المحصور ومن كرسي مملكة مجدك البارقليط روحك القدوس الأقنوم كأقنوم» (سر حلول الروح القدس، القداس الكيرلسي ص ٥٣٧).

٤٣- المرجع السابق.

ولدينا كلمات تؤكد، ليس فقط مجد وإلوهية الآب، بل حقيقة حضوره الإلهي: ''حضنك غير المحصور''، حيث الابن أيضاً الذي في حضن الآب (يوحنا ١: ١٨)، ومن عرش اللاهوت ''كرسي مملكة مجدك''، البارقليط الأقنوم الثالث الذي هو مع الابن، والذي ليس هو موهبة من المواهب، بل «غير المستحيل ولا متغيِّر، الرب المحيي الناطق في الناموس والأنبياء»، وهي عبارة قانون الإيمان النيقاوي. ''الحال في كل مكان'' (المواهب لا تحل في كل مكان، بل توزَّع حسب الاحتياج). وهنا يجب أن يتوقف هذا العبث؛ لأن الصلاة تقول عن البارقليط: «ينبوع النعم الإلهية المساوي لك المنبثق منك شريك كرسي مملكة مجدك»، فالمواهب لا يمكن أن تُعطى هذه الأوصاف؛ لأن المواهب ليست شريك كرسي مملكة مجد الآب؛ حتى لا يقع السذج في إضافة رابع إلى الثالوث.

كل هذا من أجل أن يرسل الآب الروح القدس «علينا نحن عبيدك وعلى هذه القرابين التي لك المكرمة السابق وضعها أمامك» (القداس الكيرلسي ص ٥٣٨).

والكنيسة القبطية ذات التسليم الرسولي تعي ذلك، وفي ترتيلة تقال بعد صلاة الصلح:

> «تعال إلينا اليوم يا سيدنا المسيح وأضئ علينا بلاهوتك الفائق / العالي ⲉⲧϭⲟⲥⲓ أرسل علينا هذه النعمة العظيمة التي لروحك القدوس المعزي ''Ⲛⲧⲉ ⲡⲉⲕⲡ̀ⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉ̀ⲑⲟⲩⲁⲃ ⲙ̀ⲡⲁⲣⲁⲕⲗⲏⲧⲟⲛ''
> (أسبسمس ثالث — القداس الباسيلي).

وهنا، مرة أخرى نجد «الروح» معرَّفاً بأداة التعريف «ألـــ».

أمَّا «النعمة»، فهي اسم مشترك لعمل الابن فينا «محبة الله الآب ونعمة الابن الوحيد»، وهي اسمٌ مشترك لعمل الروح القدس أيضاً[٤٤] بل وأيضاً اسمٌ خاص بالإفخارستيا[٤٥]. ولذلك عندما نقول: «اللهم الذي قدَّس هذه القرابين الموضوعة

٤٤- راجع أيضاً القداس الغريغوري، حيث يخدم الروح القدس كعطية من الآب، إذ يخدم كأقنوم: ''أرسل لنا عطية روحك القدوس لكي نأتي إلى مذبحك المقدس'' (صلاة ثانية للحجاب - القداس الغريغوري ص ٣٦٦).

٤٥- الإفخارستيا هي موهبة نعمة المسيح، حيث تقول صلاة شكر ثانية — القداس الغريغوري: ''فأنت أيها الرب الصالح محب البشر أحفظ موهبة نعمتك فينا'' ص ٤٤٢.

بحلول روحك القدوس عليها وطهرها»، ينتقل حقل التطهير - وهو التقديس حسب لغة الليتورجية القبطية — من القرابين إلينا، ولذلك تقول الصلاة: «طهرنا نحن أيضاً يا سيدنا من خطايانا... أي قدِّسنا»[٤٦].

وبعد صلاة القسمة تقول الصلاة: «نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر لكي إذ طهرتنا كلنا تؤلِّفنا بك Ǹⲧⲉⲕϩⲟⲧⲡⲉⲛ ⲉ̀ⲣⲟⲕ من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية»[٤٧]. أي تجعلنا مثل نغمة موسيقية واحدة "هارموني"، ويؤكد هذا المعنى الفني الدقيق أن التآلف مصدره: «تناولنا من أسرارك الإلهية»، وهو تناول يُعطى لنا «لكي نكون مملوئين من روحك القدوس»، فالتناول هو ما يعطيه الروح القدس: «لنتناول... من موهبتك الغير المائتة (اسم خاص باللاهوت) السمائية بنعمتك ومسرة أبيك الصالح وفعل روحك القدوس»[٤٨] فالمسيح أنعم علينا ليس بمعرفة المواهب فقط، بل «أنعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية»[٤٩].

وكلمة "نعمة" هي كلمة خاصة بمحبة الله الآب؛ لأن طلب نعمة الروح القدس هو لتحوُّل الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه «أرسل علينا نعمة روحك القدوس لكي تطهِّر وتنقل هذه القرابين الموضوعة إلى جسد ودم خلاصنا»[٥٠].

المسيح الكاهن يقدِّس ويوزِّع جسده ودمه

يتجلى هذا في كلمات القداس الغريغوري «الابن الوحيد في حضن الآب»؛ لأن هنا يَظهَر لاهوت الإسكندرية؛ لأن تسليم آباء قيصرية: باسيليوس والنزينزي، هو ذاته تسليم الإسكندرية، حيث يتجلى فيه الكلمة الكاهن والحمل والرب والابن الوحيد الكائن في حضن الآب، الذي حلَّ عداوة البشر، والجالس معنا حول الوليمة السماوية:

٤٦- صلاة قسمة القداس الباسيلي ص ٣١٢.

٤٧- صلاة الخضوع — القداس الباسيلي ص ٣١٦.

٤٨- صلاة الصلح — القداس الغريغوري ص ٣٧١.

٤٩- القداس الغريغوري، ص ٣٨٢.

٥٠- سر حلول الروح القدس، القداس الغريغوري ص ٤٠١.

«أيها الإله الوحيد الذي في حضن أبيه: يا رب بارك»

هو الذي بارك في العلية:

«يا الذي بارك في ذلك الزمان، الآن أيضاً بارك».

هو الذي قدَّس في العلية:

«يا الذي قدَّس في ذلك الزمان، الآن أيضاً يا رب قدِّس.

وهو الذي يعطي جسده:

«الآن أيضاً يا سيدنا أعطنا وكل شعبك
يا ضابط الكل الرب إلهنا»(٥١).

بعد كل ما تقدم، ليت الذين يفْصلون اللاهوت عن الناسوت يخجلون؛ لأن الذي يوزِّع جسده هو الرب يسوع بنفسه، والتناول - حسب صلاة الشكر التي لو سمعها الشعب، لأدرك حقاً أنه صار ''في المسيح'' حسب تعبير رسل الرب المفضَّل الذي سبق وأشرنا إليه.

«نشكرك أيها السيد المسيح إلهنا،
الكلمة الحقيقية الذي من جوهر الآب».

وعلينا أن نلاحظ أن هذه الصلاة لا تعبِّر عن مجرد اعتراف لفظي، بل أيضاً عن أن المسيح الإله الذي من جوهر الآب، هو بذاته الذي جاء إلينا، ويظهر ذلك من بقية كلمات الصلاة:

-« أحببتنا هكذا،
- بذلت ذاتك للذبح.
- شفيتنا بضرباتك(٥٢)
- وبرئنا بجراحاتك من سم الموت.

٥١- صلوات مقدمة القسمة في القداس الغريغوري، ص ٤٢٦ — ٤٢٧.

٥٢- يظهر من كلمات الصلاة أن ''ضرباتك'' ليست هي الجلدات الحارقة كثمن مدفوع للآب، كما يقول بذلك العلامة مطران دمياط، بل كانت لشفاء الإنسانية من التمرد والعصيان لأنه احتمل الجلد لكي نحتمل نحن أيضاً جلدات الضاربين.

– وأنعمت علينا بالحياة من قبل جسدك المقدس ودمك الكريم»[٥٣].

هكذا استلمنا من الليتورجية أن الطعام الذي نتناوله هو:

«الطعام المقدس غير المائت السري.

الذي فتح لنا طريق الدخول إلى الحياة.

الذي أرنا طريق الصعود إلى السموات».

«لكي إذ نحيا بك ونقتات بك نكمل البر... لأنك أنت هو إلهنا».

ولأن المسيح هو إلهنا الذي أعطانا حياته لكي نحيا بها، نقول بيقين:

«لأنك أنت هو إلهنا ولك ينبغي المجد ولابنك الوحيد والروح القدس»[٥٤].

فنحن نحيا بالثالوث؛

– هو الإله «الكائن الذي كان والذي أتى (تجسّد) وأيضاً يأتي»[٥٥] وبعد الاعتراف بحياة الرب يسوع كلها إلى مجيء الرب للدينونة، فنحن في انتظار استعلان الملكوت «هذا الذي نرجو أن نناله كلنا»[٥٦].

هكذا استلمنا أننا نطلب «الروح القدس النار غير المادية التي تعلو على الإدراك»؛ لكي يضع الروح كلمات التقديس لكي يكمل الكاهن القربان «بصحبة وشركة مسيحك، هذا الذي يليق بك معه المجد مع الروح القدس المحيي المساوي لك»[٥٧].

٥٣- صلاة شكر ثانية بعد التناول – القداس الغريغوري ص ٤٤٠ – ٤٤١.

٥٤- المرجع السابق، ص ٤٤١ – ٤٤٣.

٥٥- صلاة وضع يد بعد التناول، القداس الغريغوري، ص ٤٤٣ – ٤٤٤.

٥٦- المرجع السابق.

٥٧- صلاة الحجاب – القداس الكيرلسي، ص ٤٥١ وما بعدها.

نسبح الثالوث لأن الابن فينا بالروح القدس(٥٨)

منذ عصر مبكر، وحسب شهادة العلامة أوريجينوس السكندري، تبدأ كل صلواتنا باسم الثالوث، أي باسم عهد المعمودية المقدسة، ومع هذه الكلمات التي بها دخلنا شركة الكنيسة، نرشم علامة الصليب المحيي، ثم المجدلة: «المجد للآب والابن والروح القدس» بهذا نستطيع أن نصلي «أبانا الذي في السموات»؛ لأن الابن فينا بالروح القدس كما يقول القديس أثناسيوس:

«نحن موجودون في الابن، وبواسطته موجودون في الآب» (ضد الأريوسيين ٣: ٢١)،

ثم

«نحن بدون الروح القدس نصبح غرباء عن الله ... حتى وجودنا في الآب، ليس منّا، بل هو خاص بالروح الموجود فينا والذي يسكن فينا (١ يو ٤: ١٥)» (ضد الأريوسيين ٣: ٢٤).

ولذلك، عندما نقول الصلاة الربانية، فلنسمع كلمات القديس أثناسيوس:

«حينما ندعو الله أبًا فنحن نعني في الحال وجود الابن في الآب» (ضد الأريوسيين ٣: ٦)؛ لأن نعمة التبني ليست من مصدرين، بل «نعمة واحدة، وهي نفس النعمة التي من الآب في الابن» (ضد الأريوسيين ٣: ١١).

الرجاء الانتباه إلى متانة الترتيب أو التسليم الليتورجي؛ لأن الشكر «فلنشكر صانع الخيرات...»، يسبق الاعتراف بالخطية (الخطايا في مزمور ٥٠ أرحمني يا الله)، فالتسليم الكنسي الذي يبدأ بالثالوث وبالقوة الروحية التي أخذناها في المعمودية – الميرون – الإفخارستيا (أسرار الانضمام إلى جسد المسيح الكنسية)، هي التي تؤهِّل للتوبة والاعتراف.

في بدء تسبحة نصف الليل، نقول:

٥٨- الفضل الأكبر في كتابة هذه السطور وما بعدها يعود لأبي القمص مينا المتوحد.

«قوموا ϴⲎⲚⲨⲞ ⲦⲈⲚ يا بني النور؛ لنسبح رب القوات. لكي ينعم لنا بخلاص نفوسنا".

فنحن أبناء النور: «قوموا يا بني النور»، ونحن أبناء القيامة؛ لأن النداء: "قوموا" جاء أصلاً من القيامة، حسب الأصل اليوناني والقبطي للفعل "قم"، وعندما ينعم علينا رب القوات بخلاص نفوسنا، نستطيع بقوة القيامة أن نقف أمامه جسدياً. ولأننا في الثالوث، فكل مقطع "استيخون" يعقبه المرد: «المجد لله يا محب البشر»، لكي تنتهي كل الطلبات بـــــ «المجد للآب والابن والروح القدس»، وتمجيد الثالوث ينتهي بتسبحة موسى والكهنة يحملون تابوت العهد.

القيامة رؤية للصليب

استخدم إنجيل يوحنا فعل "نظر - ينظر" بشكل متواتر — فعندما نظر يوحنا المعمدان يسوع ماشياً، قال هوذا حمل الله، وهو ما جعل اثنان من تلاميذه يتبعاه، فالتفت يسوع ونظرهما.....فقال لهما تعاليا وانظرا (يوحنا ١: ٣٥ – ٣٩). كما استخدم نفس الفعل عند الحديث عن القيامة؛ لأن القيامة نظر: «ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفاً» (يوحنا ٢٠: ١٤)، ذلك أن القيامة فتحت بصيرة الإنسان ووعيه الداخلي، فهو ينظر لكي يقبل سر المسيح، أما الذين نظروا يسوع ولم يعرفوه مثل المجدلية وتلميذي عمواس، فهؤلاء كانوا في حاجة إلى استنارة، هكذا يجب فهم مديح القيامة: «ننظر إلى قيامة المسيح ⲦⲈⲚⲚⲀⲨ»؛ لأن القيامة هي التي جعلتنا نقول: «نسجد لصليبك أيها المسيح. نسجد ونمجد قيامتك؛ لأنك أنت هو إلهنا..» (مديح القيامة — الأبصلمودية السنوية).

وحدانية القيامة والصليب تجعلنا نقول: «تعالوا يا جميع المؤمنين نسجد لقيامة المسيح؛ لأن مِن قبل صليبه دخل الفرح إلى العالم» (مديح القيامة)، فالقيامة هي قلب الصليب؛ لأن الذي صُلِبَ هو مَن قال: «أنا هو الحياة» (يو ١١: ٢٥) فعلى الصليب عُلِّقَ رب الحياة، ولذلك «نمجد قيامته لأنه صبر وسحق الموت بموته» (مديح القيامة).

وعندما يقول مديح القيامة: ''كل الأفراح تليق بك يا والدة الإله''، لا بُد وأن يسأل الذين سقطوا في حفرة تعليم المتشددين من الإنجيليين: لماذا تضع التسبحة، القديسة مريم بعد تمجيد القيامة؟ وجوابنا على ذلك هو أن القيامة حدثت في تاريخ الخلاص الذي يبدأ بسقوط آدم وحواء، حتى يصل هذا التاريخ إلى تجسّد ابن الله من والدة الإله العذراء مريم؛ «لأنه من قِبَلك أُرجع آدم إلى الفردوس ونالت حواء الزينة». والزينة ⲥⲟⲗⲥⲉⲗ هي ملابس الفرح والبهجة الخاصة بالأعياد؛ لأن «حواء نالت الحرية مرة ثانية»، وبالرغم من ذلك، لازلنا نضع العار القديم على النساء عندما نطبق عليهن الناموس الموسوي الوارد في اللاويين.

وقد أمر بيلاطس بختم القبر الذي وضِعَ فيه رب المجد (مت ٢٧: ٦٦)، ولكن المدهش أن ختم القبر استُعلِن بشكل إلهي أعظم، فقد صارت مريم ''كنز القيامة''، أي كنز البتولية ''المختوم الذي امتلأنا بالحياة من قبله''؛ لأن المسيح هو الذي أعطانا الحياة. فعندما ختم بيلاطس القبر؛ أراد أن يحفظ يسوع الميِّت تحت سلطان الشريعة الرومانية وسلطان القانون الذي حرسه الحراس، ولكن الرب فك أختام القبر وقام، من هنا جاء تعبير ''مريم كنز القيامة''؛ لأنها فكت الارتباط الجسداني في الزواج وولدت دون زواج، وصارت بذلك ختم البتولية، أو ختم القيامة؛ لأن في القيامة كما قال الرب لا يزوَّجون ولا يتزوجون.

هكذا تُفتتح صفحات تاريخ الخلاص، وهي ليست صفحات كتاب، بل هي حياة البشر الذين نالوا الحياة «المسيح إلهنا أعطانا الحياة من قِبَل قيامته»، فهل يمكن أن تُوصف هذه الحياة بأنها حياة ناسوتية فقط، أم هي حياة ناسوتية حية بلاهوت الله. وهذا هو ما يجعل كل مقطع في مديح القيامة ينتهي بالمجدلة: «المجد للآب والابن والروح القدس».

العبور الجديد

يقول المقطع الأول من الهوس الأول: «فلنسبح الرب لأنه بالمجد قد تمجد». وهذا المقطع يُرَتَّل في العشية، وعند خروج الإنجيل من الهيكل بعد نداء الشماس: «مبارك الآتي باسم الرب، فلنسبح الرب لأنه بالمجد قد تمجد»؛ وذلك لأن

البشارة هي بشارة العبور من بحر العالم.

ونفس هذا المقطع يجيء في الأستيخون السادس من "لبش الهوس الأول"، ثم يطلب اللبش في المقطعين السابع والثامن أن ينعم لنا الله بمغفرة خطايانا بصلوات موسى رئيس الأنبياء وشفاعات والدة الإله؛ لأن كلاً من موسى والقديسة مريم هما صفحتان في تاريخ الخلاص، وهكذا يمتد مجد الثالوث عبر هذا التاريخ الطويل من موسى إلى العذراء، وهو ما يعبِّر عنه المقطع الأخير من هذا اللبش: «نسجد لك أيها المسيح إلهنا مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك أتيت وخلصتنا».

الخلق والخلاص وحدة واحدة

اختار الآباء كلمات الهوس الثاني عن دراية وحنكة؛ لأنهم أسكتوا الغنوصية التي فصلت بين الخلق والخلاص. والهوس الثاني يبدأ بالشكر على الخلق، وهو أحد عظائم الله، وأول "الثاؤريا" حسب شرح كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية، هو تسبيح الله وتمجيده على جمال وعطية الخليقة، ثم ينتقل من الخلق إلى الخروج. لكن الأمر لا يقف عند ذلك؛ لأن تسبحة العهد الجديد لا تنتهي بالهوس الثاني (مزمور ١٣٥)، بل تحدد الخلق والخلاص كعمل واحد للرب يسوع، وهو ما تؤكده مقاطع لبش الهوس الثاني، هكذا:

- في المقطع الأول: «فلنشكر المسيح إلهنا مع المرتل داود النبي»، فلا فصل بين العهدين.

- وفي المقطع الثاني تأكيد على أن "المسيح إلهنا" هو الذي «خلق السموات وجنودها وأسس الأرض على المياه... أخرج الرياح...»، ثم في رقة تامة «الذي أخرج الرياح من خباياها. نفخ في الأشجار حتى أزهرت. صنع الإنسان على صورته لكي يباركه»، وتأكيداً لهذه البركة يقول اللبش في المقطع الأخير منه: «مبارك أنت بالحقيقة مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك أتيت وخلصتنا».

الخلاص القديم الجديد دائماً

الخلق والخلاص عملٌ إلهي واحد. والخلاص في الهوس الثالث هو خلاص الفتية

الثلاثة من أتون النار في أرض السبي. في الأتون ظهر "ابن الآلهة". و لم تمس النار الفتية الثلاثة؛ لأن النار هي جزءٌ من العالم المخلوق، أي العالم الذي خلقه الكلمة، ولذلك ينتهي الهوس الثالث بإبصالية تبدأ:

«رتلوا للذي صلب عنا وقُبر قام،
وأبطل الموت وأهانه».

ولذلك يأتي المرد الذي ورد في تسبحة الفتية الثلاثة:

«سبحوه وزيدوه علوا».

وأتون هذا الدهر يعني كما تقول الإبصالية:

«انزعوا الإنسان القديم والبسوا الجديد الفاخر».

فهل تغوص هذه الكلمات في قلوبنا:

«اقتربوا إلى عظم الرحمة سبحوه...».

أي الرحمة التي تتجلى في الأتون، أي هذا الدهر، وفي أتون خلع الإنسان القديم، فقد أنقذ الرب يسوع الفتية. ولذلك:

«هوذا عمانوئيل في وسطنا يا ميصائيل؛
.....
لأنه هو إله آبائنا».

ويتحد الخلق والخلاص معاً؛ لأن الخالق والمخلص واحد، ولذلك:

«ومن بعد أن ننال من أسراره المقدسة نصرخ قائلين: قدوس الله. قدوس القوي. قدوس غير المائت وحده، ذلك الذي أعطانا من نعمته وتحنن على عدم معرفتنا» (لحن الفتية الثلاثة: ⲧⲉⲛⲉⲛ ⲛⲉⲙϩⲙⲟⲧ)

الكنيسة الواحدة التي تسبح الثالوث:

أخرج الرب يسوع بتجسّده وموته وقيامته الكنيسة من هذا الدهر الشرير (غلا ١ : ٤)، ويقودها كما قاد الشعب القديم في البرية. نحن نسبّح مع موسى والفتية الثلاثة بعد الهوس الأول والثاني والثالث، لكي نصل إلى المجمع الذي هو مجمع

العذراء والملائكة وبطاركة العهد القديم والأنبياء، ثم مؤسسي الكنيسة ابتداءً من يواقيم وحنة، والرسل والشهداء والمعترفين حتى بطريرك هذا الزمان.

هكذا يتوسط المجمع الكبير الهوسات الأربع، لكي يبدأ الهوس الرابع (مزمور ١٤٨) بعد المجمع مباشرة. فلماذا العودة إلى المزمور ١٤٨ بعد المجمع؟ والجواب هو لأن وحدانية الخلق والخلاص تُعيد الكل إلى الدخول في حضرة الثالوث القدوس ومعهم الخليقة التي في السماء وكل خلائق الأرض. هنا استعاد الإنسان الجديد ما ورد في (مزمور ٨) الدستور الإلهي الذي جعل الإنسان سيد الخليقة الذي وُضع قليلاً عن إلوهيم (مزمور ٨: ٤ - ٦) حسب العبراني. ثم تنتقل التسبحة بعد ذلك إلى (مزمور ١٤٩) هو نشيد مسرة الله بالشعب لكي يختم (مزمور ١٥٠) التسبيح، وهو آخر ما كان يرتل في هيكل سليمان؛ لأنه دعوة إلى استخدام كل آلات الموسيقى للتسبيح، مع ملاحظة أن المجدلة «المجد للآب والابن والروح القدس» قد أضيفت إلي نهاية المزمور؛ لأن المزمور بدون المجدلة هو عودة إلى عبادة العهد القديم.

هكذا تظهر كنيسة الله من آدم حتى الجيل الذي يسبح.

التجسّد هو الحقيقة الماثلة أمام الكنيسة، وهي سبب التسبيح

في إبصالية القديسة مريم، وهي إبصالية الأحد الأولى: «آمنتُ لذلك تكلمت بقوة من أجل عظم رحمتك يا رب القوات»، نجد أن هذه العبارة هي أحد استعلانات الله في الرب يسوع المسيح، أي تجسّده، فهو العمل الإلهي العظيم «عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد» (١ تيمو ٣: ١٦). ولكن التجسّد ليس حدثاً منفصلاً وحيداً في تاريخ الخلاص، بل هو بكل يقين الحدث الذي يشرح حتى بناء الهيكل القديم، ويُفسر وجود مدينة أورشليم مدينة الله، وقد يتعجب قارئ هذه الإبصالية من هذه الكلمات التي تقال عن القديسة مريم:

«هذه هي أورشليم مدينة إلهنا.
مركبة الكاروبيم ذات الأنواع الكثيرة».

ففي أورشليم ظهر الله في هيكل سليمان للنبي أشعياء جالساً على الكاروبيم (أشعياء

١:٦ وما بعده). هذا الظهور بلا معنى إذا لم يكن يشير إلى التجسّد، ولذلك فإن حتى تسبحة القوات السماوية، تلك التي سمعها أشعياء: "قدوس، قدوس، قدوس رب الجنود"، صارت تسبحة الكنيسة الجامعة منذ عصر مبكر جداً حدده العالم الكاثوليكي[٥٩] *Anton Baumstark* في بداية القرن الثاني الميلادي؛ لأن الثالوث هو الذي يملأ الحياة الكنسية، وهو سبب وجود الليتورجية، والدليل هو وجود مدينة الله أورشليم القديسة مريم وهي مركبة الكاروبيم... ثم هي القسط والمنارة والمجمرة، وعصا هارون، ولكن كل هذه ليست حدود تجسّد ابن الله، بل جاء التجسّد بما هو أعظم؛ لأن الرموز والإشارات لا تعلو على الحقيقة.

«مرتفعة أنتِ جداً أكثر من الشاروبيم
ومكرمة أكثر من السيرافيم».

والسبب:

«ابن الله إلهنا ولدته
نمجده كإله ونسجد له».

والسجود هو سجود لمن هو كائن، ولعل أعظم ما يمكن أن يقال:

«الساكن في النور الذي لا يدنى منه،
أظهر آياته (والتجسّد هو أحد هذه الآيات)،
وأرضعتِه اللبن (حقيقة ناسوتية ابن الله)».

الابن والروح القدس فينا

تُرى هل غاب من الوعي المعاصر عند الذين يكتبون أن كل ما نسمعه في صلواتنا له مصدر واحد هو الثالوث؟ وأن الثالوث هو الثالوث، فلا إله آخر سواه فتح حياته، أو بالدقة الإنجيلية، فتح الحضن الأبوي لنا عندما تجسّد الابن الوحيد؟ عندما سمعت هذه العبارة لأول مرة أدركت أنني أمام الثالوث نفسه، وبشكل مباشر وهي صلاة قسمة صوم الميلاد:

«أيها السيد الرب إلهنا الخالق الغير المرئي. الغير المحوي. الغير المستحيل

59-Comparativ Liturgy, 1958,p 40 - 51

الغير المفحوص. الذي أرسل نوره الحقيقي ابنه الوحيد يسوع المسيح الكلمة الذاتي ⲡⲓⲗⲟⲅⲟⲥ ⲛ̀ⲁⲓⲇⲓⲟⲥ **الكائن في حضنه الأبوي كل حين** أتى وحل في الحشا البتولي الغير الدنس ولدته وهي عذراء وبتوليتها مختومة»[٦٠].

لقد «أشرق متجسّداً من العذراء»، وهو مرد التسبحة[٦١] وهو إشراق الخلاص والنور والحياة. هذه هي حركة المحبة الإلهية. الترول إلينا: «نزل من السماء» (قانون الإيمان).

القوة الروحية الحقيقية لشعب الله هي ما تعبر عنه هذه الكلمات:

«عمانوئيل إلهنا في وسطنا الآن
.بمجد أبيه
والروح القدس
يباركنا كلنا ويطهر قلوبنا
ويشفي أمراض نفوسنا وأجسادنا
نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح
والروح القدس لأنك أتيت وخلصتنا» (ختام الثيؤطوكيات الآدام).

بعد كل ما تقدم مَن يمكنه إذن أن يفقد التقوى الأرثوذكسية، وينتهي إلى مستنقع العصر الوسيط، عصر التقسيم والفصل وسيادة النظريات العقلية على حياة الثالوث نفسه، في الوقت الذي تنادي فيه الكنيسة يسوع المسيح قائلةً:

«أيها الرب الإله مخلصنا تراءف علينا كلنا،
وارحمنا كعظيم رحمتك...
يا سيدنا المسيح كن في وسطنا صارخاً قائلاً:
سلامي أنا أعطيكم،
سلام أبي أتركه معكم» (ختام الثيؤطوكيات الآدام).

٦٠- قسمة صوم الميلاد، ص ٥٦٤.

٦١- مرد ثيؤطوكية الإثنين: "أشرق جسدياً من العذراء بغير زرع بشر حتى خلصنا".

المسيح الإله والإفخارستيا

التجسّد هو بداية استعلان الإفخارستيا، والتسبحة تضعنا أمام حقيقة التجسّد هكذا:

«أنت.. يا مريم حملت

في بطنك المن العقلي

الذي أتى من الآب» (ثيؤطوكية الأحد – القطعة الرابعة).

لكن التجسّد لم يكن من أجل الابن، بل «لأجلنا نحن البشر»، ولذلك:

«وولدته بغير دنس

وأعطانا جسده ودمه الكريمين

فحيينا إلى الأبد» (المرجع السابق).

وبعد تأكيد ولادة الابن الأزلي المتجسِّد

«الذي هو نور العالم غير المُقتَرَب إليه

الذي من النور غير المُدنى منه

الإله الحق من الإله الحق

الذي تجسّد منك بغير تغيير

بظهوره أضاء علينا

نحن الجلوس في الظلمة وظلال الموت

وقوَّم أرجلنا إلى طريق السلام

بشركة أسراره المقدسة» (ثيؤطوكية الأحد – القطعة الخامسة).

وحتى لا يقع الضعفاء في مصيدة الجهلاء الذين يحاولون طمس محبة الله ويقولون إننا نتناول الناسوت وحده، تقول إبصالية الاثنين:

«الله هو عمانوئيل

الطعام الحقيقي

شجرة الحياة

العديمة الموت» (إبصالية الاثنين – المقطع السابع).

ونعتقد أن كلام إبصالية الاثنين هو أبلغ رد على ما قاله أحد الأساقفة الأقباط

المعاصرين: «اللاهوت لا يؤكل. فالمسيح يؤكل ولا يؤكل».

ونحن نقول له: حتى الجسد والدم لا يؤكلان بالمعنى المادي الحسي مثل أكل أي طعام، وشرب أي شراب؛ لأن تقوى الأرثوذكسية تقول عن الذبيحة الإلهية:

١- إنها إلهية.

٢- غير المائتة.

ولذلك، فإن أصغر "جوهرة" في صينية القربان بعد التقديس هي جسد المسيح. ومن العجيب أن صاحب العبارة المشار إليها لم يسأل نفسه كيف يأكل تقدمة إلهية غير مائتة؟! لأن موت ما نأكله شرط لعملية الأكل ذاتها، فحتى اللحوم لا تؤكل حية، بل ميتة أولاً ومن ثمَّ مطبوخة، لكن حمل الله الحي إلى الأبد، ومصدر الحياة للعالم كله وغالب الموت لا يمكن فصل جزء منه لكي يصبح جزءاً، بل إن أصغر "جوهرة"، وهي الكلمة الرقيقة المهذبة التي تحمل طابع قداسة تعليم كنيستنا العظيمة أم الشهداء حقاً، نقول إن أصغر "جوهرة" هي جسد المسيح الذي لا يمكن التفريط فيه، حسب تعليم كنيستنا المقدسة.

فكيف يمكن أن نفهم أن أصغر جوهرة هي المسيح كله؟

حسب الموت يوجد الكبير والصغير. أما حسب الحياة غالبة الموت لا يوجد صغير وكبير، ولا توجد أجزاء؛ لأن الأجزاء هي أسماء ما يحدث لحياة خاضعة للفساد.

حسب الحياة غالبة الموت يُقسَّم الجسد كميراث لكل مؤمن، والميراث واحد لا يقبل التقسيم الذي يؤدي إلى الموت، ولكن يقبل التقسيم للتوزيع، ومن هنا جاء اسم القسمة "أي توزيع الميراث"، بل لا زال الأتقياء من كنيستنا يقولون عن رسامة الأسقف والقس والدياكون إنه "قُسِم" أي "رُسِم"، أي صار له ميراثاً في كهنوت الرب يسوع.

فالأكل هنا هو شركة، ولذلك لا يوصف - حسب تقوى الكنيسة - باسم الأكل، بل بـــ "التناول"، أي الحصول على الميراث، وهو شجرة الحياة العديمة الموت. ولنسمع كلمات الحياة:

«أيها الحمل الحقيقي الذي لله الآب
اصنع معنا رحمة في ملكوتك؛
لأن فم أبيك يشهد أنك أنت هو ابني،
وأنا اليوم ولدتك.
يقوم حولك الشاروبيم والسيرافيم،
ولا يستطيعون أن ينظروك،
ونحن ننظرك كل يوم على المذبح،
ونتناول من جسدك دمك الكريمين» (إبصالية الاثنين — المقاطع ١٦: ١٩)

فهل هناك ما هو أعظم من ذلك ليؤكد على حقيقة أن الابن هو:

- الحمل الحقيقي،
- وأن الآب يشهد أنه الابن،
- وأنه في السماء وحوله القوات المقدسة الشاروبيم والسيرافيم.

ثم بعد كل هذا، وبالرغم من أن القوات المقدسة يحيطون به، إلاَّ أنهم "لا يستطيعون أن ينظروك".

لكن هل تقف الكنيسة عند هذا الحد؟ لو وقفت لَانتهى التدبير إلى لا شيء. ولكن لاحظ: "ونحن ننظرك كل يوم على المذبح ونتناول من جسدك ودمك الكريمين".

التسبيح وشركتنا في الحياة الإلهية

التسبيح في الأرثوذكسية يركِّز الانتباه على رحمة ومحبة الثالوث، ومن الواضح لنا ثبات هذا التسبيح وتأكيده على النعمة المعلَنة في يسوع المسيح. تأمل إبصالية يوم الثلاثاء، وكانت من أحب القطع للأب مينا المتوحد، قداسة البابا كيرلس السادس:

«تعال إلينا اليوم يا سيدنا المسيح
وأضئ علينا بلاهوتك العالي

أرسل لنا هذه النعمة العظيمة
التي لروحك القدوس المعزّي» (إبصالية الثلاثاء – المقطعين الأول والثاني).

فالروح هو الذي يضع التسبيح في الفم، إذ يملأ القلب بالفرح الإلهي، وبذلك تأتي هذه الكلمات:

«لكي أنطق بكرامة يسيرة
من أجل اسمك القدوس المبارك» (المرجع السابق – المقطع الثالث).

لأن اسم الخلاص – حسب التسبحة السنوية – هو ما ينطق به الروح القدس. بل حتى في حالة آدم الأول لا تذكر – التسبحةُ – الخطيةَ، بل تذكر أن «باب الفردوس قد فُتِح مرةً أخرى». ولا يقف التسبيح عند فكرة العودة إلى الفردوس، فهذا تسبيح عقلي لا بأس به، ولكن ماذا بعد أن فُتح باب الفردوس:

«استحققنا شجرة الحياة؛ لنأكل منها،
أي جسد الله ودمه الحقيقيين» (ثيؤطوكية الخميس – المقطع الرابع).

وجسد الله شجرة الحياة، تعبيرٌ متواتر عند الآباء، فهو موجود عند القديس أثناسيوس الرسولي، وفي رسائل القديس كيرلس الكبير، وكل آباء القرن الخامس. فبعد أن نتناول جسد الله، هل يمكن أن يقال بعد ذلك إنه ناسوت بلا لاهوت. لا يصح بعد أن تؤكد الكنيسة ما علَّم به الآباء وما تسبِّح به، أن يخرج تلاميذ نسطور الجدد على شعب الكنيسة ليقولوا ما هو ضد الأرثوذكسية.

هكذا كتب أثناسيوس العظيم حقاً:

«الجسد كان جسده، والجسد خدم أعمال اللاهوت؛
لأن اللاهوت كان في الجسد،
ولأن الجسد كان جسد الله...» (ضد الأريوسيين ٣: ٣١).

ونورد أيضاً على سبيل المثال ما كتبه القديس كيرلس الكبير في رسالته رقم ١٧، وهي الرسالة الثالثة إلى نسطور:

«نبشر بموته حسب الجسد، أي موت الابن الوحيد يسوع

المسيح ونعترف بقيامته من الأموات وصعوده إلى السموات، نحتفل بالذبيحة غير الدموية في الكنائس، وعندما نتناول البركات الروحية نصير نحن مُقدسين بالشركة في الجسد المقدس ودم المسيح الكريم مخلصنا كلنا[٦٢]. وعندما نفعل هذا، فنحن لا نتناول كبشرٍ جسداً بشرياً مثل أجسادنا، حاشا ولا هو جسد إنسان تقدس عن طريق صلته بالكلمة حسب اتحاد كرامة، أو جسد إنسان حل فيه اللاهوت، بل بكل حق الجسد الواهب الحياة؛ لأنه ذات جسد الكلمة الذي هو الحياة حسب طبيعته كالله، وصار واحداً مع جسده الذاتي، فأعلنه لنا واهباً للحياة، ولذلك قال لنا: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه» (يوحنا ٦: ٥٣) فإننا لا نستطيع أن نتصور أنه جسد إنسان مثلنا؛ إذ كيف يمكن أن يكون جسد أي إنسان مثلنا واهباً للحياة حسب طبيعته، بل حقاً جسد الابن الذي صار إنساناً...»[٦٣].

والأرثوذكسية ترى - حسب التعليم الإلهي - أن تجسّد الرب الابن الكلمة

«الكائن قبل الدهور
أتى وتجسّد منكِ (العذراء)
عتيق الأيام
خرج من بطنك» (ثيؤطوكية الجمعة — القطعة الثالثة).

ثم ماذا نقول بعد ذلك في أعظم ما يمكن أن يقال عن تجسّد ابن الله:

«هو أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس،
وجعلنا واحداً معه من قبل صلاحه.
هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له،

٦٢- هذه الكلمات هي تأكيد على أن تسبيح الكنيسة القبطية: ''آمين آمين آمين بموتك يا رب نبشر ....''، كان ترتل في زمان القديس كيرلس الكبير، ولكن بعض الكنائس حذفت هذه التسبحة بتوصية من أساقفة جهلاء.

٦٣- راجع ترجمة مركز دراسات الآباء بالقاهرة، سلسلة نصوص الآباء رقم ٢١، يوليو ١٩٨٨، ص ٢٨ — ٢٩.

نسبحه ونمجده ونزيده علواً» (المرجع السابق).

وعطية الروح القدس هي عطية روح يسوع. والتسبيح هنا ليس عن مواهب. لأن ما حدث للعذراء مريم عندما حلَّ عليها الروح القدس، هو بداية مسقط رأس البشرية المفتداة، حسب تعبير الأب متى المسكين، ولذلك في لبش يوم السبت نقول:

«ومن أجلك أيضاً صِرنا
مسكناً للروح القدس
الذي حلَّ عليك وقدَّسَكِ» (لبش السبت – المقطع السادس).

ترى هل يمكن لمن يقرأ العهد الجديد أن يصل إلى نتيجة بأن حلول الروح القدس على العذراء، ثم على الرب يسوع بعد خروجه من مياه الأردن، ورافق الرب يسوع في خدمته، وحل في يوم العنصرة على الكنيسة، ويحل على المؤمنين في المعمودية وفي مسحة الميرون... هل هو عدة أرواح؟ أليس هو نفس الروح الذي كوّن جسد الرب في أحشاء البتول، وهو نفس الروح الذي مسح يسوع؛ فصار المسيح، ونفس الروح الذي وعد به الرب الكنيسة روح الحق الذي من عند الآب ينبثق (يوحنا ١٥: ٢٦)؟

إن مشكلة الذين يعظون ضد روح الله هي أنهم لم يتذوقوا قيمة وفاعلية العلاقة الأقنومية بين الابن المتجسِّد والروح القدس، والتي تظهر في الآتي:

أولاً: استُعلِن الروح في البشارة: الروح القديس يحل عليك (لو ١: ٣٥)، وذلك لتكوين جسد الرب أو الناسوت.

ثانياً: استُعلِن نفس الروح في معمودية يسوع لكي يمسح ناسوت الرب، ويؤهل كل إنسان لقبول المسحة: «كنا نحن الذين مُسحنا فيه» (ق. أثناسيوس الرد على الأريوسيين ١: ٤٧).

ثالثاً: وُعِدت الكنيسة بمعزي آخر (يوحنا١٤: ١٦)، لا لكي يحل محل الرب يسوع، بل لكي يُعلن ويُظهر الرب يسوع، بل ويثبِّت الاعتراف به (١كو١٢: ٣) ولاحظ أن كل هذا من أجل الابن المتجسِّد.

رابعاً: يحل الروح ليوزع المواهب. وعبارة رسول الرب تُسكت ألسنة الذين يتكلمون ضد الروح القدس؛ إذ يقول الرسول عن الروح: «ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح» (١كو١٢: ٧) فالمواهب تُعلن مصدرها وهو الروح القدس، ولذلك بعد ذكر المواهب يقول رسول المسيح: «ولكن هذه كلها (المواهب) يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١كو١٢: ١١)، الروح نفسه يعمل فتظهر المواهب.

أكذوبة الحلول المواهبي

لم يستخدم الكتاب المقدس بعهديه هذا التعبير الذي لا يمكن إلاَّ أن يكون له هدف واحد، وهو إنكار عمل الروح القدس وسكناه فينا بأقنومه، وهي السكنى التي تظهرها المواهب، ولنتتبع شرح الإيمان للقديس بولس نفسه وهو يشرح عمل الأقنوم:

- «ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما. وليس أحد يقدر أن يقول إن يسوع رب إلاَّ بالروح القدس» (١كو١٢: ٣)، والسؤال لمن له ضمير صالح: هل الاعتراف بيسوع وهو عمل الروح القدس الذي أُعطى لكي يشهد ليسوع ويُذكِّر بكل تعليم قاله الرب، ويعطي حكمةً لا يقدر المعاندين أن يقاوموها أو يتكلموا ضدها... هل هذا عمل موهبة؟ وإن كان الأمر هكذا، فما هو اسم هذه الموهبة، بينما الروح هو الذي يقول على لسان كل مؤمن إن يسوع ربٌ.

- «أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد» (١كو١٢: ٤). فلو كان الأمر خاصاً بحلول مواهبي فلماذا يضع الرسول المقارنة التي تجمع بين المواهب والخدم والأعمال لكي يؤكد في النهاية أن الذي يعمل في كل هذا التنوع «الله واحد الذي يعمل الكل في الكل».

- كيف يصلي رسول الرب بالروح ويرتل بالروح (١كو١٤: ١٥).

- «وإذا دخل عاميون... ودخل مؤمن أو عاص... تصير خفايا قلبه ظاهرة

وهكذا يخر على وجهه ويسجد لله منادياً إن الله هو بالحقيقة فيكم» (١كو١٤: ٢٤ - ٢٥).

الروح الذي هو سبب حبل العذراء مريم، هو نفسه الروح الساكن فينا «إن كان روح الله ساكناً فيكم»، وقبل ذلك يقول رسول الرب: «أما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح»، ثم في تعنيف لمعلمي الكذب، يقول: «ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له (المسيح)» (رو ٨: ٥). ودليل الرسول هو القيامة التي تبدأ بسكنى المسيح فينا (رو ٨: ١٠)، وسكنى المسيح ليست قاصرة على المسيح «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات (وهو هنا الآب) سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو ٨: ١١)، فالروح الرب المحيي هو الذي سيهب الحياة التي وهبها لناسوت الرب عندما حُبل به وعندما مات وقام، سوف يهب ذات الحياة لنا.

حلول أقنوم الروح القدس في السرائر

أولاً: في سر المعمودية؛ لتقديس مياه المعمودية ونقل المياه إلى طبيعة تعمل مع روح الحياة لكي يُولد كل مَن يترل إلى جرن المعمودية ميلاداً جديداً، وهو الخلق الجديد.

ثانياً: الميرون؛ لنوال الحياة الأبدية وختم عدم الموت.

ثالثاً: الإفخارستيا؛ لتحول الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه.

رابعاً: في الرسامات التي يهدمها الحلول المواهبي. ولأن القارئ قد لا يصادفه كثيراً أن يشترك في إحدى الرسامات نعرض لبعض الصلوات[٦٤] الخاصة بالرسامات المختلفة:

ففي صلاة رسامة الدياكون: «أيها الرب إله القوات... أقبل إليك شماسية عبدك ( ) ... منتظر موهبتك السماوية (ص ٥٤). وبعدها: «صلوا... لكي تحل عليه موهبة الروح القدس (ص ٥٦). وحتى لا يخدعنا السذج في عبث بكلمة

٦٤- ترتيب قسمة الكهنوت – طبعة مطرانية بني سويف ١٩٩٢.

"موهبة"، فإن ختام الخدمة: «نشكرك أيها السيد الرب الإله... اسمعنا من قِبل تحننك وسُر على الشرطونية التي صارت لعبدك من قبل حلول روحك القدوس عليه» (ص ٦٦)، وهكذا الأمر بالنسبة لحلول الروح القدس أيضاً في سيامة كبير الشمامسة (ص ٨٠).

وفي رسامة القس يطلب الأسقف «القوة الإلهية ونعمة ابنك الوحيد وفعل روحك القدوس» (ص ٨٩).

وفي صلوات رسامة القس، «الامتلاء من الروح القدس هو امتلاء من الروح القدس غير المصنوع (غير المخلوق = الله) المنبثق منك» (ص ٩٦). فهل أخطأت الكنيسة عندما وضعت هذه الصلاة:

«نعم يا رب اسمعنا. نطلب إليك أن تحفظ فينا أيضاً الروح القدس الذي لنعمتك غير المصنوعة» (ص ٧٩ - ٩٨).

أليست دعوة القس كما يقول كتاب رسامات الكنيسة: «لكي يستحق من قبلك أن يكمل كهنوتك» (ص ٩٩)، أي كهنوت الرب نفسه، فهل كان الرب يسوع يخدم بمواهب، أم أنه قال إن كنت أنا أخرج الشياطين بروح الله فقد أقبل عليكم ملكوت الله (لوقا ١١: ٢٠)؟

والشرطونية هي أيضاً من قِبل «حلول روحك القدوس» (ص ١٠٤).

تُرى هل سوف تتوقف الأكاذيب؟

الجواب أن روح الحق وحده هو الذي يطرد الظلام.

أخيراً يا أبانا القمص الأب متى المسكين، لقد نجوت من شرور الرئاسة، ورقدت في الرب مشتعلاً بنار المحبة الإلهية، والهجوم ليس عليك، بل على الذي أقامك لتشهد للحق.

البارقليط الذي أسر فكرك
تمر الأيام
والبارقليط يطوف بنا
يحمل إلينا زخم يسوع
ومع هذا الزخم الإلهي
تطل علينا سمات وجهك
كأنك لم ترحل بعد
فكلمة الحق على لسان معلم الحق
تجعل المعلم حياً في الحق
ومن يَذُوق الحق
يرى وجه المعلم
صلِّ لأجلنا
أذكر كاتب هذه السطور
فضَّل الغربة والطرد من الكنيسة
لأن مطراناً من صعيد مصر
نقل أوراقاً كنت قد أعدتها لك أنت
وجعلها اتهامات ضدك،
ولكن كما قال النبي «تعييرات معيريك»
نزلت على كل الذين شتموك
وشتموني ومعي أمي وأبي
وفي بحر غفران الله
الكل زائل
والألم والجروح يشفيها الرجاء.

چورچ بباوي